سفينة البضائع وضميمة الضوائع

تأليف

الحبيب علي بن حسن العطاس

نفعنا الله به وبعلومه

في الدراين

آمين

الجزء الأول

هذه سفينة تجلب البضـــائع وتحمل الجوهر لكل طـــــائع

فيها بعلم الله من صـــــــنائع تحفظ لأهل الفضـل كل ضائع

إعتنى به حفيده

احمد بن عمر بن طالب العطاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأدومان على سيدنا محمد رسول الله رب العالمين ، وسيد الخلائق أجمعين ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين . قال المؤلف رضي الله عنه آمين : فائدة تكون كواميخ المائدة ، تحتوي على تاريخ مولدي وذكر منشأي ومحتدي ، وأذكر فيها إشارات إلى مايسره الله الكريم لي ووفقني له من الأخذ في تعلم القرآن العظيم ، ثم في طلب العلم الشريف الكريم على سيدنا وشيخنا الوالد الحسين ابن سيدنا الوالد عمر جزاهم الله عنا خيرا ، ثم كذلك على يد ولديه الوالد الجد عبدالله واحمد ابني الحسين وغيرهما ممن أخذت عنهم أوزرته . وقد أترجم إختصارا لبعضهم وأذكر تعديد أجزاء من جزائل نعم المولى التي أمرنا بذكرها ، وندب إلى التحدث بها ، ونفى التمكن من إحصائها ، وأذكر هجرتي من بلدي حريضة إلى بلد الهجرين ثم إلى بضة وغيرها ، المشيرة إلى الإقتداء بالسلف الصالح ، وأذكر جماعة ممن أدركتهم وزرتهم وأخذت عنهم من صلحاء الزمن ، مع الإشارة الوجيزة إلى اليسير الدال على الكثير من مناقبهم ، وشكر بعض أهل الخير الذين حصلت لنا منهم المؤاساة والمعاونة والمظاهرة والمناصرة والموازرة المشار إلى الندب إليها بقوله تعالى ﴿ **أن أشكر لي ولوالديك** ﴾ [الآية ١٤ لقمان] وبقوله عليه الصلاة والسلام (لايشكر الله من لايشكر الناس) ، والتعريف ببعض الأخبار الموجبة للإعتبار والتذكار المشار إليها بقوله تعالى ﴿ **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾ [الآية ١٧٦ الأعراف] وقد سبقني إلى مثل ذلك جماعة من السلف الصالح منهم الإمام مالك بن أنس

الأصبحي نسبا ، المدني بلدا صاحب المذهب المشهور ، ومنهم الشيخ عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي ، ومنهم الشيخ إسمعيل ابن أبي بكر المقري ، والشيخ عبدالرحمن بن علي الديبعي ، والشيخ عبدالقادر بن شيخ العيدروس باعلوي وغيرهم .

قال اليافعي في تاريخه : وقد أشار إلى شيء من ذلك الإمام مالك وقد طلب مني أيضا ذلك جماعة من علماء الحرمين وغيرهم ، منهم الشيخ العلامة الكبير الجهبذ الحبر الفهامة الشهير ، الطالب للإكسير وجبر كل كسير ، بمودة القربى من البشير النذير ، وجيه الدين عبد الرحمن بن الشيخ عبد الكريم الأنصاري المدني ثم المكي ، وهذا الشيء مما لايتم غالبا إلا على لسان صاحبه لأنه أدرى بحقيقة أحواله ، ودقيقة أفعاله وأقواله ونوائبه ، ﴿ **وإذ أخذالله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه** ﴾ [الآية ١٨٧ آل عمران] ﴿ **قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾ [الآية ٥٥ يوسف] كما سيتضح لك مما ستسمعه من إيضاح خفيات المسالك وشرح الأحوال التي لايملك شرحها غير مالكها مالك ، وفي الآية ﴿ **ولاينبئك مثل خبير** ﴾ [وفي الحديث (من تشبه بقوم كان منهم) وأيضا فربما وقف على ذلك حبيب منصف فدعالي بالرحمة ، وعرف مقدار ما أوليته من النعمة . وأيضا فقد جاء في الكتاب والسنة وأقوال السلف مايدل على جواز ذلك ، مثل قول الصديق عليه السلام ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾ [الآية ٥٥ يوسف] وفي الأحاديث من ذلك مايكثر ذكره ويتعذر حصره ، بل لم تعرف فضائل كثير من الصحابة

وغيرهم إلا عن ألسنة فصحاء أهلها . وأيضاقال تعالى ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾ [الآية ١٤ القيامة] وأيضا فإن الزمان قد فسد وغلب على غالب أهله الغباوة والحسد ، حتى انقلد باب التعريف بالخير والدلالة عليه وانسد ، فمالوا إلى دفن الفضائل ونشر المساوئ والرذائل ، وغير ذلك من الأسباب الموجبة لذلك مما لايخفى على أولي الألباب ، الموفقين لإصابة الصواب . وإنما يذم من ذلك ذكر الإنسان ما إذا قصد به تزكية نفسه ونزاهتها من العيوب المشار إليها بقوله تعالى ﴿ **فلاتزكوا أنفسكم** ﴾ الآية . كما يذم ذكر الإنسان المتفاخر بها لالمعرفة ماتوجه إليها من الحديث (تعلموا من أنسابكم ماتصلوا به أرحامكم) وأما من قصد بذلك إمتثال قوله تعالى ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ [الآية ١١ الضحى] وقوله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أذكروا نعمت الله عليكم** ﴾ [الآية ١١ المائدة] فلا أرى بذلك من باس ، بل له فيه ممن سبقه الأساس ، ألاترى أن يوسف الذي قال ﴿ **إني حفيظ عليم** ﴾ [الآية ٥٥ يوسف] هو الذي قال ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ [الآية ٥٣ يوسف] . وأن الحق جل جلاله هو الذي حكى عنه ذلك . وقد قال العلماء بجواز هذا بلا إنكار ولانكير فيه ، وأما من لايحب الإنسان فإنه يرى صوابه خطاء ، بل إذا تحقق منه الإصابة في شيء إزداد غيظا وحسدا ، وذلك لقلة العقل والدين . فقد قيل : إن من كمال عقل الرجل ودينه ثناه على أقرانه بمايعلمه فيهم من الخير . شعرا :

وما أعرب الإنسان عن فضل نفسه　　بمثل بيان الفضل عن كل فاضل

قال تعالى حاكيا عن نفسه ﴿ **ويؤتِ كل ذي فضل فضله** ﴾ وقال أهل العلم : يجب على من بانت الكرامة على يديه أن يكون أول مؤمن بها . ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . إذا علمت ذلك فهنا نشرع ونقول :

(فصل) في ذكر نسبتنا المتصلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن احمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته ابن الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

وأما الوالدة فهي : فاطمة بنت الشيخ أبي بكر بن الشيخ القطب الشهير شيبان ابن الشيخ احمد اليتيم تلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم بن سهل بن عبد الله بن احمد بن سهل بن احمد بن عامر بن اسحق الهيثمي .

يقال أن آل إسحق من نسل العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء منهم في شعره وما أظنه يصح . وكذلك يقال أن آل باجابر من نسل عقيل بن أبي طالب . وقد سئل الحبيب عبد الله بن علوي الحداد عن ذلك فلم يوافق عليه وقال : إلى الدين والإسلام ينسبون أحسن . وكذلك يقال : أن آل العمودي من نسل أبي بكر الصديق ولايقال فيهم ماقيل في آل إسحق وآل باجابر ؛ لأنه

بلغنا أن سيدنا الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران نادى الشيخ سعيد في البرزخ من أبوك ؟ قال فأخبره ، فنادى أباه ثم جده واحدا بعد واحدا حتى بلغت نسبتهم إلى أبي بكر الصديق . فهذا يقوي حسن الظن ولاتحكم به الشريعة .

وفي الحقيقة الشرعية والطريقة الأصلية والفرعية فما صح من هذا النسب إلا نسبة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام (كل حسب ونسب منقطع إلا حسبي ونسبي فإنه لاينقطع إلى يوم القيامة) وذلك ردا على شانئه الأبتر الذي قال : هذا محمد الأبتر ، كما حققت ذلك ودققته في صدر كتابي القرطاس ، ولم أظن أني قد سبقت إليه حتى وقعت بعد عليه فيما نقله بعض العلماء عن الشيخ دعسين الأموي في شرح قصيدة البوصيري .

وأما الوالدة فاطمة بنت أبي بكر فقد حققت أشياء من أحوالها في ترجمة مفردة بهاوأودعتها بعض المجاميع ، وسأجملها في كتابي هذا المسمى (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) التي هذه الترجمة وتراجم جماعة من مشائخي فيها . وأما والدها الشيخ أبي بكر بن شيبان يقال له المظوفر لأنه لا أظفار له لافي يديه ولافي رجليه ، توفي بمدينة الأحساء هو وعمه المهاجر العلامة سهل بن احمد بن سهل ، وهو جد والدتي من جهة الأم ، لأن ابنته شيخه بنت سهل أم الوالدة فاطمة بنت أبي بكر بن شيبان .

قيل وقبر الجد أبي بكر وعمه الجد سهل بجنب بعضهما البعض نبتت عليهما شجرة سدر مع أن السدر قليل الوجود ببلد الأحساء . وجهة الأحساء والقطيف واسعة جدا خصيبة جدا ، غالب شجرها النخل ،

ويقال أن فيها ثلاثمائة وستون نهرا كل واحد منها مثل وادي حوره ، وغالب قوت الإبل والبقر والخيل والحمير فيها التمر ، وفيها أربعة جوامع تجمع كلها ، وقد تذبح في بلد الأحساء في يوم واحد مئتا ناقة جزور من غير الغنم ، وبينها وبين القطيف مسيرة ثمانية أيام ، والقطيف مدينة أكبر منها على ساحل البحر الذي بين فارس وجزيرة العرب ، وواليهما واحد ، وهو في هذه الأيام حسن السيرة قليل الجور على الرعية .

وكانت خطبة الوالدة فاطمة للوالد حسن من الوالد شيخنا الحسين بن عمر ؛ وورقته عندي محفوظة بقلمه ونقلتها في صدر الترجمة للوالدة الآتية في هذه السفينة إن شاء الله تعالى . وكانت الوالدة رحمها الله من النساء الخيرات العاقلات الصالحات المؤمنات القانتات العابدات السائحات الراكعات الساجدات ، لها معروف وفضيلة ونية صالحة ، حتى أني مع صغر السن جئت في بعض الأيام من اللعب ووجدت عند البيت جملة من الضعفاء الذين يقال لهم بلغة حضرموت (الطَّلب) نحو الأربعين أويزيدون ؛ فقلت لهم مابالكم هاهنا وفتحت لهم البيت ، وذلك ببلد هينن ، وقلت لهم قوموا وأدخلوا الفاضلة للغداء ، فقاموا معي ودخلوا الفاضلة ، فلما خرجت الوالدة من أعلى الدار وجدتهم قد ملؤا الفاضلة ، قالت لهم : من أدخلكم هنا ؟ فقالوا إبنك علي ! فضحكت ثم اشتحنت علي وربما قالت : كيف تدخلهم وأنت طَلاّب مثلهم على سبيل المزح ، ثم قامت واجتهدت لهم في غداء الجميع وقالت : نضيف ضيفان علي المكرمين ، وأتت لهم كلهم بالغداء من التمر المقلف المليح وذلك في يوم ذي مسغبة ، بحيث أن بيع التمر من أربعة أرطال بأوقية ، فأكلوا حتى شَبِعوا . وما رأيت

من سلفي أعظم من هذه المنقبة وأراها إن شاء الله تعالى وافية لها لقوله تعالى ﴿ **فلااقتحم العقبة * وما أدراك ماالعقبة * فك رقبة * إوإطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾ [الآيات ١١- ١٤ البلد] ومعنى قوله ﴿ **فلااقتحم العقبة** ﴾ هو تشبيه مشقة العمل الصالح على النفس بمشقة طلوع العقبة على الجمل الضعيف . ثم بين تلك العقبة ماهي فقال هي ﴿ **فك رقبة** ﴾ أي عتق رقبة . وفي الصحيح (من أعتق رقبة أعتقه الله من النار كل عضو منها يعتق عضوا منه) ولما بلغ هذا الحديث عليا بن الحسين رضي الله عنهما وكان قد إشترى عبدا يقرأ القرآن العظيم والعلم بسبعين ألفا أعتقه ، وقوله تعالى ﴿ **أوأطعم** ﴾ وفي قرآءة ﴿ **أوإطعام** ﴾ فمعنى الأول أفصح لعطفه على اقتحم الذي هو فعل ماض ﴿ **في يوم ذي مسغبة** ﴾ أي مجاعة وقحط وسنين ومكان يعدم فيه القوت إلا منقول كمكة وماشاكلها من وادي غير ذي زرع . والمطعم أما أن يكون يتيما ذا مقربة لامكاف عنه غير الله أومسكينا ذا متربة أي فقير . انتهى .

وفي المنقول من أخبار إبراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام أنه لما أكمل بناء البيت الحرام صلى في كل ركن من أركانه ألف ركعة ، فناداه الحق جل جلاله ياإبراهيم ما أحسن ماصنعت ولكن لقمة في بطن جائع خير من هذا كله ، فعند ذلك اجتهد إبراهيم الخليل في إكرام الضيفان حتى بنى دارا سماها : دار الضيفان ، لها باب يدخل منه الجيعان العريان ، وباب يخرج منه الشبعان الكسيان ، وهي معمورة بايليا إلى الآن . انتهى باختصار فتأمله .

رجعنا إلى ذكر شيء من أحوال الوالدة والأخوال ، ومرة أخرى وأنا صغير السن بحريضة وهو سن التمييز مررت في بعض الأزقة برجل شيبة وهو جالس ؛ وبه من الجوع مالايطيق على القيام معه فقال لي : سلم على الوالدة وقل لها يقول فلان إن الناقة خبطته ، إشارة إلى شدة الجوع . وهذه مقالة عند أهل الجهة الحضرمية يتداولونها كناية عن شدة الزمان ، فلما طلعت إلى عند الوالدة وبلغتها كلامه قامت وملأت عتوة من التمر المليح وقالت : قم إلى عند الرجل وأعطه إياها وقل له تقول لك الوالدة : أطرد الناقة بهذا ، فخرجت في الحال فوجدته لم يقم من مكانه ، فأعطيته التمر ففرح به .

وكان صنوها الشيخ سهل بن أبي بكر وهو خالي من الصلحاء الفضلاء العلماء الحلماء النبلاء الكُمَلا ، صاحب معرفة ومعروف وطاعة وحسنات ، ومكارم أخلاق حسنات ، فمن جملة ذلك أنه يواسي الضعفاء والمساكين ، ويواصل المضطرين والمحتاجين ، حتى أنه كان رجل يقال له عبد الله بن لهيج من أهل بلد هينن قد كبر سنه ووهن عظمه ، فانطرح في سقيفة الجامع كالملقى الناجع ، فكان الخال سهل المذكور ربما أرسلني بالتمر إليه أنا والصنو صالح وهو اكبر سنا مني ، فنجده ملقى على ظهره ، فيقول : واحد منكم يرفدني وواحد يلقمني ، فتعاونا حتى أقعدناه ، وكنت أنا الذي أرفده وأمسك ظهره مع شدة الثقل منه علي ، وصالح يلقمه التمر المفحوس ، فكان صالح ربما يصغر الصيم فأسمع الشيبة يقول : كبر كبر ، يعني الصيم ، فتطعم المذكور حتى أكله جميعه ، ثم تعاونا على إضجاعه كحالته الأولى .

وكنت مرة ألعب مع الصبيان تحت بيت والدي وشيخي الوالد حسين بن عمر في بلد حريضة في ذلك السن ، فجاءت عجوز يقال لها فاطمة وهَّاسه ، وكان شيخنا في ذلك اليوم قد ذبح ثورا وقسمه على الضعفاء ، فقالت لي العجوز خذ المحملة واطلع بها إلى عند أبيك الحسين وقل له : تقول لك وهاسة هات قسمها من اللحم ، وقل له إن العمر قد طال وأني ضجرت من الحياة وأريد الموت فادع لي به ، وكانت من طول عمرها قد طلعت لها لحية ، فكأني انظر إليها وهي لحية لطيفة شائبة ، فطلعت إليه وبلغته كلامها ، فضحك منه وأمرهم أن يعطوني لها اللحم فخرجت به إليها ، رحم الله الجميع ونفعنا ببركات اعمالهم الصالحة ونياتهم الحسنة الناصحة .

(فائدة) اعلم أني أحفظ لجميع هؤلاء المذكورين من السلف من المناقب وعاليات المراتب ؛ مالايحسبه حاسب ولايستوفيه كاتب ، من لدن سيدي الوالد الحسين إلى لدن الإمام أبي الحسن ، وقد ذكرت أشياء من مناقب سيدي الوالد عمر والوالد الحسين في كتابي المسمى بالقرطاس في مناقب العطاس ، وسأذكر إشارة إلى شيء من أحوال الوالد الحسن والوالد عبد الله بن حسين في هذه الترجمة قريبا ، وذلك بغاية الإختصار ونهاية الإقتصار ، وأنت أيها الواقف على هذه الترجمة أدع لي بالمغفرة ؛ فإن الدعاء للمؤمن من أخيه بظهر الغيب مستجاب وتؤمن الملائكة على دعائه وتقول لك مثله ، وهذا هو السبب الباعث لنا على تسطير هذه الترجمة ، ﴿ **وإنه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تُسئلون** ﴾ [الآية ٤٤ الزخرف] ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إل ياسين** ﴾ [الآيات ١٢٩ ١٣٠ الصافات]

وفي القصة التي أوردتها في آخر مقدمة الجزء الأول من كتابي القرطاس من كلام الوزير الذي طلب من ملك زمانه حين قال له : تمنَّ علي ، طلب أن يأمر عالمه أن يترجم له ويبقى ذكره إلى آخر أمة ، فاعلم ذلك وافهم ماهنالك .

فإذا علمت هذا فاعلم أنه قد كان أوان مولدي في شهر ربيع الثاني ليلة الجمعة في إحدى شهور سنة إحدى وعشرين ومائة وألف كما أخبرني من أثق به في ذلك من الأهلين ، وذلك ببلد حريضة ، وقالت لي الوالدة رحمها الله إنك وجدت وقت أذان العشاء ، فكان سقوط رأسك مع أول التكبير من الأذان ، وقالوا لي إني لما وجدت أخذت سبعة أيام لم أقبل الثدي للرضاعة ، فأخبر بذلك جدي الوالد الحسين بن عمر فقال : إن لهذا لشان ، وإن هذا الولد أما أن يموت صغيرا عاجلا وأما أن يسلم ويكون من الأولياء . قالت والدتي رحمها الله ،ولما أردنا أن نحلق رأسك أول مرة كان ذلك اليوم غير يوم الربوع من أيام الأسبوع ، فقال جدك عبد الله بن حسين خلوا حلاقته اليوم واحلقوا له بالربوع لعل الله أن يجعله من العلماء ، قالت ففعلنا ذلك ولازمنا الحلاقة لرأسك بالربوع . قالت ووقعت المراجعة بيننا وبين جدك عبدالله المذكور حين أردنا تسميتك فقال نسميه عليا ، فقالت بل نسميه خلافا وذكرت إسما آخر ، وربما ذكرت له شيئا من كلام النساء كقولهن (سمي علي واصبري) فقال علي ويحمل صميلين . فاتفق بعون الله حصول الصميلين المذكورين وهما : رعيدان والمصهر باكوفية الحديد الذي تيسر بغير تأملة ولاترديد ، وأما رعيدان فلوصوله إلينا قصة عجيبة ونصة غريبة ، قد حققنا أشياء منها في قصائد من الديوان

(قلائد الحسان وفرائد اللسان) وأعجب ماشاهدناه منه أنه فر من بين رفقتين وفقع رأس إنسان وهو يجادلنا في بعض الأحوال حتى فاض الدم من قرنه هتان ، وكم أشياء أخرى لاتحصيها الحسبان ، ورسمنا بعض القصائد على تحلية فضة حلينا بها رعيدان المذكور ومطلعها :

يارعيـــــــــدان يامبرك مسيرك على الناس

فيك سر من عصى موسى وذا النون والياس

ذي سببها غـرق فرعــون في البحر واهتاس

أوهراوة محمـد ذي جلت كل حنـــــــــداس

كسرت رأس باجمل الشقي قُد بالفـــــــاس

ثم إن الوالد الحسن بن عبد الله بن حسين توفى وأنا صغير جدا قبل سن التمييز والتدبير ، بحيث أني ماعرفته المعرفة الحقيقية ولاأتقن من حياته إلا يوم وفاته ، فإنه لما حصلت عليه تعبة الموت كرهت ذلك وحزنت عليه جدا بحيث أني أجد ألم ذلك إلى الآن ، وكنت مشفقا من ذلك غاية الإشفاق حتى توفي رحمه الله ، فلما توفى حصل اللطف من ذي اللطف الخفي ، وزال ذلك الشاغل وكفي ، وذلك في شهر رمضان المعظم وأظنه سنة أربع وعشرين ومائة وألف ، وكان عند النزع وغيبة الحس يتكلم بكلام عظيم يذكر فيه جماعة من السلف ، منهم سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وغيره من سادتنا . ثم أن السيد الوالد الجد عبد الله كفلنا نحن والإخوان احمد وصالح وأبابكر وعلوي والكرائم شيخه ورقوان ، وذلك بمعاونة كلية من سيدتنا الوالدة فاطمة بنت الشيخ أبي بكر بن شيبان بن احمد بن سهل بن اسحق ، وهما أيضا من تحت نظر

سيدنا الوالد الشيخ القطب الحسين ابن سيدنا الوالد عمر نفع الله بهما ، فكان نظره الباطن الميمون والظاهر المأمون قد إنطرحا علينا ، ومابرحا يسرحا ويروحا لدينا ، وكان ربما عاونهم بشيء من الطعام في النفقة ، ورعاية مولانا شاملة ، وألطافه سبحانه وتعالى للجميع حاصلة ، ونفحاته وفضله وكرمه واصلة .

ثم إني أخذت في تعلم القرآن بنظر سيدي الوالد الحسين في بلد حريضة على يد المعلم المنور تلميذه سالم بن علي باعنتر نقله شيخنا الوالد الحسين يعلم أولاده وغيرهم من أهل بلاده . وكذلك كناإذا سرنا إلى أي بلد نتردد إلى العُلمَة [1] على عادة الصغار ، وإذا سرنا إلى بلد هينن نقرأ على يد المعلم عمرباحوَّاقة وغيرهما رحمهما الله الجميع . وأكثر ماتتكلف بذلك الوالدة رحمها الله . وكنا نجد مع الأمر منهم بذلك غاية الإستثقال ، ونفرح بغيبة المعلم وعدم وجوده وغفلة الأهل ، وربما تعمدنا الخلف واستسهلنا أمر الضرب لخفته ، وثقل المجئ والمَراح [2] من عُلمَةٍ إلى علمة ، وذلك من غير أن نحصل شيئا مدة ذلك . ثم جاء الفتح في ذلك ؛ فبينما أنا جالس في دار سيدي الوالد الجد عبد الله رحمه الله أنظر في مصحف من غير معرفة للإستخراج للكتاب فإذا أنا أعرف وأقرأ الكتاب ، فقرأت فيه تلك السورة وهي ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾ [الآيات ١- ٣ المطففين]

---

[1] العلمة بلهجة حضرموت هو الكُتَّاب لتعليم الأود الصغار

[2] المراح : الذهاب

(فائدة) قال في كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : والضمير في كالوا راجع إلى الذي يكيل ، وفي هُم راجع إلى الذي يستكيل . (قلت) وعندنا بادية يقال لهم نوَّح كان أحدهم إذا طالب غريمه يقول له : كلني كذا ، أوزني كذا . انتهى .

فلما أكملت قرآءة تلك السورة وأنا أتخيل أن ذلك المصحف يخاطبني مثل المعلم ابتدأت في السورة التي تليها حتى بلغت ماشاء الله ، ثم رحت إلى العُلمة فجعلت أقول للمعلم إستمع لي من غير قصاصة ، فيستمع لي حتى يمل . وقد أقرأ عليه إستماعا منه عشرين مقرأ في مجلس واحد . وكنت في خلال ذلك أختلف إلى عند سيدتي الوالدة إلى هينن وهي المتقدم ذكرها . وقد أشرت في ترجمتها إلى أن خطبتها كانت للوالد حسن بواسطة الوالد الحسين بن عمر ، وحققت لفظ كتابه إلى أهلها ، وأن الورقة التي كتبها محفوظة عندي إلى الآن بقلمه ، والحمدلله رب العالمين .

وقد نلبث ببلد هينن المدة المديدة ونحضر الحضرات والموالد والرواتب المرتبة في المساجد ، فاتفق أنه كان في بعض الليالي أن بعض الناس فعل مولدا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فحضرته أنا والصنو العلامة أبوبكر ابن الوالد الحسن وكان أصغر مني سنا ، ونحن كلنا صِغاراً جدا ، فجلسنا في طرف المجلس عند الأولاد الصغار ، وكان حضر ذلك المولد رجل معروف بالولاية ، ظاهر النسك والعبادة ، يقال له : عوض بن عبد الله حيسي من آل زبيد أهل هينن الذين يقال لهم : آل علي بن سالم ، فلما قاموا في المقام الذي يقومونه في أثناء المولد جعل الرجل يتواجد

ويدور في الحلقة ، ثم خرج من بين الحاضرين وأقبل علي من بين هؤلاء الصغار الحاضرين واحتملني على عاتقه ودخل بي وسط الحلقة ، وجعل يدور بي على رأسه والطيب يفوح منه وقد سقطت خودتي ، ثم إنه سقط فتلقاني بعض الناس ، وكان قبل ذلك لايعرفني لصغر السن ، فلما كان من الغد سأله بعض المحبين للسادة أهل البيت وقال له : أتعرف من ذلك الولدالصغير الذي حملته ودرت به في المقام ؟ فقال : لاأعرفه إلا أني رأيته قطعة نور يتلألأ في ظلمة الليل من بين أولئك الصغار ، فقال له السائل : ذلك علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس ، فقال : إن طال بك العمر فسترى له شأنا عظيما ومقاما فخيما ، وسيبلغ مقام جده عمر بن عبد الرحمن العطاس . فلله الحمد على هذه النعمة ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ [الآية ١١ الضحى] ﴿ **ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس** ﴾ [الآية ٣٨ يوسف] ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاءِ ربك وماكان عطاءُ ربك محظورا** ﴾ [الآية ٢٠ الإسراء] انتهى .

وكنت مع ذلك ملازما لمجالس الذكر وحضرات الخير وأهل الخير ؛ بحيث أني لاأعلم إنسانا يأتي إلى البلد ممن ينسب إلى الخير والصلاح إلا قصدته ، وأكثر ما أكون إذا كنت ببلد حريضة ملازما لحضرة سيدي وشيخي الوالد الحسين ابن سيدنا عمر نفع الله به بحيث أني لاأفارقه إلا لضرورة ، وإذا نابني للغيبة عنه نائب في الأباعد أوفي الأقارب بادرت أقضي ذلك الأرب عاجلا على الأقارب ، آئبا للعازب ، راجيا للإحتمال من ذلك الجمل الفائق للأحمال على الغارب ، وذلك مع صغر السن توفيقا من الله لابقول إنسان .

وكنت في أمر المعيشة والأسباب الظاهرة والخدمة عند سيدنا وشيخنا الوالد عبدالله ابن سيدنا الوالد الحسين ، فإنه نفع الله به هو المتكفل بنا وبأولاد ولده الحسن والجدة الصالحة عائشة بنت الجد سالم بن عمر بن عبد الرحمن العطاس أم الوالد حسن بن عبد الله وإخوانه سالم واحمد وعلي وعلوية وسلمى الصالحة الناصحة ، فهي التي تربينا في البيت بيت والدها الوالد عبد الله ، فكانت ربما خرجت بي إلى زَرب الغنم التي فيها اللبن فكلما حلبت لي واحدة وشربت لبنها قلت لها عاد ذِيِّه فتحلبها وتفرح بذلك ، وهي إلى الآن متع الله بها تتحدث بهذا ، وهي زوجة الوالد عبد الله بن احمد بن حسين بن عمر وأم أولاده شيخ وحسن ومحمد وفاطمة ، كان الله مع الجميع .

وأخبرتني الوالدة فاطمة بنت أبي بكر قالت : لما قربت وفاة والدك الحسن وقبل أن يمرض بينما أنا وجدتك عائشة بنت سالم جلوس في بعض الأماكن في بيت جدك عبد الله إذ أقبلت علينا إقبال ذي هامة ونجابة وشهامة ، فلما رأت جدتك عائشة مافيك من حمرة العين ، الدالة على الفحولة عند كل ذي قلب وعين ، مدت يدها إليك كالباكية على إبنها والدك الحسن بأنها كوشفت بأنه سوف يمرض ويموت وتعيش أنت يتيما وهي تقول : عين اليتيم حمراء في أبيات على نمط التعديد من النائحات ، أخبرتني بها الوالدة فاطمة مما قالته الجدة عائشة بنت سالم المذكور .

(فائدة) الحمرة في العينين من علامة النجابة في الرجل على قدر ما أقيم فيه من العمل الصالح ، وهي أشهر علامات نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي حمرة في سواد عين الرجل ، لها حلاوة ورونق

وطلاوة ، وإذا ساعدها حال التوفيق وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وكف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه ؛ كانت كحلية ولباس أسنى على شابة جميلة حسنا ، وإلا فهي مثل ماذكرناه على عجوز قبيحة شوها ﴿ **وإذارأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُبٌ مسندة** ﴾ [الآية ٤ المنافقون] إن الله لاينظر إلى صوركم وأعمالكم إنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم . ومن الأول ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ [الآية ٤ التين] ما أحسن الله خَلق إمرء وخُلقه فتمسه النار . ومن عجيب حكمته تعالى في خلقه وستره الجميل وحقه ، أنه جعل لكل مليح مماثل من القبيح ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [الآية ١١ الشورى] فيضاد النبي والولي الساحر والكاهن ، وضاد إبراهيم بنمرود ، وضاد موسى بفرعون ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم بأبي جهل ، وللذهب مايضاده من الصريف يقال له : المذهبان ، كما يضاد الحق الباطل ، ومن تدبر جميع المخلوقات وجد لها مايضادها من المشبهات التي هي إذا حقت الحقائق ترهات ، ولولا خيفة الملالة لأملينا مايملأ الوريقات من تماثيل المخلوقات وتداخل المبطلات بالمحقات .

ونرجع الآن إلى ذكر الآباء والأجداد والجدات ، من أولي المجد والجدات ، وكانت الجدة عائشة آية من آيات الله ، تقرأ القرآن العظيم وتفسره ، ولها وجه كأنه القمر ليلة الرابع عشر ، وقد إبتدأت أنا في قرآءة القرآن في حياتها ، وأقرأتني سورة ﴿ **ن * والقلم ومايسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأييكم المَفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم**

بالمهتدين ﴾ [الآيات ١ ـ ٧ القلم] إلى قوله تعالى ﴿ **وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾ [الآية ٤٥ القلم] ثم قالت الجدة عائشة رحمها الله حين انتهت إلى هذه الآية الكريمة : كيد الرحمن متين ياولدي .

ثم إن الوالدة فاطمة بنت أبي بكر بن شيبان بعد وفاة الوالد الحسن برأي الوالد الحسين والوالد عبد الله بن حسين انتقلت بنا إلى بيت الوالد عمر الذي هو في رأس البلد ، وهي الدار التي بناها هو بيده بمعاونة أهل بلده حريضة له ، وهي دار ليلى التي أشار إليها مجنونها قيس وهو أنا بالقيس حيث يقول :

أمر على الديـار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجـدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وهي أيضا دار الحديث وأنا ذلك القديم هذا الحديث التي أشار إليها ابن السبكي ، حين يتأسى على شيخه النواوي ويبكي ، بقوله المليح :

وفي دار الحديث لطيف معنى ... أصلي في جـوانبها وآوي
لعلي أن أمس بحـــــروجهي ... مكانا مسه قدم النواوي

وحلت بنا الوالدة مدة فيها بإشارة الولد الحسين ، فكنا نختلف منها إلى بيت الوالد عبد الله وإلى بيت الوالد الحسين ، وحصل علي عند بلوغ السبع أوقبلها أوهكذا فيها مرض شديد ، أشرفت منه على الهلاك المبيد ، ولي فيه غوبيات وطوفات على البرزخ ثم مَنَّ الله عليّ بالعافية وله الحمد .

(تنبيه) على هذا البيت الذي بناه الوالد عمر لنفسه ، هو بيت مبارك لطيف نحيف كبير صغير ، وهو الآن موجود جديد حميد ، يزوره كل جيد ، ممن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد ، من نحو مائة سنة

. وقالوا إن الوالد عمر لمابلغ في بنائه إلى الفاضلة جعلها فاضلة لطيفة على سهم واحد ، وفيها لهُوج [1] صغار جدا بحيث إن الجالس لايمكن من الإشراف منها بكتفيه إلا بمشقة ، فقال الوالد عمر للمعلم حين بلغ من السترة قامة : أَسْمُكْ يامعلم ! فأراد المعلم أن يطرح الإقبال فقال له الوالد حسين : زد إرفعها قليلا لئلا يصل السمك رأس القائم فيها . وفوق تلك الفاضلة سطح (وهو الريم بلغتنا) شقة منه مسموكة مرواح ، وشقة منه بغير سمك ، وفي شقه القبلي محراب لطيف ، ولها جناح آخر وبينهما سقيفة ، وفيه أناس حلان من آل باعيسى أصهار الحبيب عمر ، وهي متصلة الفقور [2] . ومن قوة أدب الوالدة وتأديبها لنا أني ما أذكر أنه أمكن لي الدخول عليهم إلى ذلك الجناح مع قوة الغرامة ، ونهاية الصبا الذي لايميز بين المدح والملامة ، ولكنها رحمها الله تكلوءنا عن الدخول عليهم بشدة الحزامة التي هي زمام السلامة ، فرحمها الله ورضي عنها وجزاها خيرا وكرامة .

وروي أنه قال للمعلم الباني عند بنائها : اجعل بيت الخلاء بشق السدة ، أي الفنا الجامع الذي يدخل الناس إليها منه ، بحيث مابينه وبين القائم عند باب الضيقة إلا نحو ثلاثة أذرع ، والعتم الذي يخرج منه الماء يتشرقعه المار إلى السدة ، فقيل له في ذلك فقال : مرادي إن الناس إذا نظروا ماتصير عاقبة دنياهم إليه اعتبروا وتفكروا في قبح ماهم فيه وعليه من الحرص والشح والبخل والشره والحسد لأجلها وماعليها ، يعني خلاف

---

[1] اللهوج : النوافذ

[2] الفقور : الأبواب

ماأشار إليه الحديث بقوله (الدنيا دار من لادار له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وعليها يحسد من لاعلم عنده ، الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكرالله وماوالاه ، وعالما ومتعلما ، الدنيا أسحر من هاروت وماروت) .

(فائدة) معنى قولهم كلهم : الدنيا كذا فيما يذمونها به ، راجع إلى كل مال وجاه وجمال لايريد به صاحبه وجه الله والدار الآخرة . وإلى ذلك أشار سيدنا الحبيب غوث البلاد والعباد ، الحبيب عبد الله بن علوي الحداد حيث قال رضي الله عنه :

لابارك الله في دنيا سوى غرضٍ　　منها يُعد إذا ماعـــدت القـرب
يريد صاحبه وجـــــه الإله به　　دون الرياء إنه التلبيس والكذب

وقالت الوالدة فاطمة بنت سالم بن عمر العطاس باعلوي كلمة ماسمعت أجمع منها لمدح الدنيا وذمها وهي قولها : ماذكر الدنيا إلا فضيحة مَلاّ عِوِزنا[1] لها . وذلك أنها لما استتعبت نفسها في مرضها مرض الموت وبعض أولادها حاضر وبعضهم غائب ؛ دعتني فقالت لي ياعلي : هذا مال فلان وهذا مال فلان وهذه تركة بينهم حقي فاحفظه واعط كل ذي حق حقه ، وهذه جحلة تمر مفحوس من نخلي فاحفظها لبحاث قبري إذا طلعوا منه ، وهذا كفني قد أرسلته إلى مكة وغسلوه بماء زمزم ، فقلت لها لابأس عليك إنك بخير ، فقالت : لاإله إلا الله أفرحني بقولك إنك متعوبة ، فوالله إني لاأفرح إلا بالموت مثل العرس ، ثم قالت : جزا الله احمد بن حسين خيرا تعني زوجها كماعلمني هذه الكلمات التي من قالهن في مرضه ثم

---

[1] عوزنا لها : إحتجنا لها

مات لم يدخل النار وهي هذه : لآ إله إلا الله والله أكبر ، لآ إله إلا الله وحده لاشريك له ، لآ إله إلا الله له الملك وله الحمد ، لآ إله إلا الله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . وجعلت مع خلال كلامها لي تكرر تلك الكلمات .

(فائدة) هذه الكلمات التي كررتها الوالدة فاطمة حديثها صحيح رواه الترمذي بسنده إلى أبي مسلم أنه قال : أشهد على أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من قال هذه الكلمات في مرض ومات لم تطعم جسده النار وهي : لآ إله إلا الله والله أكبر ، لآ إله إلا الله وحده لاشريك له ؛ له الملك وله الحمد ، لآ إله إلا الله ولاحول ولاقوة إلا بالله . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : ماعلى وجه الأرض أحد يقول : لآ إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر . أخرجه الترمذي .

عدنا إلى تمام ماأفدنا من كلام سيدتنا فاطمة ، فلما رأيت قوة ثباتها وشدة إستعدادها لماتها قلت لها : أريد منك بعد مماتك أن تخبريني بحالك وحال من عرفت حاله من أهل البرزخ ! فأطرقت ساعة وقالت : إسأل الآن عما شئت فامتلأ قلبي هيبة منها ولم أكلمها بعد ، ثم قالت سبب مرضي هذا إنه إنقطب معلاق قلبي وحسست به ، والذي ينقطب معلاق قلبه لايعيش إلا سبعا ؛ وقد مضت أربعة أيام وبقيت ثلاثة أيام ، فلما مضت ماتت رحمها الله . وقصتي معها طويلة ، إكتفيت من ذكر جملتها بهذه الأحرف القليلة .

(فائدة) بلغنا عن الوالد عمر أنه قال : لولا أني أخشى الحريق ماسكنت إلا عريش . وهذا يناسب ماروي عن نبي الله نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال : كثير لمن يموت العريش . وروي عن نبي الله نوح عليه السلام أنه لما حضرته الوفاة بعد أن عَمر أربع عشر مائة وخمسين عاما سئل عن الدنيا فقال : هي سنيات رخاء وسنيات غلاء ؛ ومثلي فيها كمثل من دخل دارا له بابان دخل من هذا وخرج من هذا . وهذا ليس بأعجب من أن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خرج من الدنيا وما وضع فيها لبنة على لبنة ؛ ولاقصبة على قصبة ، ومامالك دارا ولاعقارا ولاقطعة ولانخلة . وكان يقول : والله ما أرسلت طرفي إلا ظننت أني أموت قبل أن يرتد إلي ، ومارفعت رجلي حتى ظننت أن لا أضعها . ولما كان يوم فتح مكة قال له بعض الصحابة : أرنا دارك يارسول الله التي بمكة ؟ فقال : وهل ترك عقيل من دار . انتهى .

رجعنا إلى المقصود وكله مقصود ومحمود ، والجود ينبع من عين الجود ، وكنت في بعض الأحيان في سن الثمان أوالتسع أونحو العشر ربما يطرقني في بعض الليالي خوف الله تعالى وعذابه في الدار الآخرة ، فأبيت لذلك سهران طول الليل حتى أقوم إلى المسجد عند دخول ثلث آخر الليل . وحين قدرت على الخدمة عند الوالد عبد الله استخدمني في الخلا والرعي أول النهار ، وإذا طلعت البلد خرجت مع الأخدام إلى البئر ننزح الماء للبيت وللمواشي ، وهي بئر شطون تقارب الخمس والخمسين

أوالستين القامة [1] ، وكل واحد من أهل البلد معه زانة بدليها وقربها ، وذلك لأنه لايمكن تحسيب الآبار بالزون [2] والدلاء الموقوفة ، وهذا من شدة الوقت وطول السنين والقحط الشديد الذي ربما مات منه بعض الناس من الجوع وهو ينـزح على البئر ، بحيث إن الإنسان إذا حصل له شيء من القوت إنما هو شيء نزير نحو سدس مد صغير جدا ، وهذا من أعظم الرياضات ، والحمدلله ، بل جهتنا كلها بين حدودها المعروفة حِلالها رياضة لأن أهلها في نكد المعاش وأضيق الحالات من الساحل إلى مأرب ، وعين بامعبد إلى سيحوت ، كما أشرت إلى وصفها المنعوت في صدر كتابي (الرياض المؤنقة والحياض المورقة) .

(فائدة) روي أن رجلا من أهل حضرموت سافر إلى مصر وسلك بها على يد شيخ أدخله الرياضة مع جماعة من أهل مصر ، وجعل له مثل ماجعل لهم من القوت ، فما تمت مدة الأربعينية حتى سمن الحضرمي وضعف المصارية ! فقال لهم شيخهم ربما هذا الرجل يتزيد عليكم في القوت ؟ فقالوا لا ؛ مايأكل إلا دون أحدنا ، فسأله عن حاله فقال : إن المُتَرَفهِ في أرضنا لايتأتى له من القوت إلا مثل دون قوت أهل الرياضة منكم ، فقال له الشيخ : ياحضرمي أخرج إلى أرضك حضرموت فإنها رياضتك .

[1] القامة : هي الباع

[2] الزون : مفردة زانة وهي الحيال التي يتم بها إستخراج الماء من البئر

وجاء مرة رجل من أهل الشام زائرا لحضرموت فلما رجع منها إلى عند شيخنا الحسين بن عمر قال له : ياحبيب حسين أما أنا فجوابي عند سؤال منكر ونكير بأني قد جئت جهة حضرموت وسرت فيها .

ونعود إلى المقصود ونبذل فيه المجهود فأقول : كنت أكابد هذه الرياضة طول النهار مع العري الذي لايكاد يحصل لي معه إلا الثوب الواحد الذي هو الإزار ، وإذا أردت حضور المدرس بعد صلاة العصر عند الوالد الحسين إستعرت مسدرة مفرية من بعض الصغار حتى أخرج ، ثم بعد المدرس نخرج إلى الخلاء بالغنم وللفخطة للنخل وللحطب . ثم إذا آويت إلى البيت بعد العشاء نرجع إلى مسجد الجامع ونحيي مابين العشائين بالتلاوة ، ثم إذا خرجت ربما نسمر في بعض الأماكن طويلا ، ثم بعد السمر أرجع إلى بيت الوالد عبد الله ونرقد فيه حتى يقوم هو حين يدخل أول آخر ثلث من الليل . وإذا أحسست به دخل المكان قمت فلا يتم ركوعه إلا وقد توضأت وابتدأت في القرآءة ؛ فنحصل نحو الثمانية الأجزاء والربع قبل صلاة الفجر ، وربما أدركناه يصلي فنصلي معه . وكنت في بعض الليالي إذا نمت في بعض الأماكن وأتى وقت القيام لهذا المقام فربما أحسست مع ثقل النوم بداق يدق على الباب ثلاث مرات فانتبه للمقام .

وكنا في أيام الخريف ربما قل الخريف في بيت الوالد عبد الله وغيره من الشيبان أولاد الوالد الحسين فيأتون هم وأولادهم الجميع وقت الظهر فيتقيلون في بيته ، لأن الأرزاق تسعى إليه من كل مكان . وكانت زوجته سلمى بنت عبد الرحمن بايزيد رحمها الله ربما قصرت علينا في بعض الأيام مع قيامها بجبر الغير من الأقران الذين تصانع أهلهم الأغنياء ؛ فأنشأت

قصيدة أشرت فيها إلى المدح لها وبلغتها القصيدة ، فأرسلت لي في بعض الليالي لقصد الجبر والضيافة وعند الوالد الحسين تلك الليلة ضيفان أغراب وقد ذبحوا لهم وأكرموهم ، وكان ذلك لايغيب عن منزله الضيف ، فلما جاءني الرسول منها تطلبني للحضور إعتذرت بقلة الثوب الذي ألبسه مع الأغراب الذين يتحاذرون ، فرجع الرسول من عندها بمسدرة بعض أولادها الصغار وهم إخوة جدي عبد الله ، فحضرت تلك الليلة العشاء مع الأغراب وخرجت إلى مكان في البيت ونمت ، فلما كان آخر السمر فإذا برسول منها يقول لي : إطلع إلى الغرفة التي فيها الوالد الحسين فطلعت ، فقال لي هات القصيدة التي قلتها في خالتك ! فجئت بها إلى آخرها ؛ وهي من بدائع القصائد ، فلما أتممتها سكت مليا ، ثم قمت لأخرج من عنده وكنت قبل ذلك كثيرا لنظم الشعر ، كثير السماع له من الغير ، وكنت ربما أحضر عند الوالد الحسين إذا كان عنده بعض المُسمِّعين من الرجال على القصبة والطبول أوعلى العود الذي يقال له القنبوس والمزهر ، وربما حضر بعض الشعراء عنده فنثر ماله من الشعر عنده ، وكلما سمعت قصيدة حفظتها ؛ أوصوتا كذلك ؛ أومأخذا أوسماعا أومولدا وأي صوت كان ، وكنت أحفظ والحمدلله بالصوت وبالريح وبالطعم ، مثال ذلك إذا جرت قصة أوقرئ في كتاب أوغير ذلك مع صوت أومع رائحة معروفة أوطعم ثم أعيد ذلك الصوت أوتلك الرائحة أوذلك الطعم مثلا بعد عشر سنين فإني أستحضر ذلك المجلس مع ذلك الريح أومع ذلك الطعم وماقيل فيه وماقرئ عنه ، فلما أردت الخروج من عند شيخنا بعد تمام إنشاد

القصيدة التي فيها مدح الخالة الجيدة المذكورة ، قال لي ياعلي : إحفظ القرآن واقرأ العلم أولا واترك نظم الشعر هذا السن .

وكنت كثير الملازمة له بحيث أني لاأجد بدا لازما إلا هو . وكان إذا شرب القهوة يدع في فيجانه فضلة نحو كظمة أوكظمتين لابد من ذلك ؛ فأبادر إلى قبض الفيجان منه وأشربه . وكنت إذا خرجت إلى عند الصبيان للَّعب أتدبر مايقولون وأصارع منهم العظائم في كل طبقة من أهل الوقت ، فكلما كبر السن كبرت منهم العظائم ؛ بحيث أنها تغلظ أربابها ، فأسمعهم يقولون : قال فلان لمالم أقل ؛ وفعل فلان لمالم أفعل . وتدبرت من بعض الصبيان الخصومة البينة التي لا أصل لها من قبلي ، وذلك أني بنيت دارا على عادة الصبيان جعلتها بسقيفتها ، أي الضيقة التي يقال لها الدهليز وأوضعتها ورِقادها [1] ، فلما أتممت مبناها وأخذت في محضها ؛ وبقيت أقرب لذلك الطين من مكان بعيد ، وكلما جئت بشيء طرحته وعدت إلى المكان الذي آتي به منه ، فلما عدت منه وجدت بعض الصغار قائما عندها وقد أخربها عن آخرها ، فضربته بالطين الذي بيدي في صدره فهرب مني ، فتعجبت من ذلك . فسبحان الله ما أخصم الخلق لبعضهم البعض ، وما أشد ماعندهم من البغض ، مع إنهم لايخلقون ولايرزقون ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا** ﴾ [الآية ٢٠ الفرقان] .

وما أحق ماقاله الجنيد بن محمد في صفة الكون وأهله ، ومايأتي من علمه وجهله حيث يقول : أصلت أصلا لا أستبشع معه مايرد علي من

[1] الرقاد : الدَّرَج

الكون وأهله . يعني من المشغلات والمضرات وعدم المبرات ، وهو أن الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة ومحنة ، وأن العالم كله سر ، ومن لازمه أن يتلقاني بكل ما أكره ، فإن تلقاني بشيء مما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول . وهذا معنى كلام الجنيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * لاأقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وماولد * لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ [الآيات ١ – ٤ البلد] وقد نظمت قصيدة فريدة في هذه المعاني البعيدة ، وأودعتها في ديواني المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) ضمنتها تفسير معنى قوله تعالى ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ ومطلعها :

أقسمت من كلمات الواحد الأحد   حقا لقد خلق الإنسان في كبد

إلى آخر القصيدة ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ [الآية ٧ الشرح] ومما اتفق من هذا القبيل في تلك الساعة ومع ذلك الجيل في وقت شيخنا الجليل الإمام الحفيل ، أنا كنا مرة نحن وجماعة من الصبيان الأقران رقود في بيت الوالد محسن على العادة لأجل القرآءة ، فلما كان وقت المثار قام الوالد محسن وقمنا للراتب ، قال واحد من الصغار أن معي في مطواتي أوقية دراهم ، وأنها أصبحت مسروقة وأني لاأتهم إلا فلانا بها لواحد من الصغار الموجودين ! وهو أعمى أعني المتهوم ، وكان قد تظهر معه بعض السرقات اللائقة بحال الصبيان ، فحصل النزاع بين الجماعة وبقي المتهوم على إنكاره ، وحان وقت صلاة الفجر وصلينا ، ثم خرجنا إلى بيت الوالد الحسين فلما أقبلنا عليه وصافحناه الأول فالأول حتى صافحه واحد من

الصغار غير المتهوم فقال : ﴿ **ومن يكسب خطيئة أوإثما ثم يرم به برئيا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا** ﴾ [الآية ١١٢ النساء] فعرف والسرقة معه أنه قد كاشفه فسكت ، وحين خرجنا من عند الوالد الحسين قال لي ذلك السارق الغير متهوم أنه كاشفني فخذها واعطها صاحبها ، وقد كان الوالد الحسين تكلم بالثناء العظيم على الأعمى المتهوم ، وهو من أولاد أولاده قائلا : من أراد أن ينظر إلى أبي الوالد عمر بن عبد الرحمن فلينظر إلى هذا الحبيب لأنه أعمى من أوان صغره .

(قلت) وكان الوالد عمر قد عمي من الحصبة في صغره ، وكذلك الحبيب عبد الله بن علوي الحداد عمي في صغره من القطيب وهو الجدري ، وكذلك الشيخ الكبير علي بن عبد الله الشاذلي الكبير صاحب شاذلة الأسكندرية ثم صحراء عيداب أظن من حلقته ، وفي تلك الأيام أيام الصبا المشار إليه يقول شعرا:

لمارأتني سليمى قاصراً نظـري فيها وفي الطرف عما دونها زورُ
قالت رأيتك مجنونا فقلت لها إن الصِباءَ جنـون برؤه الكِبَرُ

الآخذ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (الصبا شعبة من الجنون ، عجب ربك من شاب لاصباء له) الحديث .

وهل بعد رفع القلم من قلم ؛ أعلم نفسي وأحفظ من حسي في تلك الأيام من الغرامة ، التي هي على الهداية في الكِبَر أكبر آية وعلامة ، مالايحصر بعلامة ، بحيث أني لوذكرت لخزيت وخشيت من كيت وكيت ، فاعذر من شئت واعذل من شئت ، فعلى ذلك حييت . ومن جملته أني قد آتي بعض السقايا المُسبَّلة للشرب وقد ملأها القائم بها من بئر بعيدة

فاخرج وكاها وألعب بالماء الذي فيها حتى لايبقى فيها شيء ، وربما تسورت إلى بعض الخلوات للحَوِيك [1] فاسرق ماكان لهم من قصب ومواشي وماوجدته ، وربما وجدت بعض الحمير قائما في الشارع فأركبه جاعلا ظهري إلى رأسه فأركضه حتى يزحف . وأما المحاذقة والمضاربة مع الصبيان فرأسي إذن مفقع ، وإنما ذكرت ذلك لك لئلا تلوم الصبيان عليه ، مع أني أعلم أنك تعلم من نفسك ماأعلم ، والله أعلم وأحكم ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ [الآية ٨ التين] قل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [الآية ٥٤ الأعراف]

ولما ابتدأنا في طلب العلم عند الوالد عبد الله بن حسين باشارة والده شيخنا الحسين كان أول كتاب قرأت فيه عنده بعد قرآءتي عند الوالد الحسين : بداية الهداية ، وكتاب الأذكار للنووي المسمى (حلية الأبرار وشعائر الأخيار) وكتاب الفصول المهمة في مناقب الإثنا عشر الأئمة ، وسماعات كثيرة جمة . ثم أمرني بعد ذلك بالقرآءة على ابنه جدي عبد الله فقرأت عليه ، فلما أتممته أخذت عليه في منهاج الطالبين للنووي وهو يشرح لي من المحلي عليه ، فلما توسطت في القرآءة عليه فيه إلى نحو كتاب الفرائض قال لي الوالد عبد الله المذكور : ياعلي إني استفدت من قرآئتك عندي أكثر مما استفدته من قرآئتي على مشائخي . ثم ابتدأت في حفظ كتاب إرشاد الغاوي مختصر الحاوي باشارة الوالد الحسين والوالد عبد الله ، وذلك مع كثرة الأشغال في الحراثة وغيرها من مهمات حوائجه

---

[1] الحويك بلهجة حضرموت : النساجين والغزالين

على سبيل المبالغة في ذلك ، بحيث لايخلو لنا وقت من ذلك إلا وقت المدرس عند سيدنا الوالد الحسين . وكان الوالد عبد الله يحك علينا في ذلك إلى غاية ، فكان ذلك منه نفع الله به مثل الرياضة لنا ، وإذا بدت له مهمة ندبني لها مع خادمه أووحدي ، وكنت إذا قضيت مايأمرني به الوالد عبد الله أبادر بعد ذلك إلى مجلس الوالد الحسين في أي وقت كان . وقد كنت لما ختمت القرآن العظيم على المعالمة المذكورين رحمهم الله تعالى كما تقدم قريبا ؛ أمرني الوالد الحسين بالقرآءة . والحمد الله الحمد لله الحمدلله في العلم الشريف ، فقرأت عليه بداية الهداية للإمام حجة الإسلام الغزالي ، وكتاب الأذكار للشيخ محي الدين النووي ، وكتاب الفصول المهمة للإمام ابن الصباغ المالكي . وحصلت لنا بحمد الله بشارات جميلة ، وإشارات جليلة ، ونفحات جزيلة من سيدنا وشيخنا الوالد الحسين المذكور نفع الله به ، وذلك أنه لما أمرني بالقرآءة في شيء من الكتب المذكورة حصل من بعض الأساتذة الملازمين إنكار في ذلك ، وقالوا : إن عليا صبيا صغيرا ولاقده حله يقرأ في الكتب المذكورة ، وقالوا : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ظانين أن من قرأ في كتاب من كتب الصوفية فقد صار من جملة الصوفية ، أوقرأ في كتاب من كتب الفقه فقد صار من جملة الفقهاء ، وهيهات ، إنما الصوفي من صفا باطنه من الغش والحقد والحسد وسيئ القول والعمل والنية والمعتقد ، وإنماالفقيه العالم بأحكام الشرع هو الذي يخشى الله ويتقه ، ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماؤا** ﴾ [الآية ٢٨ فاطر] ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾ [الآية ٥٢ النور] واستمر منهم الإنكار ثلاثة أيام وخشيت أنا

أن يصدقهم شيخنا ، فلما كان اليوم الرابع غضب عليهم غضبا شديدا وقال لهم : هه هه هه ! بما ذا عرفتم عَلِياًّ ماهو حله يقرأ في تلك الكتب ، وتكلم بكلام فيه من الثناء على المملوك مالايمكن ذكره ، فلله الحمد والثناء . وقد كرهت كلام أولئك المنكرين أولا لما ابتدأوا يتكلمون ؛ ولكن لما حصل بسببه ماحصل من الثناء من شيخنا حمدتهم ، فجزاهم الله خيرا من حساد ، لقد كانوا سببا في حصول هذا الخير الجسيم من هذا الإمام العظيم ، وقد قال الله تعالى ﴿ **فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ [الآية ١٩ النساء] . انتهى .

وسمعت أيضا عند شيخنا الكثير من الكتب التي تقرأ عليه وأنا حاضر وإليه ناظر ، منها : كتاب معالم التنزيل تفسير الإمام البغوي ، ومنها كتاب الرسالة للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري وشرحها للشيخ زكريا بن محمد ، ومنها كتاب البهجة في السير للإمام يحيى بن أبي بكر العامري ، وكتاب شرح الحكم للشيخ الكبير محمد بن إبراهيم ابن عباد النفري الرندي وغير ذلك .

واتفق لي أيضا أني كنت ذات ليلة خرجت إلى حرث البلد المسمى (التجروب) فلقيت الشيخ سهل بن الشيخ محمد باسهل ، وكان من أهل الخير والصلاح والدين ، فقال لي : إن هذا شهر رمضان قد هَلْ ؛ ونحن نقوم فيه في مسجدنا وإني أريدك أن تكون عندنا مدة الشهر المبارك ، وربما قال لي ومعنا تمر صدقة المسجد المذكور نعطيك منه شيئا عَيَّنَهُ لي ، فعند ذلك غضبت عليه وأجبته بكلام فيه خشونة ؛ وأنفت منه لما ذكر لي ذلك المسمى من تمر صدقة المسجد ، فقلت له أتريد أن تكون

طاعتي وقيامي في شهر رمضان بأجرة من الدنيا ! فحصل له من الشاغل من جوابي ماكدر عليه أيضا ، فوصلت المكان الذي أردته وأتيت بشيء من الرمام [1] من مال سيدي الوالد عبد الله ثم رجعت مسرعا كعادتي إلى البلد ووضعت الذي معي من الرمام في بيت الوالد عبد الله ، ثم قصدت حضرة شيخنا الوالد الحسين وذلك آخر العشية ؛ لأني أجده في ذلك الوقت وحده ليس أحد عنده إلا الله وحده ، لأن غالب الناس بالخلاء لإشتغالهم بأسباب الحرث ، فلما جلست عنده أظن أنه سألني أوأنا بدأته فأخبرته بكلام الشيخ سهل بن محمد المذكور وماكان من الرد عليه ، فقال : قم هذه الساعة واطلب الشيخ سهل فإنك ستجده مشغولا من جوابك وقل له : يقول لك الوالد الحسين الكلام صواب ، فقلت له إنه يريد أني أكون معلما على سبيل الإستنكاف مني من ذلك ، فقال : ألم تعلم أن الله تعالى إذا أحب عبدا جعله قيم مسجد ! فقلت إنه يريد أن آخذ منه أجرة على الطاعة ! فقال : إن أم موسى لما طُلبت لإرضاع ولدها موسى عليه السلام شرطوا لها أجرة على ذلك فَقَبِلَتْها منهم ، وإنما مرادها بذلك التوصل إلى إرضاع ولدها ، أوكما قال . فخرجت من عنده وجئت إلى عند الشيخ سهل وأخبرته بكلام سيدي الوالد الحسين ففرح وزال الشاغل عنه ، فأقمت عنده في المسجد تلك السنة والتي تليها والتي تليها إلى ماشاء الله ، أعني في شهر رمضان فقط . فلما كان في بعض الأيام وكان يوم الجمعة جاء إلى شيخنا الوالد الحسين المذكور رسول من عند إمام المسجد الجامع وجاء بالخطبة وقال إنه غائب أوقال به مرض وهذه الخطبة

[1] الرمام هو الحشيش الذي ينبت بين أشجار النخيل قوت المواشي

خلوا من شئتم يخطب بالناس ، فدعاني الوالد الحسين لأخطب بالناس وكنت أنا وهو وجماعة من الطلبة ، وقال : خذ الخطبة واخطب ، فأخذتها ولم أراجعه ، فقال إنسان من الحاضرين إنه صبي ولم يبلغ بعد ؛ فقال له ماعلى بالك إن إمامة الصبي في الجمعة جائزة إذا لم يكن من الأربعين . فمن يومئذ خطبت في المسجد إلى مدة ثلاثة عشر سنة .

وكنت ربما قلت شيئا من الشعر على عادة أهل الجهة بغير ضبط ولانحو ، فأخبر سيدي الوالد الحسين بذلك فدعاني ذات ليلة آخر السمر كما تقدم وقال : بلغنا أنك قلت أبياتا ؟ فقلت نعم ! فقال كيف أنشدها نسمعها ؛ فسمعته إياها فأعجبته إلا أنه قال لي لما أردت الخروج من عنده إحفظ القرآن واقرأ العلم واترك الشعر في هذا الوقت وعائده لك ، فلما خرجت من عنده ونمت أصبحت لاأقدر أقول شيئا مما كنت أقول ، بل نسيت غالب الذي قلته ونسيت أيضا جملة من الأشعار الأجنبية التي كنت حفظتها قبل ذلك . وكان قبل ذلك قد يأتي إليه ابن علي الشاعر الحضرمي فكان ينثر عنده جملة قصائد له ؛ وكنت إذا سمعت القصيدة مرة أومرتين حفظتها في الغالب ، فحفظت من ذلك جملة لإبن علي المذكور وغيره مما كنت أسمعه عنده من المُسمِّعين ، والحداة والمنشدين ، رجالا ونساء ، وكان يحب السماع بأي آلة كانت ومن أي من يحضر عنده كان من الرجال والنساء والولدان ، فلما قال لي أتركه نسيت جملة القصائد المذكورة حتى قرأت بأمره عند جدي ولده عبد الله بن حسين كما تقدم ذكره .

ثم بدأت في حفظ القرآن وذلك بعد أن توفي شيخنا الوالد الحسين على حسب ماتقدم لي الوعد منه من قوله : إقرأ العلم واحفظ القرآن وذلك مع الجد والإجتهاد فيه ، بحيث أني عطلت جميع الأشغال مما سواه ، فكنت إذا بدأت في حزبي قبل أن يأتي الغداء لا أتغدأ إلا بعد إكماله ، فاتفق إنهم جاءوني بالغداء وقد أخذت في الحزب فلم يمكنني أكله إلا بعد الفراغ ، فطرحته عندي ، ولم أقطع من ورد منهل القرآءة وردي . وكنت في زاوية المسجد الجامع بحريضة النجدي ، الذي لازم الصلاة فيه أبي وجده وجدي ، حتى حصلت قصدي ، وبذلت لربي على بلوغ إربي شكري له وحمدي ، بحسب طاقتي وجهدي ، ومايكون جهدي الحقير وحدي ، لولا جدي المهدي وجندي . فلما كان ضحوة النهار جاءني إنسان وقال : يقولون لكم آل فلان أخرجوا إلى مكان الفلاني مرادهم يصربون القطعة ولي فيها حصة ، فقلت في نفسي مالهينا نأكله مخبوز مفتوت فكيف نخرج إلى الخلاء نصربه . ثم قلت لذلك الداعي : سلم عليهم وقل لهم يصربون القطعة ويحفظون قسمي عندهم . وكنت أتحفظ كل يوم أربعة مقاري وهو ربع جزء ، وأدرس مع ذلك الذي حفظته جزئين ، وأقرأ كل مقرأ من الجزئين ست مرات ، المرة الأولى في المصحف والمرتين بعدها من حفظي . ويكون قرآءة الجزئين عبارة عن قرآءة إثناعشر جزء ، وكنت متى خرجت من المسجد إلى المكان أي مكان شرعت في التلاوة ، وذلك أيضا مع ملازمة الراتب ؛ راتب الأسبوع . وكنت لا أمل من التلاوة ولا أفتر منها ، ولاأجعلها مأربا لاجفاوة ، بل ألازمها قائما وقاعدا ، وماشيا ومنحدرا وصاعدا ، في الحضر والبداوة حتى يسر الله الكريم لي حفظ القرآن

العظيم ، مع تفاسيره الحديث والقديم . فلما حفظت القرآن عند ذلك أتاني وعد شيخي بالشعر المذكور ، فكان نظمه أهون عندي من شرب الماء البارد في الهجور ، وذلك وغيره كله مما يسره الله الكريم لي ببركة شيخنا الحسين المذكور . فهو نفع الله به شيخنا وسيدنا وقدوتنا وإمامنا على الإطلاق ، وليس معنا بعد الله ورسوله إلا بركته وسره ونظره المبارك الميمون ، فجزاه الله عنا أفضل ماجازى والدا عن ولده ، وشيخا عن تلميذه ، وإماما عن تابعيه . تقبل الله منه ورضي عنه وأعلى مقامه ، ورفع في أعلى المعالي دعامه ، وتجاوز عنا ماقصرنا فيه من الحقوق ، وغفر لنا ما اجترمنا إليه من الوزور والعقوق ، وأقالنا مافرطنا في جنبه وخلصنا من العثرات من جميع الشقوق ، وجمع بيننا وبينه في حضائر قدسه ، وجعلنا من أهل مودته وأنسه ، بمنه وكرمه ورحمته وفضله ، إنه المتفضل البر الجواد الرءوف بالعباد .

وتهيأ بحمد الله لنا من النظم للشعر الذي هو وعاء الحكمة ، وهجير صلحاء الأمة ، وترجمان أئمة الفهم والهمة ، المشار إليه بأن العرب تقول : لاتترك الإبل الحنين . وقد قال الشيخ عبد الرحيم بن أبي بكر البرعي شعراً :

كلام بلانحوٍ طعامٌ بلا ملح ... ونحو بلاشعر ظلامٌ بلا صبحِ
ومن يستفد علما ويلغها يعد ... بلا رأس مال في العلوم ولاربحِ

فعملنا منه مايعجب منه السامعين ، ويطرب المستمعين ، بحيث أنا لما عرضناه على أئمة العصر من أهل الفضل والنصر أعجبهم وأطربهم . فمن ذلك إنا لما نظمنا القصيدة التي هي على حروف المعجم والتي أولها :

إذا دخل الآدمي في السن شد   واحرص على الدنيا الغرور واحشد
إلا من الله اصطفاه وارشـد   فاقبل على دار البــــــقا تنشد

قال بعض أهل الفضل حين استملاء لآل جواهرها ، واستحلاء اعلى دررها ، ماهذه القصيدة من نظم البشر وأنما هي مما أملي على قلبك من اللوح المحفوظ . ولما زرنا حضرموت في سنة خمسين ومائة وألف في جماعة من الأصحاب ، وطلعنا على مولانا الحبيب الشيخ عيدروس بن سالم بن عمر الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم قال لنا : هل معكم من ينشد ؟ فقلنا نعم ! ومعنا الوالد الصالح الشادي المعرب ، الناشد المطرب ، السعيد الشهيد ، سعيد بن إبراهيم باداود ، فأنشد النشيدة المذكورة ، فقال لمن ؟ فقلنا ماهي بعيد ؛ فقال نفع الله به أهي لك ؟ فقلت نعم ياسيدي ، فقال والله ماظننت حين إبتدأ ينشد هذا الناشد بها إلا أنها أما للعيدروس وأما للحداد ، والآن الحمد لله الذي جعل في زماننا هذا من يقول مثل هذه النشيدة ، ثم قال لأخدامه ؛ بل قام بنفسه ليأتي بالبياض وبغا المعلم ينقلها له ، فقلنا له يامولانا الناسخ معنا كاتبا ؛ الولد احمد بن سعيد بادكوك والبياض معنا ، قال : إذا كان الناسخ معكم فلا أقل من أن نأتي بالبياض منا وأتى به ، فكتبناها له وقلنا له : يامولانا الحمد لله الذي نفقها عندكم وجعلكم سوقا لتلك البضاعة ، فكل بضاعة لاتنفق إلا في سوقها وأنتم من أسواق الخير التي تنقل إليه بضائع الخير .

وكذلك لما سار سيدي الوالد عبد الله بن احمد بن حسين بن عمر العطاس إلى مكة شرفها الله استصحب معه القصيدة التي مطلعها :

ياذا الجلال والإكرام   ياذا الجلال والإكرام

يإذا الجلال والإكرام ياذا الجلال والإكرام
ياذا الجلال والإكرام يامن بالأسرار علام
يا من علم بامرنا تام والنقض بيده والإبرام

فلما سمع بها الشريف الوالي بمكة وهو مسعود بن سعيد ، وذلك في أيام جدب وضرورة في مكة وغلاء في الأسعار ، فأرسل الشريف مسعود إلى الوالد عبد الله المذكور يقول له : إجمع كل من بمكة من السادة آل أبي علوي والفقراء والمساكين وجميع أهل الحرم ، واجتمعوا في مقام إبراهيم وتوسلوا إلى الله في نزول الرحمة بهذه الوسيلة الجامعة التي أنشأها صاحبكم علي بن حسن العطاس ، فاجتمعوا وشلوا بها أول يوم وثاني يوم وثالث يوم ؛ وفي اليوم الرابع إنفتح الباب وثار السحاب ، ونزلت الرحمة والحمدلله الذي أجاب .

ولما حصلت علينا الضائقة العامة والجائحة الطامة بجهة حضرموت والكسور والوديان في سنة اربع وستين ومائة وألف ، زرنا مشائخ الكسور من حوره إلى هينن إلى عندل إلى حريضة إلى الشيخ سعيد عمود الدين إلى الشيخ احمد بالوعار ومشائخ دوعن الجميع ، ووصلنا حريضة منتصف رجب ، وحين دخلنا البلد أنشأنا القصيدة التي مطلعها :

ضيفان يا المحضار الله وضيفانك
عسى تجئ الأمطار وتسقي أوطانك

فبينما نحن في بيت الوالد عبد الله بن سالم بن رضوان بحريضة إذ دخل علينا الوالد عبد الله بن احمد بن حسين المذكور بعد صلاة الظهر ونحن نستسقي على العادة بعد كل صلاة بآيات الإستغفار ، ونستغفر ،

وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونتوسل إلى الله به في نزول الرحمة ، ونأتي بجملة من قصائد الأولياء التي فيها الدعاء مثل المنفرجة ؛ وقصيدة سيدي الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس التي مطلعها : ببسم الله مولانا إبتدينا . على مأخذ :

إلهي ياكريم بحق ستة　　　بحق أهل الكسا أنظر إلينا

وغيرذلك ، فقال الوالد عبد الله بن احمد : لم لاتتوسلون بالوسيلة التي لكم والتي مطلعها : ياذا الجلال والإكرام المذكورة ، فقال إنها مما لايستكفى عنها بشيء . وأخبرنا بالقصة التي وقعت له مع الشريف مسعود ، وقال شلوا بها الآن المأخذ وتوسلوا بها . وكنا إذا أردنا الشل بها نجعل مأخذها أربع مرات ، ياذا الجلال والإكرام ، ودمنا عليها مع الوسائل المتقدمة للسلف والزيارات لقبور الأولياء الصالحين الأحياء ، والإستسقاء بأهل كل بلد نأتيها ، فوالله مالبثنا أياما حتى فتح الله أبواب رحمته وأكرم طُلاّبه ، ومَنَّ بالرضا والقبول والإجابة ، ودام الغيث سبعة أسابيع ، وحصل الموسم الشبيع ، حتى كان الناس بعد ذلك في الكسور والوديان يسمونها حميمة علي بن حسن ، ولها طعام من الطعام المشهور بين الطعام ياغلام ، والحمدلله الفتاح العليم الوهاب الكريم .

ولما سار صاحبنا النشاد عبد الله بن عوض بابقي إلى الجهة الحجرية في أيام الخريف ، أنشد بها ونزل المطر الكثير ، الذي يتغير منه التمر أي تغيير ، جاءه جماعة من آل بادغار وقالوا له لاتنشد بهذه النشيدة في أرضنا في مثل هذه الأيام فإنها تأتي بالمطر يجيب الله الداعي الذي ينشد بها ، فإذا وصلت إلى أرضك فانشدبها . انتهى .

وقد رأيت في بعض الليالي الوالد علي بن محسن بن حسين بن عمر العطاس بعد وفاته يقول لي : ياعلي إن ديوانك عرض علينا في البرزخ ، وإن البيت الفلاني منه قد أشكل علينا ؛ وهذا البيت قد استشكلته أنا فنسخته بالمحو من أصل الديوان . وقال لي بعض السادة آل باعلوي : كل قصيدة من نظمك أعطها حادي . وقال سيدي الحبيب الفقيه عبد الله بن علوي بن عمر بن عقيل السقاف صاحب قيدون : من أراد أن ينشد عندنا فلينشد لنا بقول علي بن حسن العطاس . وقال لي مرة : جزاك الله خيرا ياعلي عن آل باعلوي كافة وأصحابك آل عطاس خاصة ؛ بتصنيفك كتاب القرطاس ، والفصول التي وضعتها في أوله في فضائل آل البيت النبوي والمنصب العلوي عامة .

ولما قيل لسيدي الوالد علي بن حسين العطاس : ماأحلى نظم ولدكم علي بن حسن العطاس قال ذلك لأنه قول بعد فعل عن نجدة وفضل ، لاغزل ولامدح ولاهجاء . وأما القصيدة التي هي على تلك الأحوال فما أسهل فيها الأقوال ، وإنما تعسر الأفعال . فقال له السامع : أضرب فيها مثل ! فقال : إنه لما قال رضي الله عنه ونفع به آمين :

مشهد عمر قل لباشيبه ثبت مجمعه ماهت عطية شفية وصل في مقطعه
ضقنا عليها وصرنا بعدها في سعه والله معنـــا ولايقصـرمن الله معه

ماقال ذلك وأعمل فيه لسانه إلا بعد إن أستعمل أركانه ، بعد أن خاطب جنانه ودوح ميدانه ، أولا بالسكون بجهة الغيوار الذي هو أحر من طبقات النار ، ومأوى لكل ضار ، ودار المغار والغيار ، فَحوَّطَهُ بالقرآن والأذكار ، وبناء الحصون والرباطات والمدارس والزوايا والديار ،

بعد أن حفر فيه أبعد الآبار ، وصابر في تمهيد قواعده وتفهيد موائده وتمديد فوائده أي إصطبار ، حتى صار مجمع الأخيار ومأوى الأبرار ، وترتبت فيه الوقفة التي لاتماثلها وقفة في جميع الأقطار والأعصار، فهذا الفعل هو الذي حلا ذلك القول ، بحمد ذي العلا والطول . انتهى بمعناه .

(فائدة) إعلم أنه كان بلوغنا المشهد بجهة الغيوار لمن يشهد ؛ يوم الخميس حادي عشر شهر القعدة الحرام سنة تسع وخمسين ومائة وألف ، وكان الإبتداء في حفر أول بير فيه وهي التي تسمى عطية يوم الخميس خامس عاشوراء سنة واحد وستين ومائة وألف ، وقد حققت جميع تلك المهمات من أخباره وعيون آثاره ، وفنون مبانيه وآباره ، في كتابي المقصد في شواهد المشهد بخير مشهد ، وكذلك حققت جُمَلاً من ذلك في الديوان المسمى (**قلائد الحسان وفرائد اللسان**) . ولوذكرت جميع ماحفظته وماسمعته في نظم هذا الديوان الذي نظمته وسميته : قلائد الحسان وفرائد اللسان لطال وهال . وقد ذكرت شيئا من ذلك في رسم بعض القصائد في أصل الديوان ، وبعض القصائد قد يحصل لي فيها رؤيا ؛ أما بأول بيت أوبآخر بيت ، وبعضها أسمعه من الهواتف ، وجميع ذلك أوغالبه قد رسمته في أول النشائد للناشد ، والسائل المناشد .

(فصل) ثم بحمدالله حصلت الإشارة من شيخنا الحسين المذكور على لسان بعض المحبين له ولنا المنسوبين إليه ، أن طلبت تلقين التوحيد ، وتمكين عصبة الحبل المتين السديد الشديد ، فقال لي ذلك الإنسان جزاه الله خير الجزاء من الإحسان : أطلب من حبيبك حسين تلقين الذكر وإلباس الخرقة الصوفية ، ففرحت بكلام ذلك الإنسان توفيقا ولطفا

من قديم الإحسان وعظيم الإمتنان ، وقلت لشيخنا أريد منك تلقين الذكر ولباس الخرقة أوكما قلت ، فقال : أتقدر أن تصوم ثلاثة أيام ؟ فقلت نعم فأمرني بصيام ثلاثة أيام فصمتها ؛ وذلك في أيام الصبا وسني ثلاث عشر أوأربع عشر سنة وهي أيام زمان عنيد وقحط شديد في بلد حريضة خاصة ، وكان فطوري من عنده تمرا من تمر حجر ، لأن التمر لايوجد في تلك السنة المُجدِبة ، فكنت إذا كان آخر العشية آتي إلى عنده فأجده قد إختبأ لي الفطور تحت مصلاه ، وهو طنفس من البَز الأبيض البلدي محشو من العُطُب [1] ؛ وهو الجودري بلغة أهل حضرموت ، لكن الجودري هو الذي يُرَنَّق بأحمر وأسود وأخضر وأصفر ، وأصله أبيض ؛ فاشتق له الإسم ، أظن أنه يماثل وجه صاحب الجدري الذي تبقى آثاره في وجهه ، وأما مصلى شيخنا فإنما هو أبيض خالص ؛ وهو فراشه الدائم يخبئ لي من التمر المذكور قدر نصف رطل من تمر حجر ، لأن الأرض في تلك السنة فيها جدبة عظيمة ، وغالب أهل الكسور يموتون من الجوع ، وكنت لاأشعر الوالد عبد الله ولاغيره بذلك من الأهل ، فلما عبرت تلك الثلاثة أيام وجئت إليه بأمره في اليوم الرابع وقت صلاة الضحى قبل أن يصليها ، فأمرني أن أغتسل وأنوي به غسل التوبة ، وقال صل بعدها ركعتين وانوها ركعتي التوبة ، ففعلت ما أمربه في مصلى البيت الشرقي من بيوت داره بحريضة ، ثم جئته وهو في غرفة بيته النجدي فوجدته حين فرغ من صلاة الضحى ، فجلس متربعا ووجهه إلي وأنا مستقبل القبلة وتحته

---

[1] العُطُب : القُطن

الجودري المذكور أولا ، فوضع يده على رأسي ولقنني كلمة الإخلاص : لآ إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلمني النفي والإثبات وقال لي : قلبك ههنا في شقك الأيسر ، فإذا نفيت بلآإله فالتفت إلى شقك الأيمن ، وإذا أثبت بالله فالتفت إلى شقك الأيسر الذي فيه قلبك ، ووضع أصبعه الشاهدة على قلبي . فالحمدلله والشكر لربي وأبي ، أن أشكر لي ولوالديك ﴿ **وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ [الآية ٢٣ الإسراء] وألبسني طاقيته ثم أخذ مني الطاقية التي على رأسي فوضعها على رأسه وقال : أنت منا وإلينا ، أوقال : منا وفينا ؛ وهذا ألا زيادة . فلله الحمد الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وهذا مع صغر السن مني إنما هو بجاذب العناية السابقة من الله تعالى على يد كبير أهلي ، وإلا فأهل جهتنا خصوصا بلد حريضة إنما الغالب عليهم الإعراض عن ذلك ، بل لم أعلم أن أحدا منهم طلب منه ذلك قط أوذاكره فيه أبدا .

وأما غيرهم فقد أخذ عن شيخنا الطريقة جماعة من السادة آل أبي علوي وغيرهم من أهل تريم وغيرهم ؛ يأتون إليه من الآفاق ، فرادى ومع الرفاق ، كما يأتون إلى أبيه صاحب العلم الذي فاق كل علم خفاق ، ويلوون إلى جنابه الأعناق ، وقد كان والده القطب الحبيب عمر يأمر جماعة ممن يأتي للأخذ عنه بالأخذ عن شيخنا الحبيب الحسين المذكور .

وممن أخذ عن شيخنا السيد الشيخ عمر بن عبد الرحمن البار ، والسيد عمر الحامد باعلوي ، والسيد محمد بن زين بن سميط باعلوي ، والحبيب عبد الله بن جعفر مدهر باعلوي بالمكاتبة من (سرت) ، وقد ذكر لي ذلك في كتابه الرسالة التي أرسلها جوابا لورقة صدرت له مني ،

ورسالته تقريبا نحو الكراس وسماها : لمعة النبراس من إشراق العلم العطاس ، وهي جواب مكاتبة صدرت مني إليه بعد أن سافر من جهة حضرموت ودوعن والغيل وإلى جهة الحرمين الشريفين ، وبعد زواجه بدوعن بالشريفة المنورة الفاضلة : شيخه بنت احمد بن أبي بكر مدهر علوي بواسطة شيخنا القدوة عمر بن عبد الرحمن البار ، وسافر بالشريفة المذكورة إلى جهة الغيل والنقعة ؛ ثم إلى الحرمين وأولدت له بها . والشيخ عمر بن عبدالقادر العمودي صاحب قيدون ، والشيخ سعيد بن عبد الله باعشن صاحب الرباط ، والشيخ محمد والشيخ عبدالرحمن أبناء الشيخ علي بن عبد الله باراس وغيرهم مما لايحصى عددهم .

وهو نفع الله به تلقن ولبس عن والده سيدنا عمر ، وقد حررت ذلك كله في صدر كتابي المسمى : القرطاس في مناقب العطاس ، فليراجعها من أراد الوقوف عليها ، ولاسيما في السلسة في مناقب العطاس المنظومة المصونة ، والخزانة المختومة المخزونة ، التي أودعتها آخر فصل في إلباس الخرقة ، وهي منقولة من الديوان المسمى : قلائد الحسان وفرائد اللسان .

وقد رأيت في بعض المنامات الشيخ علي بن عبد الله باراس كأنه جاء إلى حريضة في جماعة من أصحابه الذين أخذوا عنه ؛ وجماعة من أولادهم والمنسوبين إليهم ، وكأنه في مظهر عظيم ومقام فخيم ، وكأني جئت إليه للزيارة والمصافحة من جملة السادة ، فلما وقع نظري عليه وقع في خاطري هل أنا أطلب التلقين منه والإلباس أم أتأدب مع شيخنا الوالد

الحسين وأكتفي بالأخذ عنه ؛ فأجابني على ذلك الخاطر وقال : يكفيك الأخذ عنه . انتهى .

وقلت مرة لشيخي الوالد الحسين المذكور أني رأيت في المنام كأني على منارة الجامع وكأني أذنت أذان الصلاة ، فقال : تحج إن شاء الله إلى بيت الله الحرام ، كأنه أخذ هذا التأويل من قوله تعالى ﴿ **وأذن في الناس بالحج** ﴾ [الآية ٢٧ الحج] .

ولنا منه نفع الله به بشارات وإشارات في حياته وبعد مماته ، منها ماتقدم من جوابه عني على الجماعة الذين حصل منهم الإنكار علي حين ألزمني القرآءة في الكتاب المتقدم ذكره . ومنها إن الصنو العلامة الصوفي فخر الدين أبابكر ابن الوالد الحسن رحمه الله تعالى رأى في بعض المنامات كأن الوالد عمر بن عبد الرحمن العطاس يمشي على سبيل مستقيم وبأني أنا عن يمينه ؛ والوالد عمر ممسكني بيده ، ومسك الصنو أبوبكر بيده الأخرى وهو عن شماله ، وكأن جماعة من الناس يرجمون إليه وإلينا بحجر ولايصيبنا منه شيء ، فقلت للصنو أبوبكر المذكور ونحن ببلد حريضة : إذهب إلى الوالد الحسين وقص عليه هذه الرؤيا ! فقال : كيف أرجع اليوم لأجل قصاصة الرؤيا وأنا بالأمس قد وصلت من حضرته ؟ فقلت : لابد أن ترجع لأن هذه الرؤيا عليها عمدة ، فامتثل الأخ المذكور ورجع ، فلما وصل إليه وهو ببلد نفحون قال له بعد أن قص عليه الرؤيا : أنت وصنوك علي تسلكون طريقة الوالد عمر إن شاء الله تعالى ؛ ولم يفسر له بقية الرؤيا . فلما كان بعد مدة من وفاة شيخنا الحسين المذكور ظهرت علامة صدق الرؤيا ؛ وذلك انه حصل علينا من الأذى من الجماعة الذين رآهم

الصنو أبوبكر يرجمون بالأحجار إلى الوالد عمر وإلينا فبدت فيهم العداوة والبغضاء والجفا والقطيعة ، ومساعدة من يعادينا ومقاطعة من يوالينا ، وذلك من غير سبب ظاهر منا ولادعوى ولاطلب حق لهم ، وإنما هم مبطلون علينا بطلا ظاهرا حتى آل الأمر إلى أن هجرنا البلد بالكلية ، فلم يكفهم ذلك حتى وصلنا أذاهم بعد الهجرة من البلد . وقد أشرت إلى ذلك بقولي شعراً :

وخرجت من بلدي فرارا منهم فوجدتهم خلقوا بكل بلادي

وسأذكر في هذه الترجمة بعض ماحصل لنا من الأذى والعنا ليتأسى ويتعزى من وقع له شيء من ذلك بنا ، كما تعزينا وتأسينا بالسلف الصالح من قبلنا ، مما وقع لهم من أضدادهم وقلنا ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [الآية ٢١ الأحزاب] ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقد قال تعالى ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ [الآية ٧ يوسف]

ثم إن شيخنا الوالد الحسين المذكور توفي إلى رحمة الله تعالى وذلك ليلة الخميس في نصف الليل منتصف شهر جمادالثاني سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، وأنا إذ ذاك في العمر ابن سبع عشر سنة كاملة . وقد بسطت الكلام على جميع ذلك وغيره ، من أخبار وفاته إلى رحمة الله تعالى وسَيره ، في كتابي المسمى بالقرطاس في ترجمة شيخنا المذكور .

ثم وقع بعد ذلك في نفسي العزم إلى بلد تريم والإقامة بها لطلب العلم الشريف ، فجمعت مايسره الله لي من الطعام وغيره وعزمت إليها ،

فلما أقمت بها نحو ثمانية أيام إذا أنا بالصنو أبوبكر مقبلا ومعه كتابا من سيدي الوالد عبد الله بن حسين يقول فيه : إلى حضرة الولد المبارك علي بن حسن سراج الظلمة ، بلغنا أنك تريد الإقامة بتريم ، وتريم لاتحتاج إليك فيها من يكفيها من أهلها ، وأنت لاتحتاج إليها وأرضك محتاجة إليك ، وحال ماتقف على كتابنا فقدك ترحل في الحال . وقال للصنو أبي بكر أنت القائم عليه بأن لايقف بعد ماتصل إليه ساعة واحدة ، فوصل سيدي الصنو أبوبكر وقت صلاة المغرب ليلة الجمعة وأنا بمسجد الحبيب عبد الله الحداد بالحاوي ، وذلك في حياة الحبيب الشيخ علوي بن عبد الله الحداد ، وأخبرني الخبر قبل الصلاة ، فلما صلينا قلت له السمع والطاعة للوالد عبد الله ولك ، ونوينا الرحيل من حينئذ ولكنا بغينا منك مهلة ثمانية أيام نزور تريم ونقضي حوائجنا ؛ فقال وهل يجوز أن أمهلك وقد قال لي الوالد عبد الله لاتمهله ساعة ! فقلت نعم يجوز لك ذلك ، والحاضر ناظر مع أني قد نويت الرجوع فوافقني على ذلك . فلما كان صبح يوم الجمعة المذكورة طلعنا من الحاوي لزيارة سيدنا الفقيه المقدم ومن عنده ؛ إلى عند سيدنا عبد الله باعلوي وابنه سيدنا علوي ابن سيدنا الفقيه وكافة أهل بشار ، ومن عندهم لزيارة الأحياء مثل سيدنا الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ، والحبيب عمر حامد ، والحبيب عبد الله بن سهل ، والحبيب طاهر بن هاشم بلفقيه بامغفون ، والحبيب سقاف العيدروس وغيرهم ، فلما رجعنا من زيارة الفقيه المقدم وذلك قريب التذكير وقد أقبل الناس للصلاة إلى الجامع ، فبينما نحن نسير في ساحة الخليف إذ نحن بشريف شيبة أعمى قديم السن تقوده جارية سوداء إلى مسجد الجامع ، فلما أحس

بنا قال لها قفي ، فصافحناه فقال من أنتما ؟ فقلت له أنا علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبدالرحمن العطاس وهذا أخي أبوبكر بن حسن ، وأنت من ؟ فقال أنا عبدالله بن أبي بكر خرد ، فسرنا نحن وإياه إلى الجامع ورجعت الجارية التي كانت تقوده ، فلما جلس في الجامع بالسترة البحرية جلست إليه وصلينا وخرجنا نحن والحبيب علوي الحداد إلى بيت الحبيب عبد الله الحداد في البلاد ، ولم نذكر الحبيب خرد المذكور بعد حتى كان اليوم الثامن وهو يوم الجمعة وهو آخر أيام المهلة التي حصلت لنا من الصنو أبي بكر وقد عزمنا على الرواح من تريم بعد الصلاة ، فحصل عندي أول البكرة شوق وجاذب قوي إلى الحبيب عبد الله خرد المذكور ، فطلعت من الحاوي أول النهار وحدي وجعلت أدور عليه بتريم ؛ وكل من لقيته قلت له أين بيت الحبيب عبد الله بن أبي بكر خرد قال لاأعرفه ، حتى طال علي المدار ، فلقيت إنسانا فسألته عنه فقال : آه حق الخليف ! فقلت لعله هو ، فقال في بيته في الخليف ، فسألته أيضا عن الخليف فأرشدنا إلى بيته رجل ، فلما وصلت استأذنت عليه وطلعت إليه قال : نحن قد اشتقنالك من أول البكرة وجلست عنده وعنده الشيخ السيد علوي بن محمد العيدروس يقرأ في كتاب فتح الجواد بشرح الإرشاد ، لأن الحبيب عبد الله المذكور يحفظ الإرشاد ويحفظ الألفية في النحو لإبن مالك ويحفظ القرآن ، وكان ورده كل يوم ربع القرآن وربع الإرشاد وربع الألفية كما أخبرني هو بذلك ، وقد قرأ على الحبيب احمد بن عمر الهندوان وغيره ، وقرأ عليه جماعة منهم الحبيب عبد الله بن علوي العيدروس صاحب بور السخي الكريم ، والحبيب احمد بن عبد

الرحمن بن محمد العيدروس صاحب الدحقة بشبام ، والشيخ سالم بافضل . فلما أردت الخروج من عند الحبيب عبد الله قال لي : إذا وصلت إلى بلدك حريضة أكتب لي ورقة لأجل نجوب عليك ، فلما وصلت حريضة وأقمت بها ماشاء الله أردت أن أكتب له ورقة كما أمر ؛ ففكرت في نفسي ماذا أكتب له وهل لا أزوره بنفسي ماشيا على قدمي ، ثم حصلت لي الهمة لزيارته بالقدم ، فجردت من حريضة ولبست الدلق وأخذت العصى وسرت حتى وصلت إليه وأقمت عنده ماشاء الله ، ثم عدت إلى حريضة .

ثم إني زرت تريم سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وزرته ، ثم زرته في سنة الخمسين في جماعة من الأصحاب وقام بالزوار وأمر ولده زين يقرأ علي في كتاب الزبد ، فقلت يقرأ عندكم فقال بل يقرأ عندك بحضورنا ، وهو شيخي الذي أشرت إليه في السلسلة بقولي فيه :

وذاك الشريف المنتقى معدن التقى　　　مليح اللقا ساكن تريم المدينة

وبقولي أيضا فيها في موضع آخر أتوسل بشيخي به إلى الله تعالى :

بشيخي خرد ساكن تريم تولني　　　وخذ من عدائي كل معلن ومخبت

ولما زار الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي تريم سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف لم يتفق به ، ثم جاء نحن بعد مدة خبر وفاته أي الحبيب عبد الله خرد المذكور ونحن ببلد القرين بدوعن ؛ تأسف عليه وترحم له واستشفع الله به وقال : أما أنت ياعلي فقد أدركته وظفرت به ، وأما نحن فقد فات علينا . هذا كلامه نفع الله بساداتنا الجميع . وخبره معنا

طويل وخيره جزيل وهذا دليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والله على ما أقول وكيل .

ثم إني لما رجعت من تريم إلى حريضة وأقمنا بها ماشاء الله ، وغالب مجلسنا في زاوية مسجد الجامع والإمامة له علينا مع ملازمة القرآءة على سيدي الوالد عبد الله والوالد احمد ابناء الحسين في كتاب الإحياء وغيره من كتب الفقه والتصوف والأدب والطب ، ولما طلبت مقامات الحريري وأردت القرآءة فيها على الوالد احمد بن حسين والوالد عبد الله بن حسين المذكورين ولم نكن قبل ذلك نراها ، قالا لي : إقرأ فيها وفسر لنا معناها على سبيل الإنصاف نفع الله بهما ، لأنهما كانا بالمحل الأعلى من الإنصاف وهضم النفس ؛ وذلك طبعا من غير تكلف ، حتى إن الوالد عبد الله كان إذا فرغنا من القرآءة عليه وحضرت الصلاة قال لي تقدم أنت ياعلي صل إماما بنا ، وأنا إبن ابنه وهو جدي وشيخي . وقال لي يوما إني استفدت منك من قرآئتك علي في الفرائض أكثر مما استفدته من القرآءة فيها على مشائخي . ثم إنه لما كان في بعض الأيام ونحن نقرأ عند الوالد احمد بن حسين إذ جاء إنسان يحفظ نشيدة الحبيب احمد بن زين الحبشي نفع الله به التي مطلعها :

لبست بحمد الله لبسا محقـقا مع الإذن في الإلباس من قطب دورة

فلما تم إنشادها حصل عندي الشوق لزيارة الحبيب احمد بن زين المذكور ؛ فعزمت على ذلك بعد أن شاورت سيدي الوالد احمد بن حسين فأنعم لي بذلك ، وذلك في حياته نفع الله به ، فلما وصلت إلى حضرته الشريفة حصل لي منه غاية الإكرام ، وقابلني بالبشر والترحيب

والإنعام ، كما هي عادة أهل الله مع من يزورهم لله ، وجعل يسألني عن جملة أحوالي الدينية والدنيوية ، فلما سألني عن خاصة أمر المعيشة وغيرها من مهمات الوقت قلت له في أثناء شيء من ذلك : على الله . ففرح بهذه الكلمة وظهر منه السرور بها وقال : نعم على الله ، ثم قال : مايطرح ياولدي . ثم قلت له والله لوكان الوقت يساعدنا والأرض تحمل الرغبة فيها لانفارقكم ساعة ؛ ولَمَا سبقنا هؤلاء الملازمون لكم إليكم ، وكان ذلك بعد أن صلى بنا صلاة الظهر ، ثم إني طلبت منه أيضا الإتصال به والأخذ عنه بقرآءة شيء من الكتب عليه وقلت له : عَيِّن من ذلك ماشئت أن أقرأ عليك ، فقال : إقرأ علينا الذي تريده أنت ، فقلت له : ماتقولون في سورة الفاتحة لوقرأتها عليكم ؟ فقال هي الجامعة لجميع المطالب ، فحينئذ تربع جالسا في قبلة مسجده وَوَجَّه إلي ، فقرأتها عليه ، ثم قال لي بعد تمامها : ونحن نريد نقرأها أيضا عليك ، فإن جدك عمر لما ألبس الحبيب عبد الله الحداد طلب منه أن يلبسه ، وقال له : نلبسك ياعبدالله بشرط أن نلبس منك . ثم قرأ الحبيب احمد الفاتحة حتى أكملها . وإلى ذلك أشرت بقولي في نظم السلسلة شعراً :

وعن احمد ابن الزين قد كان أخذنا لأم كتاب الله عين العناية
قرأها لنا من بعد ماقد قرأتها عليه ببيت الله في خير ساعة

ثم ابتدأ يذاكر في سيدي الوالد عمر ، وكان لذيذ المذاكرة فيه . ومن جملة ماقاله : إنه ترابي الأخلاق لايمكن لأحد المشي على قدمه ، خصوصا في التواضع وهضم النفس ولين الجانب وعدم الدعوى بالكلية . نفع الله بالجميع . وهذا ليس هو بأول إتفاق لي بالحبيب احمد نفع الله به بل

قد زرته مرارا ، وكان أول إتفاق بالحبيب احمد المذكور في بلدة شبام في مسجد بن احمد وذلك إني جئت إلى تلميذه السيد محمد بن زين بن سميط باعلوي وقلت له : إني مشتاق إلى رؤية الحبيب احمد بن زين الآن ولاصبر لي عنه وكان وقت العشية ، فقال السيد محمد : إنه قد يأتي البلد ولكن أما هذا الوقت فإنه قليل مايأتي فيه ، فجعلت أتلهف للقائه ، فلم نلبث إلا قليلا حتى ظهر علينا ، وكنا نحن والسيد محمد المذكور وصنوه علي وجماعة من أهل شبام جلوسا في مسجد بن احمد ، فطلع علينا كأنه البدر في تمامه فقمنا إليه ، أما أنا فكدت أطير إليه من الشوق وعارضته حين دخل باب المسجد فعانقته ، وهذا أول إجتماع لي به وأول رؤية لي فيه ، وعددتها من كراماته الكبار وآياته لأولي الأبصار والإعتبار ، وعجب حينئذ السيد محمد ومن حضر ذلك المجلس . ثم إني خرجت أنا والخال بكار بن احمد بن عقبة من المسجد المذكور وهو الذي قصدت مكانه في شبام ، وجئت أنا وإياه إلى المسجد المذكور ، وبعد إتفاقنا بالحبيب احمد قال لنا : ستخرجون إلى خلع راشد ، فأجبناه إلى ذلك ، ورجعنا إلى بيت الخال بكار وتعشينا بعد صلاة العشاء ، ثم سرنا من شبام بعد العشاء وقصدنا إلى مكان الحبيب احمد بن زين المذكور وزرناه بخلع راشد في مكانه نفع الله به .

وسيأتي في هذه السفينة ذكره مستوفي بترجمة مفردة له فيها تحقيق ماتقدم وغيره ، وتاريخ وفاته نفع الله به وبسائر عباد الله الصالحين . وكنت رأيت ليلة وفاته وأنا ببلد هينن كأن القمر إنخسف وهوى من السماء إلى جهة حضرموت حتى وقع على الأرض ، فلما كان بعد يوم

أويومين جاءنا خبر وفاته نفع الله به . وكان السيد احمد المذكور من كبار العلماء العاملين ، ومن الأئمة المجتهدين ، ومن المشائخ المشهورين المربين الداعين إلى سبيل رب العالمين . وناهيك بما في كتاب شيخه الحبيب عبد الله الحداد أشار إليه إلى أن قال : السيد الشريف العالم الصوفي انتهت إليه رئاسة حضرموت بعد شيخه الحبيب عبد الله الحداد . وله مصنفات كثيرة منها : كتاب السفينة الكبرى ، وشرح العينية ، والمسلك السوي ، وشرح القصيدة التي مطلعها :

وصيتي لك ياذا الفضل والأدب إن شئت أن تسكن السامي من الرتب

وله شعر غير ذلك مليح صحيح المبنا نفع الله به ، وأعاد علينا من بركاته آمين .

وكنا في حال الإقامة ببلد حريضة نتردد إلى زيارة الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي وذلك في شهر رجب والجمعة التي تليها ، وربما أصعدنا بعدها في بقية الشهر نزور بقية المشاهد التي في وادي دوعن حتى نبلغ إلى الرباط ، وزرنا الشيخ سعيد بن عبد الله بن علي باعشن تلميذ سيدنا الوالد الحسين بن عمر في حياته ، وهو المشار إليه بقولي أيضا :

وذاك العشيني قد سعدنا بسعده سعيد ابن عبد الله مجلي الجلالة

وكان من أكابر أولياء الله تحكى عنه كرامات كثيرة منها أنه قال : رأيت كأني أمشي في بعض الطرقات وإذا أنا بشخص جالس على الطريق مثل البعير البارك ، وإذا في رجليه شناطيب حديد مثل الجنابي العراض الحداد المذلقات ، فإذا هو يصيب أرجل من مر به ، فقلت له مل من

طريق الناس ؟ فقال : أنا لا أميل ولكن أنت تميل منها ولايصيبك مني شيء ؛ قال : فقلت له من أنت ؟ فقال أنا الباطل . وأخبرني الشيخ احمد بن سعيد باحميش قال : حضرنا جنازة في بلد الخريبة نحن والشيخ سعيد بن عبد الله ؛ فلما دفنت الجنازة وخرجنا إلى بلد الرباط إذ نحن ببعض أولاد شيخه الحبيب حسين بن عمر العطاس قد جاء من بلد حريضة وإذا هو يكلم الشيخ سعيد يقول له : يسلم عليكم الوالد الحسين ويقول خاطركم بالرحمة للمسلمين وخصوصا بلدنا حريضة فإنها قد طالت المدة عليها ، ويقول لك الوالد الحسين إن شربت حريضة في هذه الأيام وإلا فإنه باينقل مَكْلَفه [1] إلى اليمن برأيك ! فلما سمع الشيخ كلام ذلك الرسول الذي جاء من عند الحبيب الحسين حصل عنده غاية الإهتمام والشاغل من ذلك ، وقال : ياجماعة قصدنا نرجع إلى ضريح شيخنا محمد بن احمد بامشموس نزوره ونتوجه إلى الله ببركته في السقياء ؛ أونَقَدُم على ضريح الشيخ احمد بن عبدالقادر باعشن نزوره ونستسقي عنده لحريضة وجميع البلدان ، فقال له بعض الجماعة الذي معه : هذه الساعة ليل علينا ، وكان الوقت قريب المغرب ولايمكن الرجوع إلى القرين لزيارة الشيخ محمد بن احمد بامشموس المذكور ، إلا إنك تَقدُم بنا على الشيخ احمد بن عبدالقادر ونتوجه إلى الله به والشيخ محمد بن احمد ؛ قال : فأجاب الشيخ سعيد إلى قول ذلك الرجل ، وقصدنا زيارة ضريح الشيخ احمد بن عبدالقادر ، فلما قربنا منه إذا نحن ننظر إنسانا قد أقبل من أسفل الوادي

[1] المكلف بلهجة حضرموت : النساء والأطفال

وسبقنا إلى قبة الشيخ احمد ودخلها من غير أن يفتح بابها ، بل بقي الباب مقلود بعد ماولج ، فتعجبنا لما غاب شخصه ، وكلم بعضنا بعضا في شأنه وقلنا ترون ذلك الإنسان إلى أين ذهب ! فوصلنا عند باب القبة ونحن نذكره فيما بيننا ثم فتحنا باب القبة ودخلنا فإذا هو جالسا ملتفا بثوب ؛ فسلمنا عليه فرد علينا السلام وقال : ماحاجتكم ؟ فقال له الشيخ سعيد حاجتنا السيل لبلد حريضة فقال : قضيت حاجتكم وأخرجوا ، قال ذلك احمد باحميش راوي هذه الحكاية . فقلت للشيخ سعيد قل له يدعو لنا فقال هؤلاء الأصحاب : أصحابي حط النظر عليهم ، فقال إن شاء الله ، فعند ذلك حصل على الشيخ سعيد مثل الوجد وخرجنا من القبة . فما مضت ثمانية أيام حتى أنزل الله الغيث وعم به البلاد لاسيما بلد حريضة فكان شربها زين جم .

(قلت) فانظر أيها الواقف على هذه الحكاية ومافيها من الإتصاف بجميل الأوصاف وهو الإنصاف من سيدي الوالد الحسين ؛ إذ أرسل إلى الشيخ المذكور يأمره ويطلب الرحمة ويشاوره في عزمه إلى اليمن ومفارقته إن لم تقع الرحمة للوطن ، مع أنه تلميذه ومتحقق بالإنتساب إليه والأخذ عنه وكثرة الزيارة له . (قلت) وهذا من باب مشاورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة رضوان الله عليهم وطلبه الدعاء منهم حين أمره الله بذلك بقوله تعالى ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ [الآية ١٥٩ آل عمران] وقوله تعالى ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [الآية ٣٨ الشورى] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لاتنسانا يا أخي من صالح دعواتك) تعلم أن القدم على القدم ، وأن من الحَقَ فأقدم ، وقد إقتدى بمن تقدم ، والله أعلم وأحكم وأرحم .

أيضا هذه الحكاية تناسب ماروي أن بعض الناس جاء إلى سيدي الشيخ عبد الرحمن السقاف يطلب منه الدعاء فقال له : أمض إلى إبني عمر المحضار يدعولك تقضى حاجتك . وكذلك قد جاء نظير ذلك في الآثار وصح في الأخبار مايؤيد ذلك ؛ فلانطول بذكره .

(فائدة) أمر الفاضل بطلب الدعاء من المفضول هي بيان فضيلته عند المأمور ، كما إن فائدة الإبتلاء من الله لعباده المؤمنين بالمصائب هي للتأديب لهم ؛ كضرب المعلم للمتعلم ، وقد بينت ذلك في كتابي الرياض المؤنقة . وأما الرجل الذي جاء من أسفل الوادي ودخل القبة قبلهم ؛ فالذي وقع في خاطري أنه الشيخ محمد بامشموس لأنهم قد نووا زيارته ، ولأنه أيضا شيخ الشيخ سعيد المذكور والله أعلم . وكانت وفاة سيدي الشيخ سعيد بن عبد الله المذكور عشية الجمعة لإثنين مضت من شهر شوال سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ؛ وعمره قريبا من سبع وستين سنة . والله أعلم .

وقد ذكرت قصة وصول سيدي الشيخ سعيد بن عبد الله باعشن لحضور ختم الوالد الحسين هو وأصحابه في آخر ترجمة الوالد الحسين في كتابي القرطاس . وقد جاء مرة هذا الشيخ لزيارة الوالد الحسين هو والشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله باراس في جماعة من أهل دوعن ؛ وحضرت وصولهم إليه إلى بلد نفحون وأكرمهم بغاية الإكرام . وكذلك مرة أخرى قد جاؤا قبل تلك الزيارة لزيارته هو والشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن عبد الله باراس وكانا لايتفارقان ، وبينهما من المحبة والإمتزاج مالا يعلمه إلا الله . وحصلت الصهارة بين أولاد الشيخ عبد

الرحمن وأولاد الشيخ سعيد المذكور لمحبة هؤلاء الشيخين المذكورين بعضهما لبعض ، ولكن حالهم في هذا الوقت غير مطلوب لأنه قيل أن صحبة الآباء صلة في الأبناء ، ولكن الناس غفلوا عن مكائد الشيطان وقد حذرهم الله عداوته بقوله تعالى ﴿ **يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما** ﴾ [الآية ٢٧ الأعراف] أي المحبة ﴿ **ليريهما سوأتهما** ﴾ أي العداوة . وقال تعالى ﴿ **إن الشيطان لكم عدو** ﴾ أعلمهم بعداوته وحذرهم منه فقال ﴿ **فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ [الآية ٦ فاطر] وحكى الله أيضا عن يوسف عليه السلام قوله ﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لمايشاء إنه العليم الحكيم** ﴾ [الآية ١٠٠ يوسف]

ولنرجع إلى مانحن بصدده ؛ أي إلى ذكر المقصود وكله ذكر ومقصود ، ثم إني قصدت الشيخ الكبير عبد الله بن عثمان صاحب الدوفة بوادي الأيسر وأقمت عنده مدة وقرأت عليه كتاب أسرار الطهارة من جملة كتاب إحياء علوم الدين ؛ مع حضوري المدارس عنده الكثيرة ؛ وسماع المجالس المنيرة ، وأقمت عنده أياما كثيرة ، ثم رجعت بإشارته إلى حريضة من طريق قيدون والوادي ، ثم عدت إليه مرة ثانية لقصد حاجة واحدة لا أطلب سواها ولا أتمنى إلا هي وهي : إني لما وصلت إليه وتمثلت بين يديه قلت له : إني أطلب منك أن تطلب الله لي أن ينزع من قلبي الغش والحقد والعداوة لأحد من المسلمين كائنا من كان ، فلما قلت له ذلك تعجب من مقالتي وفرح بذلك مني ، وحصل لي منه غاية الإقبال

والفرح والأنس بقولي هذا ، وبقيت عنده أياما كل يوم أقول له : الله الله إجتهد في الدعاء بقضاء الحاجة المطلوبة . وأردت أن أسأله تلقين الذكر والإلباس ولكني تأدبت معه ومع شيخي الوالد الحسين بن عمر ، وربما قلت في نفسي عسى الله أن يأتي بذلك من قبل الشيخ عبد الله بن عثمان المذكور ، فبينما أنا عنده في بعض الليالي أو الأيام إذ جاءه إنسان يطلب منه التلقين للذكر فقال كلكم ياهؤلاء الجماعة تلقنوا ؛ فحصل لي المطلوب بحمدالله تعالى . وهو وشيخي الوالد الحسين بن عمر العطاس هما اللذان أشار إليهما الوالد الشيخ عبد الله بن علوي الحداد بقوله في حياته وحياتهما : مانحن مستأمنون في جهات الوديان والكسور ووادي عمد ودوعن إلا على حسين بن عمر العطاس وعبد الله بن عثمان . والحمد لله الذي جعل هؤلاء الشيخين مشائخي على التحقيق بالقرآءة والمجالسة والمذاكرة والتلقين والمصافحة والإلباس والزيارة والعنوة من بعيد ؛ مع قوة الطلب وحسن الظن الذي هو باب جميع الخيرات ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [الآية ٢٩ الحديد] فكان آخر المجلس المذكور قام الشيخ وجاء بكتاب فيه خطبة تحتوي على ذلك فقرأه لنا نحن والجماعة الذين طلبوا ذلك منه .

وقد سمعنا عن هذا الشيخ من الأخلاق والمناقب مالايحد ولايحصى ، منها : أنه لما ظهر في جهته القريبة التي تنسب إليه بعض السادة آل باعلوي بنشر العلم وإظهار الدعوة ، قال لجماعته آل العمودي

الذي ذلك الشريف عندهم : ياقومنا أجيبوا داعي الله ؛ يحثهم على مساعدته في طاعة الله .

ثم إني زرته مرة ثالثة وخلوت معه وهو مريض تعيب في مرضه الذي توفي فيه بحيث أنه مستلقي على ظهره لايقدر على الإنحراف ولا القيام ؛ فأشرفت في وجهه وقلت : ياشيخ عبد الله كن معنا فإنا مستمدون منك وقد أكثرنا التردد عليك رغبة فيك وتكلفنا المسير والمجي والمراح في هذه الجبال والرحاب ؛ وماذلك إلا لأجل إستمداد الدعاء والتماس البركة منك ؛ فعند ذلك أجهش بالبكاء ومد يده حتى لواها على عنقي ووطا رأسي إلى وجهه حتى فغر الدمع من عينيه ولمس وجهي بسبب الملاصقة وقال : إنما المستمدون نحن من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت له : لاتردنا بهذا فإنا مستمدون منك وأنت مستمد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم إني توجهت من عنده فبلغني خبر وفاته إلى حريضة ، رحمة الله عليه . وكانت وفاته ليلة السبت السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هـ .

وكان الشيخ عبد الله بن عثمان المذكور من أهل الولاية والنور ؛ عالما عاملا ورعا زاهدا نقيا تقيا ، طُلب أن يتولى القضاء فامتنع ، ولما ألح عليه صاحب الأمر بأن يتولى القضاء قال له : وتنفذ ما أحكم به من الحق ؟ قال نعم ! فقال : أول ما أحكم به عليك أن تقتل أخاك فلانا فإنه قتل فلانا ظلما ، وقد قال تعالى ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص** ﴾ [الآية ٤٥ المائدة] ثم تركه عند ذلك . وله مناقب كثيرة وآيات شهيرة ، وعليه آثار

النور لائحة ، وأسرار البركة بائحة ، ودواعي الحق صائحة . نفع الله به وبسائر عباد الله الصالحين ، آمين اللهم آمين .

ولما بلغني خبر موته أسفت عليه وأنشأت فيه أبياتا مرثية أرثيه بها ورحلتها إلى حضرة الشيخ الكبير سعيد بن عيسى ثم إلى حضرة الشيخ الكبير عمر بن عبد القادر العمودي صاحب قيدون الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ثم سار بها احمد بن عوض بن سِلْمِه الذي كان أولا إنتسب إلينا ثم ارتد آخرا ففسد علينا ، فقرأها على الشيخ عمر في مسجد جامع قيدون وحصل منه الأنس ، وعرضها على الشيخ عبدالله باعمر العمودي وقال له جوب عليه عنا ، فقال : إني لا أقدر على جواب السادة ، يقول ذلك على سبيل الإعتراف . واتفق أن احمد بن عوض بن سلمه المذكور وصل بالقصيدة إلى قيدون ووجد عند الشيخ عمر إنسانا من الأشراف العلويين من أولاد السيد فتح الموصلي ؛ وهو رجل سائح يصوم الدهر ، وهو أيضا من أولياء الله يقال له : ياسين بن احمد من أهل البيت ساكن الموصل ، وقد وصل إلى الجهة بعد ماحج البيت الحرام ، وزار قبر النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وهو من أهل بيته الكرام . فكان رجوع احمد بن سلمه من عند الشيخ المذكور هو والسيد ياسين ، فوصلوا الهجرين واتفقوا بصاحبنا الشيخ فخر الدين أبي بكر بن وجيه بن عبد الله بن عفيف وأكرمهم وقال له ياسين : إن عاد نحن بانتفق بانسان صفته كذا وكذا قبل أن نصل إلى حضرموت ، قال أبوبكر : ففهمت أنه يريدك أنت ذلك الإنسان ، وزاروا زاوية الشيخ احمد بالوعار . ثم إنهم سرحوا فجعل السيد ياسين المذكور يذاكر احمد بن سلمه فينا ويصفنا له

ويصف جماعة من أهل حضرموت منهم : سيدي الحبيب احمد بن زين الحبشي وغيره ، ثم إنهما لما بلغا مكانا يقال له الغيوار حصل مع احمد بن سلمه الخوف من قطاع الطريق ، ولم يشعر السيد ياسين بذلك لئلا يشغله بل بقي مشغولا في نفسه ولم يتكلم ، فقال السيد ياسين : أنت تخاف بهذا المكان ؟ قال له أحمد لا ! فقال السيد المذكور بلى ؛ فقال احمد نعم نخاف فيه لأنه ملصة وفيه الحرامية ؛ لايعدي أحد إلا ويأخذون مامعه ، فقال السيد ياسين : لاتخف ، قال احمد المذكور عند ذلك زال عني الخوف . (قلت) وكأنه أشار بقوله : لاتخف إلى ماسيحصل مما حصل الآن من العمارة لهذا المكان وهو الغيوار الذي كان بالخوف كأنه ميفا من ميافي النيران ، ثم صار بالأمان بستان من بساتين الجنان ، فسبحان من ما شاء كان ومالم يشاء لم يكن سبحان . وقد حققت هذه الواقعة بأبسط من هذا في كتابي المقصد إلى شواهد المشهد ، وذكرت القصيدة التي قلتها في شيخي عبد الله المذكور بكمالها .

ثم لما وصلوا إلينا ونحن ببلد حريضة وأقام السيد ياسين عندنا مدة ثلاثة أيام ؛ ثم سار إلى جهة حضرموت فاشتغلنا لفراقه إلى غاية ، وكان لما عزم من البلد لم يطلب رفيقا ولادليلا بل خرجت معه إلى طرف تحت البلد أشيعه وودعته ورجعت وأنا مهموم لفراقه ، كان الله معه ونفع به .

فلما كان بعد مَسِيرُه [1] بيوم أويومين إذ أنا بأحمد بن سلمه المذكور قد أقبل إلينا وقال : إني أريد التوبة والإنقطاع إلى الله عندكم ؛ وأريد أن

[1] مسيره : ذهابه

أحلق الوفرة ، وكانت عليه وفرة وشفرة ، وكان قبل ذلك يقرأ القرآن ويأتي إلى عندنا في بعض الأحيان لأنه قد حصل له رضاع من والدتنا في حال كونها ترضعني ، فلما كبر بقي ذلك الإتصال حاصل معه ، فكان آخر ذلك لودام ، ولاحول ولاقوة إلا بالله ، فأمرته عند ذلك أن يحلق الوفرة وألبسته كوفية ولازم مجلسنا من ذلك الوقت ولم يفارقنا إلا لضرورة ، فلما رآه والده أقبل علينا وانقطع إلينا وقع منه مايقع من مثله من البشر الجاهل ؛ وحصل منه كراهية لذلك ، وساعده علينا بعض الشناة لنا وقالوا مايصنع ابنك عند هذا السيد يقطعه من حوائجه ثم لاينفعه بعد ذلك آخر الوقت ولايغني عنه شيئا ؟ فكبر علينا منه الأذى ؛ فقلنا له مامعنا عون عليك ولاعلى الذين تكلموا علينا إلا حسين بن عمر ؛ فعند ذلك حصل له مثل الأدب وحصل له بعد ذلك سكون .

رجعنا إلى تمام الكلام عن شأن احمد بن سلمة المذكور : ثم إنه لازمنا في أول الأمر ملازمة حسنة بصدق ومحبة صافية أكيدة لله وفي الله ، بحيث أنا لانشك في أنا لو أنا قلنا له نريد نبيعك في السوق لم يراجع . وكان أول أمره من أهل الفضل والصلاح والأوصاف الجميلة الملاح ؛ يواسينا بنفسه وماله ، وله جد واجتهاد في العبادة ، واستخلفناه في إمامة المسجد الجامع لما هاجرنا من بلدنا حريضة إلى بلد الهجرين الآتي ذكرهجرتنا إليها ، فقام أول مرة أتم القيام مع تعليم القرآن للصغار من السادة وغيرهم لله تعالى من غير مكافأة منهم ، بل ربما وصل الأذى إليه من آبائهم ، ثم إنهم آخر الوقت لما أشرقت أنواره وذاعت بالخير أخباره ، تزامروا عليه وأخرجوه من إمامة المسجد حسدا لنا وبغيا علينا وعدوانا وظلما من غير

موجب ، وماذاك في الحقية إلا لنا لاله . ولقد كابد سلفنا من مثل هؤلاء أعظم مما كابدناه نحن من بن سلمه ومن غيره ، فلنا بهم أسوة وفيهم قدوة ﴿ **سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾ [الآية ٢٣ الفتح] ثم إنه والعياذبالله في آخر أمره ظهر منه الإرتداد وترك الإمتثال وخلع ربقة الوداد ، ودخل في زمرة الحساد وغمرة أهل العناد ، وذلك مكتوب في سابق علم الله المقدر مايشاء على عباده من إشقاء وإسعاد ، أوتقريب أو إبعاد ، فأدبر عنا وترك الإقبال علينا . ثم إنهم بعد ذلك أحبوه وأرجعوه إلى وظيفة المسجد لما تحققوا تركه لنا وتركنا له . ثم كان آخر أمرهم معه أن أخرجوه وزَوَّلوه والعياذ بالله من أهل تالي زمان الذين لاخير فيهم ؛ ولاميرا لمن يستكفيهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم .

وتزوجت أنا ببلد حريضة قبل الخروج منها بالشريفة سلمى بنت محمد بن احمد بن حسين العطاس فولدت ابنتين ، الأولى تسمى شيخه وقد توفيت ، ثم الثانية فاطمة وكانت ولادتها بفاطمة المذكورة في سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، ثم إنها كانت لاتدر بلبن لأولادها ، فلبثت معي مدة حتى أزمنت بلد حريضة وحصل فيها الجدب الكثير ، فقالت عساك تسير بي إلى بلد كنينة ؛ بلد بالشق البحري قريب من حجر ، وهي الجهة التي يقال لها ميفع ، وبها اجتمع سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، والشيخ سعيد بن عيسى عمود الدين والدنيا والآخرة ، والشيخ عبد الله باعمر وهو الذي يقال له صاحب الدلق ، والشيخ باحمران

المقبور ببلد كنينة برأس القارة ، اجتمعوا بها عند شيخهم الشيخ عبدالله الصالح المقبور ببلد كنينة أيضا ، وقصتهم مشهورة فلانطول بذكرها .

ونرجع الآن إلى ذكر مسيرنا بالشريفة من حريضة إلى عند والدها السيد الصوفي ولي الله محمد بن احمد فأجبتها إلى ذلك ، وسرت بها من حريضة قاصدين كنينة المذكورة ، فلما وصلنا بلد الخريبة أقمنا بها أياما عند جدها شيخنا الوالد احمد بن حسين بن عمر ، فبينما نحن ذات غداة جلوس عنده في البيت الذي هو فيه ببلد الخريبة إذ دخل علينا الشيخ حسن بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن عبد الله باراس وبيده ورقة ، وكنت جالسا أنا وعبد الله بن سالم بن رضوان الحريضي وهو قريب مني ، فلما ناول الشيخ الوالد الورقة وفيها خبر موت فإنها حصلت عندي منها وحشة ، فلما قرأها أعطاني إياها فإذا فيها خبر وفاة السيد محمد بن احمد المذكور وذلك في حدود آخر سنة خمس وأربعين ومائة وألف أودخول السادسة والأربعين ، فعند ذلك تركنا المسير إلى جهة كنينة وأقمنا بالخريبة أياما ، ثم انتقلنا إلى بلد القرين بدوعن وذلك بطلب من بعض المحبين آل باعشن ، ثم إني تركت الأهل ببلد القرين وذلك في وقت الخريف في نحو نجم الإكليل أوبعده ، وسرت إلى حريضة لقصد رد العهد ، وخرجت من القرين وقت صلاة العصر أنا وعوض بن مفروش الحريضي وكان مقيما ببلد القرين أخرجه الذي أخرجنا من بلد حريضة ، فقلت له أين نمسي ؟ فقال أما برحاب وإلا القويرة عند منصور باجميل ، فقلت إني لآ أعرفه فقال أنا أعرفه وأنه قد عزم علي وقال : متى فرغت وأمكنك أن تجئ فأت إلي تمسي ليلة ؛ والرأي نقصد عنده أنا وإياك لأنه بايفرح إذا جئنا معا ،

فوافقته وقصدنا منصور المذكور ، فلما كنا قريب من بلد القويرة إذ بِعَوَض بن مفروش يرى جماعة مقبلين إلينا مصعدين ونحن منحدرين ، فقال هذا منصور باجميل ومعه جماعة وأظنهم رسم من الدولة وقصدهم حبسه ، وأنت أثبت لهم لعلهم يتركوه لله ولنا ، فقالوا إنما نحن مأمورون وإنا رسم عليه من عند الدولة وقد شكى إنسان عليه له دين في ذمته ، ولسنا حبسناه في دفعة ولاخرس دولة ، فقلت لهم وإن كان ذلك فالقصد أنكم الليلة تتركونه وعاده لكم ، فقالوا لانتركه أبدا ، فخل سبيله وأمض إلى بيته وأهله يكفونك ، فعند ذلك قلت لهم : أنتم يا أهل تالي زمان مثلنا نحن وأنتم سوى لافينا برهان ولافيكم حشمة مثل بن رباع وثعله ، ولكن أقول لكم عمر ابن عبد الرحمن أسود من الغربان إن سرتم به خطوة واحدة بعد كلامي هذا ، فكبر الأمر عندهم ؛ فقالوا نرجع بشرط نرجع إلى بيته نحن وأنتم ونقلد الباب ولايدخل علينا أحد البيت ونسرح به مصعدين للحبس ، فقلت لا بل نرجع ومن جاء يدخل وتكون المراجعة بينكم وبينه ، فإن استحسنتم أمري وقبلتم وإلا فهو بأيديكم ، فقبلوا ذلك ، ورجعنا نحن وإياهم . ثم لماكنا بحيث يرانا أهل البلد إذا نحن بجماعة قد أقبلوا من البلد يطردون باجميل وقصدهم رده من أيديهم قهرا إن لم يردوه باللطف جبرا ، فنظرنا فإذا هم يزيدون على عددهم ، فوالله الكريم لولم يقبلوا منا ويرجعوا معنا لينـزعوه من أيديهم قهرا أوليقتلوهم إن قاتلوهم ، فعند ذلك فرحوا الرسم وباجميل وآل باهبري ونحن بالسلامة حيث رجع باجميل معنا فالحمدلله على سلامة الكل من الكل ، وبتنا تلك الليلة في دار باجميل والعسكر عند باهبري ، فلما كان الليل حصلت حركة في النجوم فباتت

تلك الليلة كأنها الجراد المنتشر ترمي في كل جانب من السماء ، وذلك ظاهر بخلاف العادة بزيادة كثيرة ، واستمر ذلك إلى الصباح ، وأصبح الناس يتذاكرون ويتعالمون به لشدة ظهوره ، فكان ذلك والحمدلله عاقبة ذلك حصول الفرج العاجل ، وحصلت البركات ورخاء الأسعار بعد الغلاء الشديد المفرط .

ثم إني عزمت الصبح إلى جهة قيدون وأمسيت ببلد العرسمة ، ثم وصلت نهار ثاني إلى قيدون وذلك في آخرحياة سيدي الشيخ عمر بن عبد القادر نفع الله به ، فقصدت الشيخ سعيد وزرته ، ثم قصدت بيت المحب محمد بن علي باقدامة فوجدت عنده السيد حسين ابن أبي بكر بن سالم بن عمر ، والسيد احمد بن عبد الرحمن آل العطاس ، فإذاهما يشكون الحاجة التي جآؤا لها إلى قيدون ولم تقضى ؛ وهو أنهم جاءوا بصوغة وقصدهم بيعها ومرادهم بها وصلة من الطعام ، فلم يتفق ذلك لضيق الوقت وعموم الجدب وغلاء السعر في الجهات كلها ، فقلت لهم لاباس الحاجة إن شاء الله مقضية ، وهذا القطب الكبير الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ؛ وكذلك القطب الكبير الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي ؛ قوموا بنا نزورهما ونستمد الدعاء والبركة منهما ، فقالوا نزور أيهما المتقدم ؟ فقلت الشيخ عمر لأن زيارة الحي أقدم وأفضل ، فقمنا نحن والخطيب عمر بن علي باراسين ومحمد باقدامة فطلعنا دار الشيخ عمر وذلك بعد صلاة الظهر ، فحصل لنا منه غاية القبول والإقبال والأنس والإكرام ، وطالت المذاكرة بيننا وبينه حتى وقع بخاطري وأنا بحضرته من غير أن أتكلم ماكنت قديما أسمعه من العامة يقولون : إن الحبيب عبد الله الحداد

باعلوي قال يوما وقد ذُكر عنده الشيخ عمر المذكور : إنه يفعل مثل مايفعله الفقيه عمر بن عبد الله بن احمد بامخرمه في بعض الحالات من تعاطي السماع وغيره من النساء وغيرهن ، فقال الحبيب عبد الله عند ذلك : إن عمر بن عبد القادر مثل عمر بامخرمه ويزيد عليه بأن هذا مشائخه آل باعلوي وذاك شيخه أومشائخه فقراء ؛ أوقال باهرمز وهو فقير ، فكنت أدرج هذا الكلام في قلبي وأُكرره على خاطري وأقول في نفسي : ليت الشيخ عمر يذاكرني بذلك فاعلم صحته أوضدها ؛ لأن الغالب على أهل الجهة في مثل هذا التساهل في تعاطي رواية ماليس له أصل ، وأقول في نفسي إن كان حضوري هذا مع إنسان حاله كحال الشيخ عمر بامخرمه فقد نلت خيرا كثيرا ، أوماهذا معناه . فحينئذ أجاب الشيخ عمر ذلك الخاطر الذي في نفسي وقال نعم ؛ إن فلانا وسماه من أهل دوعن وأظنه قال من أهل الخريبة وهو احمد ابن المعلم سعيد باسودان ؛ جاء إلى عند الحبيب عبد الله الحداد بعد أن أصعدنا نزوردوعن في مظهر كبير بالقصب والطيران والمسمعين ولعاد نحن قاصرين إلا من القحيبات ؛ وساق القصة بتمامها ، فحينئذ قلت أنا الحمدلله على ذلك ، وزاد يقيني واطمأن لبي في الشيخ بماهنالك وحسن ظني فيه ، مع إنه والحمدلله كان حسنا قبل ذلك . ثم إن الشيخ عمر سألنا عن الحال ومن أين جئتم ؛ فقلت له : أما أنا فمن علو دوعن وقصدي الوصول إلى حريضة وربما أني أريد بلد هينن عند الوالدة ، وأما الجماعة فقد وصلوا إلى قيدون مرادهم يبيعون صوغة معهم ولانفقت ولم تقض حاجتهم والوقت ضيق ؛ وأنتم يا أهل الله غافلون عن الدعاء للناس بالرحمة ، ثم كررت عليه الكلام

وأكبرت له الملام ، فقال : لاحول ولاقوة إلا بالله ، ثم ابتدأ يذاكر في الناس وقال ماعاد فيه قضا حاجة وإنما مرادهم ذبح من جاءهم وأخذ ماله بغير قيمة التي تنصفه فيه ، ومامرادهم إلا الذبح ؛ وقال بيده على الأخرى ، ولكن لله باب ليس يقلد كأنه أشار إلى قول الفقيه عمر بامخرمه حيث قال شعراً :

يا الله إن خان راعي العهد واخلف من أوعد

وانقلد باب من يرجى من الخلق وارتـــــــد

فإن لك باب يامولاي ماقط يقـــــــــلد

ماهو ألا لوفَّاد المســــــــــاكين مقصد

يا الله إنا شردنا إليك ياخـــــــــيرمشرد

ثم قال : أنتم عند من هذه الليلة ؟ فقلنا : عند محمد باقدامه ، وجاء عندنا الخطيب عمر وجئنا لزيارتك نحن وإياهما وهاهما حاضران والمساء يكون عندهما ، فقال الشيخ عمر : لا أنتم عند محمد باقدامه ولاعند الخطيب ! فقلنا السمع والطاعة ، وخرجنا أيضا إلى عند الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وقلت للسيد احمد وكان لبيبا : تكلم لنا عند الشيخ سعيد وبَيِّن حال الناس واشكي عنده أمر القحط فإنه حي يسمع مانقول مثل الشيخ عمر وأسمع وأبصر ، فحصل من السيد احمد كلام شديد شكية إلى الله في حضرة الشيخ ، ثم لما صلينا العصر في المسجد فإذا برسول الشيخ عمر يقول لباقدامه : يقول لكم الشيخ عمر بسم الله إلى البيت للعشا ، فجئنا إلى بيت الشيخ عمر ومرادنا نجلس في الجناح ، فقال إطلعوا إلى الفاضلة ، فطلعنا إلى عند الشيخ فقال للشيخ عثمان

باعبدالرحمن باعبد القادر وهو تلميذه وأخوه ووزيره : إغسل على السادة ؛ فغسلنا فقرب العشا من جنوس كثيرة من طعام بر وذره ومسيبلي وتمر ولحم ؛ بحيث يكفي خمسين نفر ، وتعشا الشيخ معنا وجعل يأكل أكلا كثيرا ، وقال : قد لي مدة كثيرة ذكرها لم آكل أنا وأحد ؛ وإنما الليلة فرحت بكم فأكلت معكم ، فلما شبعنا من الجفنة شلها بيديه ثم إذا التَفَّتْ يديه بها رفعها وأكلها حتى أكل شيئا كثيرا بحيث أنا تعجبنا من كثرة ما أكل حينئذ ؛ وذلك من حسن ظنه وعقيدته في أهل البيت النبوي واتباعه سبيلهم العلوي ، لاسيما أكابر آل باعلوي . وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال : من أخذ لقيمات من مكان يد عالم أكل من صحفة إلا كانت له دوى من كل داء .

ثم إنا لما أصبحنا تغدينا عند الشيخ عمر المذكور ، وسرحنا من قيدون إلى عند آل باصيعر وأخذنا منهم إنسانا خفيرا إلى الغار فرجع ، وسرنا ؛ فلما قربنا من بلد الهجرين قالوا الجماعة بانطلع إلى الهجرين ؛ فقلت لهم مانستجرئ على المطلع عند أحد والناس في هذا الضيق الشديد ؛ فراجعوني في ذلك ولم يرجحوا مارجحته من عدم طلوع البلد ، فقلت لهم نقدم إلى الجابية ونسقي الراحلة ويدور الرأي في طلوع البلد وعدمه ، فطابقوني على ذلك . فلما بلغنا الجابية وأسقينا الماشية لقينا الذي مرادهم أنا نقصده عند الجابية ؛ فصافحناه ولم يعزم علينا للطلوع للبلد ، وعرفنا ضعف حاله ، وبدا للجماعة صواب ماعرفه العبد وقاله . وبتنا تلك الليلة عند خادم غيل الجابية ومعنا من الدقيق الذي كفى الجماعة ، وبتنا في مشاورة من شأن السروح في مخافة الغيوار وعدمه ؛ فرجح بعضنا الإقامة وانتظار السعف إلى أن يحصل الخفير ، مع إن الإنسان في الغيوار لايمكنه المسير

إلا بحصول السيارة الجم الغفير ، من ذوي الرمح والبندق والجفير ، ولاتمضي فيه العير إلا بالنفير الكثير ، وذلك قبل وضع المشهد المشهود الشهير ؛ بنحو خمسة عشر سنة ، فقال السيد احمد وكان مزاحا : ماذا نخاف عليه إذا سرحنا إن كان هذا الخرش الذي أردنا نبيعه ولانفق من شدة الزمان فلامبالاة إذا أخذوه اللصان ، و أما الناقة فهي ناقتي ولا أكره إن لقينا جماعة من اللصان وذبحوها وأكلناها نحن وإياهم ! فقلت لهم لاباس نسرح ونقرأ يس وراتب الحبيب عمر ، فاجتمع رأينا على السروح ، وتوكلنا على الله القدوس السبوح ، رب الملائكة والروح ، فسرحنا متوكلين على الله في مخافة الغيوار ، وأخذنا شقه القبلي بطن نخر ميخ ، فلما خرجنا من مفتك نعام سمعنا ضرب البنادق في شقه الأعلى لاندري على صيد أو على فيد ، وضربنا الراحلة حتى بلغنا حميشة بشدة شديدة ، عبرنا واللصان في الغار الأحمر ، وحصلت بحمد الله تعالى السلامة . وبعد تلك الأيام بأيام غاروا الصيعر على نخل الشيخ علي بن سعيد باوزير صاحب السفيل بسدبه وقطعوه ، ولم يقدر أحد من دولة الكسر وعسكره وقبائله يتعرضهم ، ووقعت الرحمة العامة تلك الليلة وحصل الرخاء في جميع الجهات بحمد الله وبركات المشائخ .

وكانت وفاة الشيخ عمر بن عبد القادر المذكور ليلة الأحد عاشرة رجب الأصب سنة سبع وأربعين ومائة وألف هـ ، وكنت أنا أول رجب ببلد هينن زائرا الوالدة ، فلما كان في بعض الليالي رأيت كأن الناس يُغَفِّلون يقولون : لآ إله إلا الله ياغافلين ، على عاداتهم إذا كسف القمر أوخسفت الشمس ، وكأن القمر شارقا ، فكأني أقول : مابال الناس يغفلون والقمر

سالم مابه كسوف ؟ ثم نظرت فإذا القمر مقارب الجبال البحرية التي إلى جهة دوعن ، وإذا هو ينزل إلى الأرض ، فقلت صدق الناس ؛ ما أرى القمر إلا يريد أن يقع على الأرض ، فلما انتبهت علمت إن هذا الشيخ عمر سيموت . وكنت إذا رأيت القمر إنكسف علمت أنه سيموت كبير من الأولياء أوقريب وفاته ، وإن كان دون ذلك المقام رأيت كأن كوكب سقط على الأرض ، وذلك معنى قوله تعالى ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [الآية ١١ المجادلة] فحينئذ عزمت إلى حريضة ومنها إلى دوعن ، فتوفي الشيخ قبل أن أصل قيدون ، ولقيت خبره في الطريق . فلما جاء الكتاب إلى الوالد محسن بن حسين وجميع السادة آل عطاس قالوا : قد سار الولد علي بن حسن وهو كافٍ عنا في حضور ختم الشيخ عمر ، فحصل عليه الختم المعظم ، فكانت في تلك الليلة ضيافة كاملة .

واتفق أن وقعت الضيافة لختمه عشية الخميس مضوى ليلة الجمعة المسماة بجمعة بايزيد وهي ثالث جمعة في شهر رجب ، والجمعة التي تليها هي المسماة جمعة العبيد . وقد كان هو نفع الله به يفعل ضيافة للزوار في تلك الجمعة في تلك الساعة ، وهذا من عجائب الإتفاق ، ولها نظائر لانطول بذكرها .

وكان الشيخ عمر المذكور من العلماء بالله ، ومن المجتهدين الدائبين في عبادة الله ، ومن الناصحين لعباد الله ، جد واجتهد في العبادة ، وله اليد الطولى في السخاء والكرم بحيث لم يبلغنا عن أحد من السلف أنه بلغ مقامه في الكرم حتى حاتم طئ ، لأن هذا على طريق الصوفية ؛ التي هي روح جسم السيرة النبوية ، وتمثال خيال الأخلاق الإلهية ، تخلقوا بأخلاق

الله ، السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار . وماذلك إلا من قبل التصريف الذي يختص به من يشاء من أوليائه ، الذين بلغوا ذلك المقام ؛ حتى كان يقول إذا قدم الطعام للضيفان : من أراد البركة الجم يأكل الأكل الجم . ويقول : الذي يكفي الجماعة أقدمه للواحد . وذلك بضد مايقوله الناس : ماسد واحد سد جماعة . وهذ لما كان أمره مبني على ماذكرنا قال بضد مايقوله الكرماء . والله ثم والله إن الذي رأيناه من كرم هذا الشيخ المكرم لايقدر يطيقه البشر .

وحكى لي بعضهم قال : جاء الشيخ عمر إلى بلدنا فطلبناه أن يخرج يستسقي بنا فقال : إفعل إن شاء الله وليس معي إلا ثلاث : حسن الظن بالله ، وحسن الظن في خلق الله ، وطرح مسكنتي فوق مسكنتكم . يعني بين يدي الله . قال : فخرجنا فكان السيل تلك الليلة من فضل الله ببركته . ومن مشهور المستفيض له مع جلسائه أنه كان يتكلم بكل ماكان يخطر في ضمائرهم ، وقد اتفق لنا معه مدة مثل ذلك كما قدمناه ، وكذلك مارأيناه من شدة مجاهدته في العبادة لايطيقه البشر ، وماهو إلا آية من آيات الله .

وبالجملة فقد عرفت أنا في هذا الشيخ عمر المذكور ثلاث خصال ، كل واحدة منها عبادة مستقلة بنفسها يمكن أن يصل العبد بها إلى رضوان الله وقبوله تعالى وحدها ، الأولى : كثرة جده واجتهاده في أنواع العبادة من الصلاة والصيام والحج والزكاة ، والذكر والتذكير ، وقيام الليل وتلاوة كتاب الله العزيز ، بحيث إن الختمة للتلاوة لاتزال دائمة بين يديه ، وكل

نوع من أنواع العبادة فله منه اليد الطولى بحيث لايساويه غيره فيها . الثانية : كرمه وسخاؤه وجوده وإفضاله على الواردين من زوار الشيخ سعيد وغيرهم من أهل البلد ، وصلة أقاربه بحيث لايخلو له وقت من الإكرام للضيفان من الدول والأكابر والأمراء ؛ والقوي والضعيف والفقير والبدوي والحضري ، حتى صار كرمه كالمطر يصيب الشجر ذات الثمر والحجر مع المبالغة في ذلك . الثالثة : خلقه العظيم الوسيم الذي هو أرق من النسيم ؛ وأصفا من التسنيم ، بحيث صار الناس عنده سوا في كونهم مقبولين محمولين مشمولين كأنه الأب الرحيم للجميع ، للبدوي والحضري والعالم والجاهل والعاقل والغشيم ، فتراه يكلم كل واحد منهم بما يفهم ؛ فيحسب أنه لايعامل إلا هو ، بل قد سمعته أنا يتكلم لبعض البادية بلغتهم تنـزلا منه لهم ، وإذا جلس في مجلس تكلم بما يليقه ذلك المجلس ، حتى أني لما زرت الشيخ سعيد أول زيارة لي واتفقت بالشيخ عمر في سمر عام عند بعض أهل البلد وسمعته يمزح معهم ظننت أنه خادم البلاد الذي يقال له الصبي والدلال . فرضي الله عنه كما رضي عنه ، وتقبل منه كما تقبل منه ، فهو بحمد الله مظهر من مظاهر الجمال والكمال ، ومفخرا إذا تفاخرت الرجال بصالح الأعمال ، ومناقبه كثيرة تقتضي تصنيفة مستقلة بها ضخم المجلدات . نفع الله به وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين .

ثم إني تزوجت ببلد هينن بشيخة بنت خالي سهل بن أبي بكر ابن الشيخ شيبان بن احمد بن سهل ، وكانت من النساء الصالحات المباركات أمي عمتها ، فولدت لي إبنا مباركا سمع منه العُطَاس وهو في بطنها ؛ شهدت بذلك جماعة من النساء منهن الشريفة فاطمة بنت السيد

محمد باصره باعلوي ، ومات بعد الولادة واسمه الحسن بن علي ، وقد كنت ليلة وضعته أمه بهينن وأنا بحريضة رأيت كأني في جامع بلد هينن ؛ وكأن الناس قد إجتمعوا لصلاة الجمعة ؛ وكأن الرداء على كتفي وهو ثوب ريحاني سقط من على كتفي ؛ فأخذه رجل من الموتى ولم يرده إلي ، فلما كان اليوم الثاني جاءني الخبر بوجود الولد وموته ، ثم حملت أيضا وولدت لي منها البنت المباركة مريم ، ولقد كنت أنا وإياها ليلة مقبلين من بلد حريضة فسقطنا من ظهر البعير وسقط المحمول علينا وهي حاملا بها لها نحو ستة أشهر ، وقلنا يتلف الحمل الذي في بطنها فلم يضره شيء ، ووضعت بها لخمس بقين من شهر القعدة الحرام سنة تسع وأربعين ومائة وألف هـ، فلما كان في بعض الليالي ونحن ببلد حريضة بعد مارجعنا من هينن ؛ رأيت كأن الشيخ عامر بن شيبان أقبل علي وهي بيدي ؛ وقبل صدرها ثم قال : أما هذه فما هي ألا شمس ، فمن يومئذ لقبت شمس .

ولما دخلت تلك السنة وهي سنة خمسين ومائة وألف في أيام جدب وقحط وسنين في الجهة ؛ زرت سيدي الوالد عمر والوالد حسين على نية الإستسقاء ، وأنشأت وأنا في التربة قصيدتي التي إمتدحت بها الوالد عمر التي مطلعها :

هو السيد المشهور من آل هاشم حوى من مقامات الأكابر أعلاها

ثم عزمت من بلد حريضة إلى هينن أتحرى المسير حيث المسايل الصافية حتى وصلت إلى بلد هينن من طريق وادي الحجيل ، وقد حصلت لنا همة الزيارة لطلب الإستسقاء إلى تريم لزيارة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وغيره من مشائخ حضرموت ، فلما بلغنا شبام نويت

الخروج لزيارة الشيخ عبد الله القديم باعباد صاحب الجرب ، وقد بلغنا أنه لمازار شيخه احمد ابن الجعد صاحب الطرية في خمسمائة رجل من حضرموت ، قال له الشيخ احمد ابن الجعد صاحب الطرية متمثلا بقول الأول شعراً :

تكلم بما أبصرت يابارق الحما　　　　فإنك راوٍ لايظن به الكذب

قلت لبعضهم : إني أردت أن أزور الشيخ عبد الله وأريد أن أقول بيتا مناسبا لذلك الذي يتمثل به شيخه الشيخ احمد ابن الجعد إلا أني أقول :

تكرم بما أفضلت ياحامي الحما　　　　فإنك عِدٌّ يرتجي عنده الشرب

فقال ذلك الإنسان وكان من أهل العلم : مامرادك بقول عِد ؟ فقلت هو المنهل الكثير الماء الذي لاينقطع ماؤه لافي شتاء ولاصيف ، وكنت لا أحسب أنه يذكر أعني في كتب اللغة ؛ وإنما أخبرته بما يتعارفه أهل الجهة عندنا من تسمية العِد ، فلما قرأت كتاب تهذيب الأسماء واللغات للشيخ الإمام محي الدين النووي قال : العد هو المنهل الذي لاينقص ماؤه شتاء ولاصيفا ، وهو فيمايقع في خاطري أن غالب القلوت والغدران التي تكون في الشعاب والأودية الخالية ؛ خلاف الأنهار والبحار والآبار ومايحتاج إلى النزح وغيره . والله أعلم .

ولما وصلت إلى المكان المسمى بالحزم بعرض شبام عند السيد الشهاب احمد بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس وصليت خلفه الظهر ؛ لم أسمعه يقنت لنازلة القحط بالإستسقاء : اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا ، إلخ . فقلت له في ذلك ؛ فقال نبهتنا لشيء كنا عنه غافلين . أما

أهل تريم فإنهم ملازمون السناوة قائلين : إن أمطرت أوماأمطرت سنينا ، وأما نحن وأهل شبام ونواحيها فإن مطرت وإلاسنينا ، وأما أنتم يا أهل علوى فإن مامطرت كيف تصنعون ؟ فقلت له ونحن نقول : إن مطرت وإلا بكينا ! فقال صدقت وعجب من ذلك . وقد ظهرت لنا أمارة إستجابة الدعوة في الرحمة ونزول الغيث من ساعة مازرنا الشيخ عبد الله القديم بن محمد باعباد صاحب الجرب ، وذلك أنه ظهر السحاب وهبت الرياح وهي حارة بالليل ليلة أمسينا بشبام فيها طش دقيق .

ثم سرنا من عند السيد احمد بن عبد الرحمن المذكور وقصدنا خلع راشد وحضرنا مدرس السيد جعفر بن احمد بن زين الحبشي فجيناه قبل الغداء وتغدينا عنده ، وبعد صلاة الظهر عزمنا إلى تريس وقصدنا إلى السيد عبد الله بن عقيل بن سالم بن عمر العطاس بعد مازرنا ضريح الحبيب عبد الرحمن بن محمد الجفري صاحب تريس ، وأمسينا عند السيد عبد الله ؛ وذلك ليلة الجمعة آخر شهر الحجة الحرام ، وبقينا بتريس يوم الجمعة منتظرين وصول السيد الحسن بن الحسن بن علي الصادق الجفري باعلوي ، وكان السيد المذكور من النجباء من طلبة العلم فيه نجابة مع صغر سنه ، وبعد صلاة الجمعة قصدنا مسجدا في البلد يقرأ فيه جماعة العلم على السيد حسن المذكور من أهل تلك البلاد ، ثم بعد ذلك خرجنا نحن والسيد عبد الله بن عقيل ، والسيد الحسن إلى محل قريب من البلد ؛ قرأ لنا فيه السيد الحسن في ديوان أظنه لبعض الأدباء ، وفعلوا قهوة هناك ؛ وأمسينا عند الصنو السيد حسن أنعم له السيد عبد الله ووافقه مع كونه قد حسف العشاء لنا ، ولكن لما كانت عند السيد حسن

موجبة أظنها موجبة عرس أوغير ذلك ؛ وافقه فتوة ومخالفة لهوى النفس ، مع أن هذا الحال قد لايسهل على الإنسان الموافقة فيه ؛ ولو لأقرب القربى فضلا عن غيره .

وقد جاءني مرة وأنا بحريضة جماعة من المحبين على قصد الزيارة فوافقوا صاحبنا الوالد عبد الله بن سالم بن رضوان تحت بلد حريضة ؛ فصالحهم وهرب منهم ، ثم إنهم لما قصدوا عندي البيت جاء وكان قد طلب مني أن إذا جاءني الضيفان بأن أخصه بنصيب منهم ، فتشاورنا في شأن الواصلين بأن نقدم لهم العشاء ماحصل ؛ والغداء معنا رأس سمين ؛ قلنا نذبحه لهم ، فقال الوالد عبد الله بن رضوان الراس سمين ولايستغرقونه ؛ ولكن إجعلوا نصفه الغدا عندكم ونصفه صُبُغ [1] عشاهم عندي وهو علي بقيمته ، فقال الوالد عبد الله بن حسين : وأنا بعدكم غداهم عندي ، فغديناهم بنصف الراس وقلت لهم أخرجوا إلى بيت الوالد محسن بن حسين ؛ وإذا عزمكم للعشاء قولوا له قد نحن معزومين ولاتقولون عند فلان ، فإنه لاتطيب نفسه بعشاكم الليلة يكون عند بن رضوان ، فلما خرجوا قلت للوالد عبد الله لاتحسف العشا فإن الوالد محسن سوف لايعذرهم لك ولايتركهم الليلة عندك ، فلما اطمأن بهم المجلس عنده وقد علم أنهم قصدوا عندي قال لهم عشاكم الليلة عندنا ؛ فقالوا له نرسل لفلان فربما قد سبق علينا عزام لأحد عنده ؛ فقال قم يافلان لرجل أرسله معهم وقل له ماهم الليلة عند أحد أبداً ، فلما جاءني الرجل قلت له أرجع إليه

---

[1] الصُبُغ : الإدام

وقل له إن الذي عزم عليهم قد حسف عشاهم ؛ ومرادي بذلك أعلم الضيفان بمحبة الوالد محسن للضيفان ؛ وأنه كما قال الشاعر في مدح بعض الكرماء أهل الإحسان :

إذا ورد الضيف المكان تنازعوا   عليه فلم يدري المُقِلّ من المثري

فلما أعلمه بذلك قال : معاد باتخرجون من البيت إلا بعد العشا ، فإنا قد ذبحنا شاة وإن عادكم معكم لعلي مراجعة فقوموا راجعوه ، فقالوا نحن نقوم ونراجعه ونرجع للعشا إن شاء الله إلى عندك ، فلما رجعوا أعلمتهم أني ماقصدت بذلك إلا إعلامهم وظهور هذه المنقبة من ذلك الشيخ السالك ؛ وأنه لمكرم عبيد السالك ، وأعلمتهم أيضا بقولي لعبدالله بن رضوان ساعة خروجهم بأنه لايحسف لهم العشا ، وإنما ذكرت هذه القصة بكمالها بعد قصة الحبيب عبد الله بن عقيل في موافقته الحبيب حسن بن علي لأعرفك حسن نياتهم في أخلاقهم الذي هو رحمة وموافقاتهم ونقول : اللهم أعلي درجاتهم وانفعني ومن تبعني ببركاتهم ياكريم ، آمين .

ثم نعود للمقصود وكله مقصود ، وبتنا تلك الليلة بتريس وبات البرق يلمع من كل مكان ، وسرحنا يوم السبت إلى سيئون قاصدين زيارة سيدنا الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه ؛ فوصلنا إلى ضريحه وقت الغداء ، وأرسلنا دابتنا إلى بيت محبين لنا يقال لهم : محمد وحسين أبناء دحمان بابهير ، وزرنا الشيخ الفقيه زيارة طويلة ، وبعد عبرنا إلى بيت آل بابهير وتغدينا عندهم ، وبعد صلاة الظهر رجعنا إلى زيارة الشيخ الفقيه عمر ثانيا ، وكان ضريحه وسط بلد سيئون وعاتبناه أشد العتاب بقولي : إنك كنت تلازم في حياتك زيارة قبور الأنبياء والأولياء وتعتب عليهم

وتطلب منهم المطالب الدينية والدنيوية ، والآن نحن قد جيئناك زائرين متوسلين طالبين منك الشفاعة إلى ربك ؛ فتشفع لنا بمثل ماكنت تطلب منهم أن يشفعوا لك . ويخطر في حال مقابلتي له في البال قوله حين زار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول من جملة قصيدة له :

وإذا الوفود قضى لها حاجاتها　　كرما ملوك الأرض باستعجال
فأناالذي بجميع حاجاتي إلى　　أبواب غيرك لاتشد رحالي
فلأنت أنت لها وتلك حقيرة　　في جنب جاهك حامل الأثقال
قل قد فعلت فإنني بك واثق　　وبميم مجدك قد وصلت حبالي

قالوا ولما وصل عند البيت هذا كلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : قد فعلت . فكان هناك جمع ؛ فسمع الجميع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للفقيه . وقوله أيضا في قصيدة أخرى :

قل لسهل ابن عبد الله يصل سهل عنده
وانت صل عبد الرحمن احك له وابك عنده
قل له إن كان ياهل الحثم حموه ونجده
سمح وإلا نبيع الحثم واللي يحده
بيع مضيوم مايشرط في البيع عهده

وقوله في قصيدة أخرى :

هبت اليوم ياطرفه من الحثم نسمه　　آنستني ونست كل مهموم همه
يارسولي إليها قف لي باعطيك كلمه　　قل لذاك الذي ماصابنا غير سهمه
يااهل هينن ترى من قال شيءٍ يتمه

فكنا عند مواجهة ضريح الفقيه نذكره هذه الأبيات وغيرها من أقواله في حال زيارتنا الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في ذلك اليوم للفقيه عمر المذكور نفع الله به ، حتى رأينا علامة نزول الغيث وحصول السيل ، وذلك أن السحاب استقوى وحصل فيه رطوبة وبروق ، فخرجنا إلى عند السيد الشريف علي بن عبد الله السقاف باعلوي نزوره ، فجلسنا عنده في مكان ظاهرين ؛ فظهرت المناشي العالية في فج (يِثْمِه) [بكسر الياء المثناة من تحت وسكون الثاء وكسر الميم وسكون الهاء] فقال قائل : إن الغيث على الوديان بأرضكم . ثم لم نقم من مجلسنا ذلك حتى مطر السحاب علينا في المكان الذي نحن فيه ، وحصلت تلك الليلة السقيا في غالب الجهة خصوصا بلد حريضة ؛ فقد جار تلك الليلة المطر عليها حتى قالت فاطمة بنت الوالد علي بن حسين لما استثقل الغيث : علي بن حسن يدعو علينا الليلة في أي مكان ! إشارة لماتعلمه مني من ملازمة الإستسقاء وخصوصا نفوذي هذه الزيارة تريم قد علمتها هي وأهل بلد حريضة الجميع ، لأني لما سرحت من حريضة كان مسيري بطن الرحاب والمساقي على نية الإستسقاء ، حتى إني حين بلغت إلى قرن شراح أخذت على الطريق القبلية بطن مسقا وادي الحجيل الذي يقال له (العِشرقة) [بكسر العين وإسكان الشين المعجمة وكسر الراء وفتح القاف] من دوعن إلى هينن ، فلما كان وقت شروق الشمس وأردنا ان نعزم إلى تريم قال بعض السادة أهل سيئون : إن المسيلة ؛ يعنون السيل (بلغة أهل حضرموت) من شبام وأسفل فيه ماء ولايمكن لكم العبور فيها إلى بور ، وكانت المسيلة بعيدة من البلد ، فقلنا لاباس بانخرج إلى عندها فإن سبقنا

السيل عبرنا ونفذنا إلى تريم ؛ وإن سبقنا السيل رجعنا واكتفينا بزيارة الفقيه عمر ومن قد زرناه . وهذه علامة واضحة على أن الحاجة قد قضيت ، وأن الزيارة قد قبلت ، وأن السلف من آل باعلوي والخلف من أهل بور وتريم وعينات مرادهم رجوعنا من هنا بغاية مضموننا ، فخرجنا نحن وسالم بن ناصر وثاب ، وأولاد محمد بابهير ، وأولاد أخيه حسين ، فلما وصلنا فوق المسيلة فإذا هم يقولون هذا السيل مقبل في المسيلة ، فقلت هل يمكن لنا العبور إلى بور في المسيلة قبل أن يصل الماء ؟ فقالوا نعم ، ومنهم من قال لا ، فعبرنا وأمسينا تلك الليلة ببور ؛ وذلك في حياة سيدنا وشيخنا الحبيب عبد الله بن علوي العيدروس صاحب بور ، فكان من خبرنا لما وصلنا إلى بور وذلك أول الضحوة ؛ لقينا خدامه ، فقلنا له أستأذن لنا مولانا الحبيب عبد الله المذكور فقال : لا أستأذنه لكم ولالغيركم وقد تقبض الحبيب عبد الله ، فقلنا له بلى استأذنه لنا فإن حكم الغريب الذي يأتي من بعيد ليس كحكم القريب ؛ فأبى ، فقلنا أنت لاتصلح خادم الأشراف إنما تصلح خادم عسكر . فقصدنا بعض البيوت وظلينا فيه حتى أذن الظهر فخرجنا إلى المسجد أول الوقت وبقينا في الإنتظار لخروج الحبيب عبد الله نقرأ القرآن مع جماعة ، منهم رجل من المجاذيب يقال له : عبد الله باهمام المعلم ؛ نعرفه من أهل الدوفة ، فقلت له لمن تقرأ من مشائخ القراء السبعة ؟ فقال لله ، وكان إذ ذاك في حدة جذبه ودعارته ؛ ولكنه بعد ذلك طاب وصار من أولي الألباب من لب اللباب ، ولنا معه قصص طويلة يقصرنا عن ذكرها ما هناك من ذكر إنتظار خروج مولانا الحبيب عبد الله بن علوي ، فخرج وسط الوقت في ثياب بذلة خلقة كأنه

بعض الخدم ، فصافحناه وقرت العين برؤية محياه ، وحياه الله ، فصلينا معه الصلاتين ؛ وطلبنا منه الخلوة فخلا لنا بعد صلاة العصر فجلسنا معه إلى قريب صلاة المغرب ، ووالله ما رأيت أحسن من مجلسه ؛ ولا ألذ من النظر إلى وجهه الميمون المعظم ، ولا أحلى من حديثه المنثور والمنظوم ، فإن كانت الجنة مثل مشاهدته فهي النعيم الأكبر . وها أنا أجد حلاوة لهوات كلماته في قلبي ولبي ، فلا أهوى سواهم طول عمري ، ولا أنساه إلى يوم القيامة ، رضي الله عنه وتقبل منه .

وكان الحبيب عبد الله المذكور من الرجال الأبطال أهل الكمال ، ظهر بمظهر عظيم ، ورقى مرقى جسيم ، وكان من غلمان الساعتين ورجال الطريقتين ، أشرقت شمس فضله في الخافقين ، وشاع ذكره في الجهة الحضرمية وغيرها ، له اليد الطولى في الكرم والجود والسخا ، وإصلاح ذات البين وإرضاء الخصمين من ماله ، وملازمة العبادة ، والإحسان إلى الفقراء السادة وغيرهم ، بحيث لم يسمع بمثل مناقبه وفضله ؛ سيما جوده وبذله من مثله من قبله أوبعده ، فهو البحر الهائل ، والبر الواصل ، والجبل الطائل ، والليث المنازل ، ووالله إنه ممن يصدق فيهم قول القائل :

ياسائلي عنه لما ظلت أمدحه ... هذا هو الرجل العاري عن العاري
لوزرته لرأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والكون في داري

وكانت وفاته ليلة الأحد أول ليلة في شهر صفر الخير سنة أربع وخمسين ومائة وألف هـ ، نفع الله به وبسائر عباد الله الصالحين . وإليه أشرت بقولي في التائية :

وبن علوي من رؤسها عيدروسها وخضم الندا من غير حد وغاية

وليس هذا موضع إستيفاء فضائله ، ولا محل الشفاء بذكر شاملات شمائله ، وإنما انجر الكلام لمَّا زرناه ، وظلينا وأمسينا بمغناه ، وأردنا تشريف الكتاب بذكره وتشييد مبناه .

ثم سرنا من عنده إلى تريم من طريق المعجاز ؛ وقد أرسل معنا بعض القبائل بتلك الجهة ، لأن طريق المعجاز مخافة . فلما بلغنا وادي (ثبي) المبارك قصدنا بيت السيد الحبيب الحسين بن عبد الله بن الحسين العيدروس صاحب ثبي الكبير ابن الشيخ الكبير ابن الشيخ الكبير ؛ تلقانا بالترحاب ؛ وقام بنا أتم القيام ، وأبردنا عنده في البيت ، فبينما نحن عنده في بيته في الفاضلة إذا نحن نسمع صوت تحويل يقول : ياحولاه بدوعن . فقال الحبيب : لعل هذا سيل وصل من رأس وادي ثبي لأنه مفرع ، فقلنا لا ! وإنما هو صوت تحويل بدوعن إن كان قد يحول به عندكم ؛ فقال نعم إنها إذا شربت هينن يجئ المحول من عند أهلها إلى جماعة من أهل تريم لهم فيها أموال يبشرونهم بشربها ، فقلنا ذاك هو ، فقام وأشرف ودعا الرجل فإذا هو إنسان من أهل هينن معه بشارة لأهل تريم وعينات بشرب هينن ونواحيها كما هي العادة .

ثم دخلنا البلد تريم وزرنا الفقيه المقدم وقومه من أهل تريم ببشار وأهل البلد ، وكان مرادنا بعد ذلك النفوذ إلى عينات لزيارة سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم وأولادهم الأحياء ، فلما لبثنا بتريم يوما أويومين حصل معنا إنزعاج قوي إلى بلدنا حريضة ، فعند ذلك أخبرت بذلك سيدنا الحبيب علوي بن عبد الله الحداد ؛ فقال ماتستجرئ تترك زيارة

الشيخ أبي بكر بن سالم ! فقلت : وهذا الزاعج الذي حصل علي ماتقولون فيه ؟ فقال اطلع البلد وزرالفقيه وأهل تربة بشار بسيدي السيد زين بن علوي الحبشي ، وزرنا نحن والسيد زين المذكور وأخبرته بذلك الزاعج ؛ فقال تكفيك زيارة الفقيه من الأموات ، وزيارة الحبيب علوي بن عبد الله من الأحياء ، ثم قال لي : وقل للحبيب علوي المذكور هو المشار إليه في ذلك ، وكان سيدي علوي هو المشار إليه في ذلك الوقت ؛ لأنه خليفة والده سيدنا الحبيب عبد الله الحداد ، ولنا به إتصال قوي بحمد الله تعالى . وقد حصلت لنا رؤيا عظيمة في حقه له فيها بشارة عظيمة من والده سيدنا عبد الله بعد تلك الزيارة ؛ كتبتها له في ورقة وأرسلتها إليه . منها : إني رأيت كأن سيدي عبد الله بن علوي الحداد في مجمع عظيم ؛ وكان معه جميع أصحابه من الأموات ، وكأن الحبيب علوي دخل عليه ومعه جميع أصحابه من الأحياء ، وطال المجلس مع الحبيب عبد الله ، فلما أراد الحبيب علوي ومن معه الإستيداع من الحبيب عبد الله ونحن معهم ؛ قال الحبيب عبد الله لجميع الحاضرين : عليكم بعلوي فإنه خليفتي . أومافي معناه . وله مناقب جليلة منها : قول والده سيدنا الحبيب عبد الله الحداد لأولاده : علوي الروح وأنتم الجسد . وكانت وفاته بمكة المشرفة يوم الربوع السابع في شهر ضفر سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف هـ ، نفع الله به .

فلما قال لي السيد زين بن علوي الحبشي أعزم ؛ فعند ذلك عزمت من تريم ويسر الله أسباب الرجوع إلى حريضة ؛ فوصلتها في أيام

متقاربة جدا بحيث أني سرحت من ثبي ودخلت شبام وقت الصُفُور[1] ، ووجدت جماعة نافذين من شبام فسريت معهم وصليت الفجر بمسجد السلطان علي بن بدر الذي بفرط قانع ، والضحى ونحن بهينن ، وبادرنا بعد إلى حريضة . فلما أقمت بها أيام قريبة إنطرح سيدي الوالد عبد الله بن حسين ومرض يوما واحدا ثم توفي مغرب ذلك اليوم ، فعلمت أن ذلك الزاجع إنما هو منه ، لأنه نفع الله به كان يحبني غاية المحبة ، ويتأنس بحضوري ، فلما بلغت حريضة من تريم فرح بذلك ، ثم لما حصل له المرض جلست عنده ، وكنت كلما خرجت من عنده لحاجة أوغيرها أرسل لي أن تعال ؛ فقلت له إنك والحمد لله بخير ، فقال متمثلا بقول القائل :

وإذا المنية أنشبت أظفارها هيهات كل عزيمة لاتنفع

فعلمت من حينئذ أنه سوف يموت من مرضه ذلك ، إلا أني ماظننت أن وفاته تكون تلك الليلة بعينها ، فكانت وفاته مغرب ذلك اليوم ، ولما أحس بالموت قال : إذ أنا مت فلا تكتبوا لأحد كتابا بإعلام الوفاة لقصد حضور الختم إلا ثانية الختم ؛ لإن ذلك مما يكلفهم على حضور الختم ؛ وربما يتكلفون ومايحضرون ذلك إلابشيء ، وربما لايجدون ذلك الشيء بالكلية ؛ ثم لايحضرون وقد كتبتم لهم فتكون في ذلك مشقة ، فامتثلنا كلامه ولم نكتب إلا لإبنه سالم حيث هو غائبا بحميشة ، ثم شرعنا في القرآءة عليه في بيته ولم نغسله إلا بعد صلاة الفجر ؛ وصلينا عليه

---

[1] الصفور : هو إصفرار الشمس آخر العشية : الأصيل

ودفن في قبة والده الشيخ الحسين . وكانت وفاته وقت المغرب ليلة الأحد الحادية والعشرون من شهر عاشوراء سنة خمسين ومائة وألف هـ .

وقد كان نفع الله به ورحمه وجزاه عنا ماجزا والداً عن ولده شديد العنوة بنا والحدب علينا ، فكنت إذا رأيت شدة ذلك منه أتذكر قول أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم حين يناضل أعداء الرسول بقوله شعراً :

حدبت بنفسي دونه وحميته   ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

وقوله في البيت :

ونسلمه حتى نصرع دونه   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقرأنا عليه في جملة من الكتب لاسيما الفرائض ، فكنت ربما استغبت فلم آتيه فيأتي هو إلى البيت لنقرأ عليه ، وكان شديد الذب عني والحماية لي ، وكان إذا سمع بأن أحدا يتكلم علينا ولو كلمة واحدة قام بالرد لذلك العدو ولو كان من كان ، فلم يقدر أحد في حياته أن يصل إلينا بأذى مع كثرة المعادين والحساد لنا في تلك البلاد ، حتى أن بعض إخوانه قام مرة مع جماعة من الحساد وحصل علينا منهم أذى كثيرا ؛ فأتاهم الوالد عبد الله إلى بيوتهم وجادلهم حتى أدحض ماعندهم من الحجج ؛ بحجة قاطعة الحجج ، ساطعة البلج ، وقال لهم في آخر ماقال لهم : إنكم لن تصلوا إليه إلا إن وصلتم إلي بسوء ، وكان عزيزا عليهم ، فتركوا ذلك فتقبل الله منه ؛ ونصره كما نصره ؛ وأعلى في أعلى المعالي درجته ، آمين اللهم آمين .

وكتب لي نذيرة في كتبه ؛ ونذر لي أنا والكرائم شيخه ورقوان وفاطمة بنت الصنو علوي بنصيب الوالد الحسن فيه وفي تركته تامة وهو

الربع مثمون . وأوصى لي أنا خاصة دون الكرائم بسدس في داره ؛ وذلك إنه نذر بها أنصافا ؛ نصفا للعم سالم ولده ، ونصفا إثلاث بيني وبين إبني العم احمد وهما : محمد وشيخ ، فقلت له حين أعطاني الصيغة وقال لي إحفظها : لوميزت لي مكانا من الدار مسمي خير من أن أكون أنا والجماعة في شيء مشروك ، فقال : هذه معرفتي ، وأنا إنما أمهد لنفسي ؛ فأخذت الصيغة منه . فلما توفي كان من العم سالم رحمه الله النزاع والإجتهاد في إبطال تلك الصيغ كلها فلم يقدر .

وأما وصيته قرآءة يس وتبارك ؛ فإنه إستصلح بثلثها ، وساعده جماعة على أخذ ربع منها في الخور ، وهاهم الآن مصرين على ذلك وهي ثلاثون مطيرة ، فأخذوا من جملتها ست مطير في الخور ؛ وثمان بالمصلح ، وحسبهم الله . وأنا إن شاء الله مجتهد في القرآءة تامة مع التحرز من أكل ثمر القطعة المذكورة بكل ماحصل منها بقيمته عند الوالد عبد الله بن سالم بن رضوان ، وأفعل به أيضا قرآءة في القبة للوالد عبد الله عند ضريحه . وقد تبدو عوزة في وظيفة المشهد فاجعله فيها ؛ وأراها في الفضائل التي لاتفوقها فضيلة ، لأنها مبنية على الكون في عون جميع المسلمين ، وأنس المستوحشين ، وصلة المنقطعين ، وسقي العاطشين ، وأمان الخائفين . كما بينت جميع ذلك في كتابي المسمى بـ (المقصد إلى شواهد المشهد) وبه استغنيت عن ذكر أخبار المشهد هنا ، فرد إن شئت تلك الحياض مشارب الهنا ومشارق السنا .

وقد سمعت الوالد عبد الله المذكور وهو يذاكر في القبر وأهواله فقال في آخر مقاله : القبر مثل مخافة الغيوار ، والعمل الصالح مثل الربيع

القوي الشاجع ، إن لم يكن لك ربيع كسرك اللصان ، يعني منكر ونكير وشبههما بقطاع الطريق في مخافة الغيوار .

ومرة سَمَر عنده جماعة فطال للسمر قعودهم فصوتت النار ، فقال بعض السمار : مابال النار تصوت ؟ فقال له الوالد عبد الله : إذا طال سمر السمار وأراد صاحب المنزل خروجهم ولم يخرجوا صاحت النار عليهم لأجل يخرجون ، ففهموا مراده وطلبوا الفاتحة وخرجوا . وهذا يماثل ماروي عن الفقيه سليمان بن مهران المكنى بالأعمش أنه مرض فعاده جماعة وأطالوا عنده الجلوس حتى أضجروه ، وكان عنده مزاحا فالتف بثوبه وقام كأنه يريد أن يخرج مثل عائد المريض وقال : شفا الله مريضكم ، ففهموا مراده وخرجوا من عنده .

ونعود للمقصود وكله مقصود : والوصية المذكورة من الوالد عبد الله على يدي بها قرآءة يس وتبارك هي : قطعة في شراقي دفن ناصر بمعامل وادي نسم وهي توهب له وللسيد باحسين الجفري باعلوي ، وكتب بذلك كله لكل شيء صيغة وهاهي الجميع عندي محفوظات . وأما السدس في الدار فإن العم سالم بعد ما أعطيته أنا الورقة التي فيها النذيرة له بالنصف المذكور في الدار ؛ ولي بالسدس ؛ ولعيال العم بالثلث فإنه صادقني أولا ثم انقلب ونازع أشد النزاع ، ودافع بأقبح الدفاع ، حتى استعنت بإنسان وجعلت له نصف السدس مني إذا أخرجه منه بالحق ، فجاءه الإنسان المذكور وقال له : سد أنت وابن أخيك في حصته في الدار فإنه سيوكلني ويجعل لي نصف السدس المذكور إذا أخرجته منك ؛ وقد أجلت الوكالة ثمانية أيام ، فأنكره وطال نزاعه حتى ثبت السدس ،

فاشتريت أنا من ذلك الإنسان نصف السدس من بعد ما أخرجه منه بدراهم . والذي خرج الوضيع منه ؛ المخزن الكبير الذي على يسار الداخل المنور ، ومصالح الدار والفاضلة ، والريوم باقية مشاعة . فشكر الله سعي سيدي الوالد عبد الله بن حسين المذكور ، وتقبل منه وغفر له وجزاه عنا أفضل ماجزا والدا عن ولد ولده .

وغبت مرة من البلد إلى هينن ؛ فقيل للوالد عبد الله إن أهل هينن تكلموا في المطالبة لي بأن آلي القضاء بها ، وهيهات أن أرضى بها . فكتب كتابا يقول فيه : من عبد الله بن حسين العطاس إلى الولد علي بن حسن سراج الظلمة ، حال تقف على كتابي هذا فلاتقف بهينن ساعة واحدة ، فسريت منها على الليل ولم أصبح إلا عليه بحريضة . رحمه الله .

وكان مرة جالسا وعنده جماعة ؛ فتذاكروا عنده في بعض السادة الأولياء الذين قد ماتوا ، فجعلت الجماعة الحاضرون يثنون على ذلك الولي العالم ، فقال لهم الوالد عبد الله : أنتم مداحة قبور ؛ وإلا فالذي في الإنسان الذي ذكرتم في الولد علي بن حسن ، فقال بعض من حضر من المحبين لي : ياحبيب عبد الله أهو مثل فلان ؟ وذكر بعض أفاضل السلف ، فقال نعم وزائد ، ومثل فلان وفلان . فذكر الوالد عبد الله جماعة من السلف حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج ذلك الإنسان من عنده وجاء يبشرني بذلك وأنا في زاوية المسجد ، فلله الحمد ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكان سيدي الوالد عبد الله المذكور من أهل سلامة الصدور ، وسخاوة النفوس التي ينال بها الأولياء مانالوا من الكرامات والأحوال

والمقامات ، لايحمل غشا على مسلم ، بل إذا سمع بإذنه إنسانا يتكلم عليه ويسبه لم يحمل عليه مثقال ذرة ، كما جرى ذلك لجماعة تكلموا عليه وأنا حاضر وحصل مني تقصير في عدم الرد عليهم ، ثم ندمت على مافرطت في ذلك ، فأسرعت إليه وسألته الإقالة ، وقلت له : بالذي ترجو منه الإقالة إذا وقفت بين يديه أن تقيلني مما جرى مني ، فقال : لم يحصل منك ذنب فتطلب الإقالة ، ثم قال : أشهد علي أني قد عفوت عنهم يعني الذين تكلموا عليه وأنا حاضر ، فلم يحمل من ذلك شيء لاكثير ولاقليل ، مع عظم الجرم ، بل رأيته أنا نهار ثاني وقد جاء زائرا إلى عند واحد منهم يتعهده بالقهوة وهو ولد ولده . وكانت هذه الصفة فيه رحمه الله مع غيرها من التواضع وعدم المبالاة بالخلق ، والنظر إلى مايصدر عنهم من الثناء وضده طبيعة لاتكلفا ، بل جبلة وأريحية نبوية ، وشنشنة أخزمية جبله الله الكريم عليها . وكان إذا سمع شيئا من الأبيات التي أنظمها نرى عينيه تفيض بالدمع . نفع الله به وأعاد علينا من بركاته آمين اللهم آمين .

ولما جمعت الراتب الذي رتبته بعد صلاة الصبح لي وللإخوان المنتسبين من المحبين وسميته (**الحصن المانع ، والحرز الجامع ، والكنز الواسع ، والطب النافع**) الذي أوله : بسم الله والحمد لله (أربع مرات) طلبه منا صاحبنا احمد بن يوسف باموكره صاحب الدوفة ؛ ليرتبه في ذلك الوقت ، وذلك بعد وفاة سيدي الوالد عبد الله ، قال احمد المذكور : فلما أكملت حفظه رأيت ليلة في المنام كأن سيدي الحبيب عبد الله بن حسين العطاس عندي في بيتي ببلد الدوفة ، وكأنه قال لي : إقرأ علي الراتب

الذي جمعه الولد علي ، قال : فابتدأت في قرآئته عليه حتى أُكملته . فلله الحمد .

وكنت أنا والحمد لله في غالب الليالي أرى سيدي الوالد عبد الله المذكور في النوم ، ورأيته ليلة فقلت له من أين أتيت ؟ فقال جئت الآن من بيت المقدس ، فكأني أقول في نفسي لو شكوت عليه من فلان ماجرى منه علي بعد وفاته من الإساءة في أمر ينسب إلى وصية سيدي الوالد عبد الله ، ثم إني قلت في نفسي حاشاالله لا أبتديه بهذا إلا إن يعلمه من غيري . ورأيته مرة أخرى وكأنه يقول من الذي مراده يُقَصِّر كلامي مع غضب على ذلك الإنسان الذي حصل منه الظلم والعدوان ، ولم يراقب الملك الديان ، الذي هو كل يوم في شان ، وقد قال في محكم آيات القرآن ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ [الآية ٣١ الرحمن] وهو حسبي وعليه التكلان .

فصل في ذكر بعض أسباب خروجنا وهجرتنا من الوطن إلى الهجرين : اعلم انه لما كان أول سنة خمسين ومائة وألف هـ وذلك بعد وفاة سيدي الوالد عبد الله رحمه الله تعالى ، حصل معنا الزاعج بالخروج من البلد لأسباب اقتضت ذلك لايمكن ذكرها خشية الإطالة وميله إلى الملالة ، وربما حصلت زيادة أونقصان في تعدادها ، وربما مج سمع الحليم إيرادها ، مع أنه ربما استصوب شيئا منها واستفادها ، واستحلاها فاستعادها ، لما فيها من الأسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المطهرين المكرمين ، قال تعالى ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين**

*** وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أوسلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ [الآيات ٣٤ – ٣٥ الأنعام] وقال صلى الله عليه وآله وسلم (ما أوذي نبي ما أوذيت وما أخيف أحد ما أخفت ، والله إنك لأحب أرض الله إلي ولولا إني أخرجت منك قهرا لما خرجت) .

وأما في الحقيقة فالسبب ظاهر وهو إرادة مولانا وله الحمد كمال الثواب بالهجرة من الوطن المشار إليه في قوله تعالى ﴿ **قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** ﴾ [الآية ٩٧ النساء] وقوله تعالى ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا** ﴾ [الآية ٤٢ الروم] وقوله ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ الآية ١٥ الملك] . وفي الحديث (سافروا تصحوا وتغنموا) وفيه (التمسوا الرزق في خبايا الأرض) الحديث . ولاشك أن الخبايا هم العلماء والأولياء . قال تعالى ﴿ **إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وإنا لجاعلون ماعليها صعيد جرزا * أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا *** ﴾ [الآيات ٧ – ١٠ الكهف] إلى قوله تعالى ﴿ **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أوأمضي حقبا * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا * فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا * قال ذلك ماكنا نبغِ فارتدا على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** ﴾ [الآيات ٦٠ – ٦٥ الكهف] .

وفي زبور داود : ياداود مما ابتليت به عبادي كلهم مقاسات الأسفار ومفارقة من يحبون . وقال الإمام الشافعي شعراً :

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هـــم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجـــد
فإن قيل في الأسفار ذل وغربـــة وقطع الفيافي وارتكاب الشدائـــد
فموت الفتى خير له من مقامـــه بعرصة ذل بين واشٍ وحـــاسد

ولو لم يكن من ذلك إلا ما في الهجرة من الإقتداء بسيد المهاجرين محمد الأمين وخروجه من وطنه ، وكذلك أهل بيته وأصحابه ، فكم قص الله من أخبارهم خبرا ، وأفادنا بمهاجراتهم استبصارا واعتبارا ، قال تعالى ﴿ **للفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءو ا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ [الآيات ٨-١٠ الحشر] وغير ذلك من الآيات والدلالات التي لاينتهي مجموعها إلى غايات .

وأما الذرية المحمدية الفاطمية المطلبية الهاشمية القرشية الزكية خصوصا نحن معاشر العلوية الذين هم الآن سكان الجهات الحضرمية ، فإن الأصل والوطن الأول والمنشأ بمكة شرفها الله ، ثم خرجوا معه إلى المدينة ، ثم هاجروا إلى العراق ، ثم هاجر سيدنا احمد بن عيسى إلى حضرموت ، ثم هاجر سيدنا الوالد عمر بن عبد الرحمن إلى حريضة . فإن لنا بهم

قدوة ولنا فيهم أسوة حسنة ، وفضل ذلك مشهور من الآيات والأحاديث فلانطول بذكر ذلك .

وقد حكى جماعة أن سيدنا عبد الرحمن السقاف كان كثير المختلف في الآفاق ، فقيل له في ذلك فقال : إن أناسا لهم شيء عندنا فلم يأتوا له فجيئناهم به إلى عندهم . وكذلك كان الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس وابنه الشيخ الكبير أبي بكر بن عبد الله العيدروس كثيري التردد في الآفاق حتى ماتا غريبين ، وخبرهما مشهور البين بين . وكذلك حكي لنا عن سيدنا عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله به أنه قال : أنا غريب في الدنيا وليس لي وطن تجب الجمعة عليَّ فيه . وقال شيخنا الوالد عبد الله الحداد فيما يرثي به أهل البيت الأمجاد ومايقاسونه من التردد في البلاد في قوله وأجاد ، شعراً :

مرت لنا بالحمى المأنوس أعياد مع الأحبة لو عادت ولو عادوا
مشتتون بأطراف البلاد على رغم الأنوف كما تهـــواه حساد
بين الأباعد لايدري أماثلــهم ما حقهم وهُمُ جـــــمع وأفراد

ثم سلا نفسه وعزاها من نفسه فقال أيضا :

يموت ميتهم من حيث شاء فأر ض الله واسعة والقــوم أمجاد

إذا علمت ذلك فأول سبب في وصولنا إلى بلد الهجرين ، أعني مع السكون والإستقرار فيها ، وإلا فقد كنا نتردد إليها مرارا وذلك إذا وصلنا من زيارة الشيخ سعيد بن عيسى ، وقد نقصدها من الوطن ونقيم بها الأيام المتوالية ، وغالب أهلها من المحبين والمعارف . وقد وصل إلينا منها

قبل ذلك بمدة الولد المبارك عبد الله بن عفيف بن عمر وقرأ علينا في شيء من الكتب ، وأقام عندنا مدة .

وإنما هنا نذكر الإستقرار وبناء الدار واتخاذ الأهلين والجار ، والمحبين والأغيار ، وذلك أنه قد كان بعد المقدر السابق أن سيدنا الوالد عبد الله خطر إليها في بعض السنين وأنا صغير السن جدا نحو سن التمييز ، فاستصحبني معه إليها ورغب فيها ، وضيفه جماعة محبين له بها وأنا معه ، وذلك أنه لم يكن يستصحبني لسبب ظاهر لأني لا أنفعه في خدمة ولامصالات دابة ، فعلمت بعد أن سكنتها أن في ذلك المخطر من الوالد المظنون صاحب السر المصون ، الموفق بتوفيق من إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، إشارة إلى ظهور هذا السر المكنون .

وكذلك قد تذاكر رجل صالح مع بعض النساء الصالحات وهما من أهل حريضة فقالت : ما أحلى ذكر بلد الهجرين على لسان السيد علي بن حسن ، فقال لها عاده يحلها . فاتفق أنا تواعدنا نحن ومحبنا الشيخ محمد بن عمر بن عبد الله بن عفيف وولد أخيه ولدنا عبد الله المتقدم ذكره قريبا إلى جربة عيبون التي حوطها جدهما الشيخ احمد بن محمد العفيف ، فتوافينا بها وأقمنا بها نحو ثلاثة أيام ، فخرجنا ذات عشية إلى مكان مرتفع فوق المخرج الذي يفيض الماء منها ، فجلسنا بالجانب القبلي تحت الجبل في مكان مرتفع ، فقلت لمحمد بن عمر إني أريد الزواج ببلدكم الهجرين فقال : تريد شريفة ؛ يعني من آل باعلوي أو غيرهم من سائر أهل البلد ؟ فقلت له : إن اتفقت شريفة فهي أولى وأحق وأفضل وإلا فمن سائر الناس ، فقال إن بالبلد من السادة آل الكاف فلانة وفلانة ، وذكر فاطمة بنت

علوي بن محمد أم إبني محمد المقدم وهود الأكبر وشيخه التوائم ، ثم ذكر علوية بنت علوي بن محمد أم إبني الحسن ، فقلت الرأي أنا نرد الكلام إلى أم عبد الله فاطمة بنت الشيخ وجيه كريمة الشيخ أبي بكر بن وجيه بن عبد الله بن عفيف وكانت من ذوات العقل والدين ومن المحبين الأودين ، ولها فينا غاية المحبة والقربة والعقيدة ، فأي هاتين الشريفتين اختارتها لنا فهي إياها ، ثم رجعت أنا إلى حريضة ورجع محمد وعبد الله إلى الهجرين ، فلم نلبث أياما حتى وصل كتاب منهما أن فاطمة عفيفة أم عبد الله اختارت علوية بنت علوي ، وأنهما خطباها لنا إلى أخيها شيخ بن علوي ، وأمها مريم بنت عبدالله بن مقيبل باعلوي ، وشرطا رد الرأي إلى ابني عمها ، وأن ابني عمها رغبوا فيها وأن الأمر متباعد ، فاتفق أني وصلت إلى حوره فإذا بالسيد شيخ بن علوي المذكور أخو الشريفة علوية وصل إليها في حاجة ، فكلمته أنا فقال : إن محمد بن عفيف تكلم لكم في الكريمة ولكن العيال أعني ابني عمها طلبوها ، ثم إنهم اختاروا الترك لها . فحينئذ ثبت الخبر بيني وبين السيد شيخ ، ورجعت إلى حريضة ثم نفذت إلى الهجرين وقلت لمحمد بن عمر كلم السادة في الزواج بغيناه في هذه المدة القريبة ، فقال محمد : هذا شيء لايمكن من وجوه كثيرة ، الأول : إن الوقت وقت ضيق عند الناس الجميع ، قلت له : ليس الأمر إليك وإنما الأمر إلى الله فإن أذن الله وقبل قبلوا السادة وثبت ، وإن ردوا فيكون الرد منه لامنهم ولامنك ، فقال صواب . وكلمهم وأجابوا مع أني لا أجد إلا بعض الجهاز وبعضه أخذناه دين من بعض المحبين ، وأما الطعام وغيره من مهمات الزواج التي لايتفق بدونها فلانملك من ذلك كثيرا ولاقليلا ، حتى

قال محمد بن عمر هذا الزواج (دَحِسْ) يعني يشق ويتعذر . فيسر الله سبحانه وتعالى المقاصد وأكرم القاصد وأكبت الحاسد . فدخلت على الشريفة المذكورة عند أهلها وفي بيتهم ، والثقل والمجلس بالنهار يكون في بيت الشيخ محمد بن عمر المذكور مع المعاونة الكاملة واحتمال الأثقال ، لاسيما الماء والحطب مع كثرة الدُّخال وأهل قيل وقال بغير نوال ، فأكثر المعونة في هذه المؤنة وكل مؤنة لنا منه ومن ابن عمه أبي بكر بن وجيه بن عبد الله بن عفيف ومن الولد المبارك النجيب الصوفي عبود بن عفيف بن عمر بن عبد الله بن عفيف ، وكان الشيخ محمد بن عمر المذكور ممن صحبنا على الصدق والصفا والحق والوفا ، فكنت في تلك الأيام في بيته وأسمعه كثيرا إذا اجتمعوا الناس في ناحية المنزل وحده ، يتمثل في نفسه بقول الشيخ عبد الرحيم بن أبي بكر البرعي حيث يقول في قصيدة له :

لله قوم إذا حلوا بمنـــــزلة حل الرضا ويسير الجود إن ساروا
تحيا بهم كل أرض ينـزلون بها كأنهم لبقاع الأرض أمطـــــــار

ووالله لا أحصي مايفعله هذا الشيخ محمد من الوفا والصفا والمودة والمحبة المؤفية بمعنى قوله تعالى ﴿ **قل لآ أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ [الآية ٢٣ الشورى] وقد تقدمت الصحبة والصلة بين جده عبد الله بن احمد وبين الوالد عمر وبين جده الثاني عبد الله بن عفيف وبين الوالد حسين بن عمر . ولاشك ان المحبة موروثة كما إن الشنة موروثة . وقد قيل صحبة الآباء صلة في الأبناء . فقلت أنا لأبي بكر بن وجيه بن عبد الله بن عفيف أن أول البناء منا ومنكم إنما وضع فوق المبنا الذي بناه السلف ، فلله الحمد على صلاح الخلف بعد السلف حتى قال لي الحبيب

عمر البار باعلوي لما زرته أنا وأبوبكر المذكور : إن خلف هؤلاء الصالح فاق سلفهم الصالح يمدحهم لي ، ولاشك في ذلك فإني قد تحققته . وأما غيرهم من المحبين من أهل بلد الهجرين فإنهم كثير وعاون منهم الكثير ، ولكن منهم من رجع آخر على عقبيه كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا والعياذ بالله ، ﴿ **سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ [الآية ٨٥ غافر]

وسأعقد تعزية وتسلية في آخر الخاتمة التي ذكرت فيها جملة من مقرؤآتي ومحفوظاتي ؛ والقصص التي وقعت لي في أيام طلبي للكتب ، أذكر فيها طرفا من عقوق العاقين ، وشقوق المشاقين ، وتعويق العاقين ، ومعزا يتسلى بها من وقع له مثلها من اللاحقين .

فتأسوا بمن مضى إذ ظُلمتم فالتأسي للنفس فيه عَزاءُ

فلما أقمنا أياما ببلد الهجرين وكان ذلك في أيام فصل الخريف وقد عبر أوله ولم يكن فيه الخصب تلك السنة كما هو المعتاد ، فعند ذلك أشرنا على أهل البلد بالإستسقاء المسنون وواعدناهم بيوم معروف ، ثم أخرناه أيضا إلى وعد آخر . وظهر الخبر في البلد وغيرها أن السيد فلان أشار على أهل البلد بالإستسقاء ، قال صاحبنا الشيخ أبوبكر بن وجيه ، فقال لي عند ذلك بعض أهل البلد : إن مشائخ الهجرين المتقدمين فيهم غَيرة إذا جاء زاوية أجنبي من مكان لم يحصل له منهم معاونة ، يقول ذلك افتراء منه على سبيل الظن السوء ، ويقيس أهل الله الكرام أهل الفضل والإكرام وعلو المقام ، والسلامة والإسلام ، المشار إليهم بقول كبيرهم شعراً فيهم :

هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم فلاتخف دَركاً منهمُ ولا ضررا

على نفسه البخيلة الشحيحة ، وأخلاقه الرذيلة القبيحة . ثم قال أيضا ذلك الإنسان لأبي بكر صاحبنا المذكور : وإن جدك فلان قال لجدي فلان وقد جاء السيد محمد بن أبي بكر العيدروس الملقب بالمدفع المشهور ، وأراد أن يستسقي بأهل البلد كذلك لما حلها وتزوج بها وأقبل عليه أهلها : يافلان هل عندك شيء من الطعام والطعم ؟ فقال له ماتريد بذلك ! قال : احفظ كلما معك واقبض عليه فإن مشائخ البلد يغارون . وذكر مثل كلامه الأول وأنه غير حاصل لهم قبول في خروجهم هذا أومامعناه . قال أبوبكر : فغضبت عليه وقلت له لاتقل هذا فإن كان جدك فلان قال لجدي ماشيء باتقع كرامة لذلك الشريف يعني الحبيب محمد فأنا أقول لك إذا خرجنا نحن وهذا السيد يعنيني حصل الفرج وبانت الكرامة وكان الغيث بإذن الله ، إن شاء الله تعالى ، وصدق من الظن الجميل ماعندي كما صدق بضده جدك جدي . انتهى بمعناه .

ثم أنا لما أردنا الخروج للإستسقاء قلنا للشريفة : هاتوا لنا من الذي عندكم من التمر نخرج به على حسب السنة والمعاونة على البر والتقوى ، فقالت على حسب طبع النساء ومافيهن من الشح والبخل وسوء الظن والإساءة : أما إذا بايقع لنا شي سيل من خروجكم هذا فلو أردتم الذي معنا كله ماهو ألا خاف ماشي يقع ، فقلنا على الله . وخرجنا وزرنا التربة ثم صلينا صلاة الإستسقاء صليت بهم أنا ، وقرأت في الأولى بسورة نوح ، وفي الثانية ألم نشرح واستغفرنا كثيرا بعد الصلاة ، وقرأنا المنفرجة ، وخطب بنا الشريف الصفي الصوفي الصالح المجذوب على بن

احمد الكاف باعلوي رحم الله الجميع . ثم زرنا ثانيا ، فو الله مارجعنا إلى البلد وخرجنا من زاوية الشيخ احمد بالوعار حتى ثار السحاب وغاث الغيث على جميع نواحي بلد الهجرين مع كثرتها أيضا ، فجاء سيل في مجرى دوعن وذلك في نجم باعريق أواخر فصل الخريف ، ثم إنه زحي بنجم البطين وسط فصل الشتاء في مجرى الغبر كله فكان فيه موسم مليح جزل ، له قصب أسود مثل النيل ، فلله الحمد ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكان أول السكون في بيت السادة ، ثم انتقلنا منه إلى بيت صاحبنا الشيخ عمر بن عبد الله باعوض . ثم إني رأيت في بعض الليالي كأني في مكان من بلد الهجرين ؛ وكأن جماعة مجتهدين في بناء البيت لي فيها ، وعرفت منهم جماعة من السلف والخلف منهم : الوالد حسين ، وعرفت من أهل بلد الهجرين أيضا جماعة منهم : صاحبنا أبوبكر بن وجيه العفيف ، فأصبحت وأخبرته بذلك وقلت له نريد مكان في البلد ساحة بريحة نبني فيها بيتا يكون للأولاد ، فأنعم علينا بذلك وقال : إن مع الجماعة يعني الشيبة المبارك عمر بن محمد وأولاد عمه عمر وهو أيضا أبابكر المذكور قسيم لهم في ساحة (وصر) لهم ، فقلت له كلمهم ، فكلمهم الجميع فأجابوا فظفروا وماخابوا ، وسرحنا البقر تحر في الطين لأن فيها عدانة كبيرة من الطين ، وسرحنا الأخدام بالعشي يقربون الأحجار للساس من أماكن بعيدة ، وأقمنا في تسويس الدار بالحجر مدة مديدة ، فاتفق أنهم في بعض الأيام أرادوا نقل بعض الأحجار من مكان داثر في طرف البلد ، فقال لهم إنسان هناك : إطرحوا هذا الحجر فإنه ملكي وإني محتاج إليه ، فقلنا خلوا هذا

وحجره ؛ وكان لايحتاج إليه بل ربما لايملك ذلك المكان ؛ وإنما حدثه الشيطان ليحزننا بذلك ، على معنى قول المالك ﴿ **إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ [الآية ١٠ المجادلة] ﴿ **لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون *** ﴾ [الآية ١١١ آل عمران] ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءوه فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [الآية ١٧٥ آل عمران] ثم إنه مات بعد مدة والحجر مطروح سدة حسدة . وحصلت لنا بحمدالله تعالى الإعانة والتيسير . ثم بنيناها في ذلك المكان المبارك مع عدم التكلف في ذلك كله حتى أنا طرحنا الأسواس الوسط والساس النجدي على تراب شديد ؛ لأن الجبل بعيد ، وكلما حفرنا للساس ظهر لنا طين وأثر بناء قديم ، ورصع فوق لبن وعيدان أطرافها محروقة ، ورصع ثاني وثالث فوق لبن مكسرة ، فكلما حفرنا المكان وظهر الساس المرصوع فوق ونحينا الحصى ظهر لنا من تحته طين ؛ حتى بلغنا الجبل في محل واحد متقارب جدا ، فتبين لنا أن المكان الذي بنينا فيه قد بني وخرب ثلاث مرات ومبنانا الرابع ، ﴿ **وعمروها أكثر مما عمروها** ﴾ [الآية ٩ الروم] ﴿ **فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾ [الآية ٤٥ الحج] ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾ [الآية ١٦ الإسراء] ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بماظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ [الآيات ٥١ – ٥٣ النمل] فسبحان

منشئ القرون ومبيدها ، وبمشيئته إذا مات قوم جاؤا قوم آخرون ، ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾ [الآيات ٨٢ – ٨٣ يس] فليعلم ذلك . فكان البناء والحمد لله متيسر ، والمطر ليست تنقطع ، وفي الغالب من الوقوت نشل الماء من بين البيوت في حفرة جعلناها معدة لذلك .

ولنا وقائع في حال بناء هذه الدار لانطول الكلام بذكرها لتعذر حصرها ، والإحاطة بعشر عشر عشرها . من جملة ذلك أن بعض الجن من أهل الهجرين أشار إليها في خطاب جني من جن فوه دخل في بعض أخدامنا ؛ فحذره جني الهجرين من ذلك بقوله شعراً :

مهلا تقاربه ياشيطان لما عمر لعاد يقتلك سيدنا وجده عمر

عل بن حسن ذي بنى داره في أم الهجر

وهذا من جملة الهواتف التي أشار إليها صاحب الهمزية في مدح جدنا سيد البرية :

وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء

وكذلك لو كتبنا كلما جرى لنا وعاينا وسمعنا ورأينا من العجائب المشار إليها بقولهم (عِش رجباً ترى عجبا) لطال ومل ، وإنما المقصود الرمز والإشارات إلى بعض الأشياء للإعتبار والإستبصار ، لأولي القلوب والأبصار ، فإن في الذكر والتذكير تذكار ، وفي القصص والأخبار إختبار الأخيار والأشرار ، على تعاقب الأزمان والأعصار ، وقد صار الصغار والكبار والخاملون وذوو الإشتهار ، والأخيار والأشرار إلى دار القرار ،

للقاء الرحيم الغفار ، الملك الجبار ، ولم يبقى منهم باقية إلا الأعلام والأخبار ، والأعلام الدارسة بتكرار مرسلات الرياح والأمطار .

ولما كان أول سنة ١١٥٢ هـ ثنتين وخمسين ومائة وألف حصلت في الأرض سنة مجدبة ، وحصلت للناس الجميع ضائقة ومحنة شديدة ، فعند ذلك قلت لجماعة من المحبين منهم : الشيخ أبوبكر بن وجيه ، والشيخ احمد بن عمربانافع ، وعبد الله بن احمد بافقيه ، والولد الأنور عبد الله بن عفيف المنور ، ومحمد بن عبد الله بن مساعد بن محفوظ بن عبد الله بن محفوظ ، وعلي بن عمر ، وجماعة كثير من أهل بلد الهجرين : ماترون الناس في هذه الشدة العظيمة والقحط والسنين ؟ قالوا بلى ! فقلت قد سمعنا أنه يروى أيضا من كلام العامة (إذا عضك ذي قفاك عض ذي قدامك) والآن قد عيي الأمر علينا فقوموا بنا نزور الصالحين من أهل القبور ونستسقي للمسلمين لعل الله ينظر إليهم ويرحمهم ويكشف مانزل بهم من هذا البلاء العظيم ، فقالوا الأمر إليك ، فقلت لهم : أول مانبتدي به من أسباب هذه الزيارة نجتمع لصلاة العصر في المسجد الجامع وذلك يوم الخميس ، بين الخميس والجمعة ، وأول مانبتدي فيه بزيارة الشيخ احمد بن سعيد بالوعار ومن في تربته من المشائخ الكبار ، ثم نستريح ونُصبِّح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ونقول له كما تقول العرب في المثل السائر : من بات لك ذاكر وصبحك بالباكر ولا اثنى شاكر فهذا من المناكر . فأجابوا إلى ذلك . وكنت قبل ذلك رأيت كأني في مكان عال يصعد إليه بدرج مستطولة على حدته ، وكأن الطريق القوية الجادة تعبر تحت الدرجة السفلى منه ، وإذا كأن بقرة تسير في الطريق الجادة ، وإذا

بحمار أغبر له أذنان حمر وقد لحق البقرة وركبها ونزى بها ، فقصصتها أعني الرؤيا على جماعة منهم الولد عبد الله بن عفيف ، وقلت لهم : إني أولت الرؤيا بأن البقرة هي الأرض والحمار هو الفصل الذي يقولون له الحَرَث : (البُغول) وهو من جملة الفصول : نجم الزبان والإكليل والقلب والشول ، وإني أرجو أن يصيب الأرض مقصي البغول المذكور ، فقالوا عسى الله أن يصيبها البغول ، فإن الناس فيما لا مزيد عليه من الشدة والضيق . ثم قال واحد منهم : يا الله بالبغول يصيب الأرض ، لأن ذلك الوقت آخر يوم من نجم الزبان ، وكنا قد تضرعنا يوم السابع منه . فعند ذلك عزمنا من بلد الهجرين عشية الخميس أول يوم أوثاني يوم في نجم الإكليل ، وعشرون خلت من شهر ضفر الخير سنة ١١٥٢ ثنتين وخمسين مائة وألف ، وزرنا الشيخ احمد بن سعيد بالوعار وأهل تربته ، وقرأنا عنده سورة يس والفاتحة وآية الكرسي وسورة إنا أنزلناه واحدى عشر من قل هو الله أحد والمعوذتين ، ثم استغفرنا ماتيسر وصلينا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعلنا ثواب ذلك إلى حضرة الشيخ احمد وأهل تربته إن الله يعلي درجاتهم ويرحم المسلمين ببركاتهم . ثم قرأت بهم المنفرجة المشهورة عند ضريح الشيخ أيضا ثم عزمنا من عند الشيخ وابتدينا في مأخذ :

يارب بهم وبآلـهمِ　　　　عجل بالنصر وبالفرج

ونحن نسير في الطريق فكنت أقمص على ذلك المأخذ بالمنفرجة أيضا لأني احفظها حفظا ضابطا ، وقرأناها في تلك الزيارة مالايحصى من المرات ؛ مرة بالمأخذ ومرة أنشد بها وحدي . فبتنا تلك الليلة بغار السودان وعشانا

معنا لأن الوقت ضيق ، ففعلنا العشا والغداء وشليناه مفعولا خبزاً من الهجرين ، ثم قبل وقت الأذان سرنا من عند السودان وتغدينا بمكان يقال له (شصر) شرج قريب من بلد قيدون ، ودخلناها بُعيد الشروق من يوم الجمعة وقصدنا حضرة الشيخ سعيد نفع الله به ، فزرناه زيارة طويلة إلى نحو ضحوة النهار على ماسبق ترتيبه في زيارة الشيخ احمد بالوعار ، وانبسط منها لأنا رغبنا عنده ، أي الشيخ سعيد إلى غاية ونهاية ، وحضر معنا في ذلك الوقت الخطيب عمر باراسين . ثم عبرنا إلى مكانه وجلسنا فيه حتى جاء وقت الجمعة وصلينا وخرجنا من البلد بعجلة مبادرين ، فأما الشيخ أبوبكر بن وجيه وابن أخته عبد الله بن عفيف وجماعة من آل محفوظ رجعوا إلى بلد الهجرين ووجدوا تلك الليلة والدنا الصالح عبد الله بن سالم بن رضوان قد ضوى إلى بلد الهجرين من حريضة قاصدا زيارتنا واتفاقنا لأجل الإستسقاء ، فرجع من الهجرين إلى حريضة ، لأنا قلنا لهم ربما تجدون الوالد عبد الله بن سالم بن رضوان قد جاء إلى بلد الهجرين فقولوا له يرجع إلى حريضة ، وقلنا لهم نحن نتم زيارة بقية أهل الوادي ، وأنتم لايكون ممساكم الليلة إلا بالبلد ، فخرجنا من قيدون الجميع معا وأصعدنا نحن والشيخ احمد بن عمر بانافع ، وعبد الله بن احمد باعلي ، وعلي بن عمر بن محفوظ ، واحمد بن عبد الله بلشرف الأحلكي ، فكان ممسانا بالعرسمة عند الوالد المبارك : مبارك بامحمد باشميل ، ونفذ هو معنا إلى وادي ليسر لزيارة الشيخ عمر بن محمد مولى خضم والشيخ عبد الله بن احمد بن طاهر وعبد الله بن عثمان أهل الدوفة ، وأمسينا ليلة الأحد بالدوفة عند صاحبنا المنور الشهاب : احمد باسيف باموكره ، ونفذ احمد

المذكور أيضا معنا . وظلينا يوم الأحد عند صاحبنا الشيخ عبد الله بامحمد باطويل العمودي ببلد صبيخ وفعل لنا عشاء مع وقت صلاة العصر ، وروحنا نحن وهو وابن عمه صاحبنا الشيخ محمد باعبد الله باطويل ، وأمسينا عند الشيخ عمر مولى خضم ، ثم بكرنا من عنده بعد صلاة الصبح من يوم الإثنين وتغدينا عند الشيخ محمد بن عبد الله بصبيخ أيضا ، وأما عبد الله بن محمد خلف منا بمكان يقال له (حُوفَه) وسرحنا بعد الغداء من صبيخ إلى العرسمة فوجدنا صاحبنا علي بن عبد الله باشميل قد جاء من مكانه الذي هو بوادي العين يقال له (غُورِبْ) فامسينا عنده وقلنا له إنا نريد أن نبكر إلى بضه قبل أن تحر الشمس ونزور الشيخ معروف بن عبد الله باجمال وقصدنا بالبرود ، فقال والله ماتسرحون حتى نفعل لكم كرامة مراده يذبح لنا رأس جلب ، فقلنا له نحنا ألا زوار ، فقال صدقتم أنتم زوار وأنتم ضيفان فتكون كرامتكم واجبة من وجهين ، فجلسنا لجبره ، وبايع إنسانا في رأس جلب سمين وذلك بالليل ، فلما جاء آخر الليل يريد منه الرأس المذكور غلط صاحب الجلب وأعطاه رأس أكبر من ذلك الرأس وأسمن منه ، وظن أنه الذي بايع فيه علي المذكور لأنهن في مكان واحد ، فلما أصبح وعلم أنه غير الذي بايعه فيه جاءه وطلب منه زائد القيمة ، فأعطاه إياها ، فحصل لنا عنده غاية الأنس كما هي عادته معنا ومع غيرنا جزاه الله خير الجزاء آمين .

ثم سرنا من بلد العرسمة لقصد زيارة الشيخ معروف فزرناه على صفة زيارة الشيخ سعيد وطلعنا بلد بضه وأبردنا بها ، فلما أردنا نُروِّح من بلد بضه وكنا عند صاحبنا سعيد بن عثمان بن سمير اجتمع هو وجماعة منهم

: صاحبنا الأمير احمد بن عمر باراشد وغيرهما ، وأخذوا رأسا من الجلب وخرجوا به إلى مكان شرقي تربة الشيخ معروف المذكور على الطريق مرادهم أنه يكون عشانا ، فتعشينا ونفذنا إلى زيارة نبي الله هادون وكان بها في تلك الأيام إذ ذاك صاحبنا العلامة الشيخ محسن بن عبد الله بن محسن بن محمد باقيس على إمامة مسجد نبي الله هادون ، وقصدنا الضريح المعظم ، وكان وصولنا وقت صلاة العشاء فسمرنا عنده وحضر بعض البادية وقال : خاطركم بالفرج لوهي (شِتنِه) تشرب ، يعني شعبهم الذي يسقيهم ، فقلت ياقليل الهمة نحن قصدنا سقيا جميع الجهة وأنت تبغا الشرب ألا لِشتنه وحدها ! وعزمنا قبل أذان الصبح وعزم معنا الشيخ محسن وزرنا الشيخ ناجه بن أمتع ، ونفذنا وزرنا الشيخ فارس والشيخ الحبيب عبد الرحمن بن عمر البار ، والشيخ محمد بن احمد بامشموس ، وباعمرو صاحب الدلق ، ويوسف بحر النور صاحب الرشيد . ثم زرنا الرشيد ، ثم زرنا الشيخ الأكبر علي بن عبدالله باراس ، وقصدنا بلد (الخريبة) ببيت الحبيب الشريف عمر ابن الحبيب عبد الرحمن البار وطلبنا منه أن يقرأ الفاتحة ثلاث مرات كلما أكملها مرة طلبناها منه مرة ثانية وثالثة ، ثم إني طلبت منه أن أقرأ القصيدة المنفرجة المشهورة فقرأتها وهو يسمعها ، ثم إنه قال : إن فيها كلمات قد أشكلت علينا ألفاظها فأعدها ونحن نسمعها ونرجع فيها من قرآئتك إلى الصواب ، فقرأتها وذلك على نية الرحمة لعامة المسلمين .

وأمسينا ليلة الخميس بلد الرباط وزرنا فيه الشيخ احمد بن عبد القادر والشيخ عبد الرحيم أهل (سِيدِه) وبجمد وأهل الراك ، وقصدنا

بيت صاحبنا العارف بالله سعيد بن إبراهيم بن سالم باداود وقام بنا المقام التام ، تقبل الله منه . ثم قلت للمشائخ : الشيخ احمد وعبد الله وبن محفوظ وبلشرف ، أعزموا هذه الساعة بكرة الخميس وممساكم إن شاء الله هذه الليلة يكون بلد الهجرين ، مهلا تعبرون مكانا سواها ، فعزموا الصبح . ومن حينئذ هبت نسيم القبول والسؤل والمأمول . وقد كنا لما أردنا الإستيداع من سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ببلد الخريبة قال لنا : نشرط عليكم أن دوعن مايكون فيه جور هميم لأن هذا نجم الإكليل وزيارتكم إن شاء الله تعالى مقبولة ، فقلنا مابا يقع إلا اللطف والخير إن شاء الله ، فقال قل ماشي هميم في دوعن ، فقلت أبداً ، فقال قل ماشي هميم في دوعن والشعاب من أسفل كثيرة ، فقلت : إذا كانت الشعاب من أسفل كثيرة فلا بأس ولايقع إن شاء الله هميم غيار في دوعن . وأقمت أنا في ذلك اليوم أعني يوم الخميس وهو الثامن في نجم الإكليل والثامن والعشرون في شهر ضفر الخير ببلد الرباط ، فلما كان وقت العصر مطرت على بلد الرباط وجاءت سيول لطيفة وفاضت جميع الأودية في البر والبحر من حيث ترتد الأخبار ، وقد سمعوا ضحوة يوم الخميس رجة عظيمة مثل الرعد القاصف ، وظنها أهل المعالي عند أهل السفال ، وظنها أهل السفال عند أهل المعالي ، والذي وقع ببالي أنها رجت باب القبول حين فُتح للناس والله أعلم بحقائق الأمور ، ووقع الهميم في وادي دوعن .

وأما الجماعة الزوار أصحابنا الشيخ احمد بانافع ومن معه ، لما بلغوا بلد الهجرين وذلك وقت أذان العشاء مطرت عليهم وعلى البلد المطر القوية مع أنها قد سبرت تطش عليهم من يوم مابلغوا (قرن ماجد) وجاءتهم

السيول الكبار في جميع وديان الهجرين كلها ، وأنشأت أنا ذلك اليوم وأنا في بلد الرباط القصيدة التي أولها الحمد لله فزنا بالرضا والقبول ، وذكرت فيها المشائخ الذين زرناهم وهي محفوظة في الديوان المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) .

ثم إني لماجئت إلى عند الحبيب عمر البار وقد حَدَّر إلى بلد القرين وعرضت عليه القصيدة (المتقدمة) قال لي : ياعلي إن معك وراثة محمدية في إستسقاء المطر ، أما سمعت قول أبي طالب في جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول رضي الله عنه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقد حققت جملة من هذه القصيدة بأبسط من تلك القصة التي رقعت الخصة وأشاعة القصة في كتابي الرسائل المرسلة والوسائل الموصلة في رسالة كتبتها جوابا لكتاب وصل إليَّ من الشيخ اسماعيل بن عبد الله النقشبندي خادم العلم في الروضة النبوية حين ذكر لي في كتابه المسمى ( ) إن القصيدة المذكورة لما أنشدت في مواجهة الرسول نهار دخول المحمل واجتماع الخلائق نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحصل للحاضرين من الخشوع والحضور وانشراح الصدور بسماعها ما لامزيد عليه ، فالحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبمغفرته ورحمته وعفوه تمحو السيئآت .

ثم إني رجعت إلى بلد الهجرين بعد فراغي من ذلك ، فوجدت الأرض قد زينتها أثر الرحمة ، الله الذي يحيي الأرض بعد موتها كذلك النشور ، أي كمثل هذا المذكور نشور أهل القبور ، ﴿ **وترى الأرض**

هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ [الآية ٥ الحج]

تسلية وتعزية لأولي القلوب الناهية والأسماع الواعية والأبصار الرائية ، إعلم أن الأربعة المذكورين الزائرين معنا من جملة الزائرين ، والقارئين عندنا من جملة القارئين ؛ قد صاروا والعياذ بالله بعد ماكانوا من المقربين من المعادين ، وبعد أن كانوا من الموالين صاروا من المعاندين المعرضين ، بل من المعترضين ، وحسبهم أسرع الحاسبين . فأما الشيخ احمد بن عمر بانافع فإنه صاهر بعض الشناة وجالسه حتى استرق ماكان فيه من النية الصالحة ، والطوية الناصحة ، فأفسدها كما يفسد الخل العسل ، ويسود البياض العفص ، والراح بعضها بعضا إذا دخل ، فمات رحمه الله على مافيه من سوء الدخل . وأما علي بن عمر بن الحاج بن محفوظ فقد توفي قبل ذلك ، وقد إرتد على عقبيه كذلك ، كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا وسقط في المهالك ، فنعوذ بالله من سخط المالك . وأما احمد بن عبد الله بن دقيل فليس له إقبال ولا إدبار ، ولا إبصار ولا إعتبار ، لأنه بدوي جاء في حاله غير خافي ؛ والله الكافي . وأما عبد الله بن احمد بافقيه باعلي فإنه بعد إقباله إلينا وقرآئته منهاج الطالبين علينا ، وماشاهده من الحسب والنسب والدين لدينا ، رجع عنا وأطاع معادينا ومحاسدنا ، وحسبنا الله وبحكمه رضينا ، وسيقع الفصل بين يديه بيننا . وسيأتي تمام ذكر حاله ، وأبيه وعمه وصهره وخاله ، وماصاروا إليه من سقيم الحالة والبغضاء لقرابة محمد وآله .

هذا ولما أن رجعت بعد الإستسقاء إلى بلد الهجرين بلغني أن بعض الحساد قال وأنا بدوعن في تلك الزيارة قبل أن أرجع إليها : كرامه يوم سارالسيد من البلاد وقعت الرحمة لنا . كماقال فرعون لموسى ﴿ **إنا**

تطيرنا بك وبمن معك ﴾ فانظر رحمك الله إلى هذا الجفاء العظيم ، واللآمة والعق من هذا اللائم اللئيم ، نحن في خبب وجهد واجتهاد بالدعاء والتوسل وترتيب قرآءة الفاتحة للأنبياء والأولياء في جميع النواحي ؛ صلوات الله على الجميع ، نذكرهم على الجمع والتعديد حتى من الله الكريم بالإجابة ، وهؤلاء يقولون ماقالوا ! فأين هذا من قول بعض النساء من أهل الخير وحسن الظن والعقيدة لما جارالغيث في بلد حريضة وأنا تلك الليلة ببلد سيئون أزور الفقيه عمر بامخرمه وأستسقي به الرحمة حيث قالت : هذا علي بن حسن عند مَن مِن الأولياء يدعو علينا لقد جار الغيث علينا ؛ تعني أنه ألح في الدعاء جار الغيث هنا ، وقد تقدم ذكر ذلك .

وقول عبد الله ابن صاحبنا الشيخ أبي بكر بن وجيه العفيف لما استسقينا وقد علم أنا أردنا ذلك ؛ فقال لوالدته وبكى : كيف يخرج حبيبي علي للإستسقاء والوالد غائب قبل أن توكدوا راعض يرعض مالنا ، لأنه قد ثبت بقلبه وثبت في لبه أنا إذا خرجنا لذلك يكرمنا الله بنزول الغيث . وقول بعض المحبين في كتاب كتبه لنا في حال توجهنا في وجهتنا هذه الزيارة ؛ وأرسله إلى الهجرين ونفذوه خلفنا ، فلحقنا إلى بلد بضة ونحن مصعدين يقول فيه : مالكم لاتجتهدون في الزيارة على عادتكم تستسقون فيها للمسلمين ؛ ولكن هذا غير منكور ، فقد قال الله تعالى ﴿ **ولايزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ [الآيات ١١٨- ١١٩] قيل للإختلاف وقيل للرحمة ، قلت بل لهما والله أعلم . وقال تعالى ﴿

فلايحزنك قولهم إنا نعلم مايسرون ومايعلنون ﴾ [الآية ٧٦ يس] وقال تعالى ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ [الآية ٣٣ الأنعام] وقال تعالى ﴿ **ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [الآيات ١٢٧ – ١٢٨ النحل] وقال تعالى ﴿ **واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا** ﴾ [الآيات ١٠-١١ المزمل] وقد قلت في بعض النشيدات شعراً :

تعجبت ياناس حد العجب ... من الكون ذي بالعجايب ملان
كثير المكاره قليل الطـــرب ... كثير المساوي قليـــل الحسان
إذا ماطلع ذا على ذا غرب ... ومهما بعـــــد ذا ترى ذاك دان
بتقدير من قد علا واحتجب ... وقدر ودبـــــر وماشاه كان
وساعات باليسر تأتي الكرب ... وساعات بالعسر يأتي الأمـــان
جعل فتنة البعض من بعض صب ... ليعلم بها صبرنا يافـــــــلان
وكم من صديق عـدو انقلب ... وكم من عـــــدو قسى ثم لان
فجل في تصاريف حال العرب ... وفند وسلم تهـــــون الحزان
ولاتجعل إن حد لنفسه وهب ... ولافادها من قضى الله كنـــان
ومارأته عينك من الله وجب ... من الزين والشـين في كل شان
خلق لك شواني وفيهم كلب ... يريـــدون ضرك على كل أوان
يودون لو كنت وسط اللهب ... ويرضـــون لوتندرج في الدمان
وسوا محبين فيهم حـــدب ... وفيهم لك المعـــــرفة والحنان

يعدون لقـــياك كل الطلب وتمناتهم وأنسهم حـــين حان
ترى في عدوك ومن كان حب مشابه جهنم وشبه الجـــنان
وشانيك يشنا ولالـه سبب فسبحان خالق محبا وشــــان
وقوم يقولون فيـــك العتب وقوم يقولون قطب الزمـــان
وقوم أذا هم علـيك انتصب وقوم تعينك إذا الخل عـــان
هدايا المعادي ذلوق الحـرب ونشر المساوي ودفن الزيـــان
ومن حب والى ومالا وطب وبَدًّا بماله وبالحال مـــــان
ولو كان يقدر قريب النسب يوالي قريـــبه رضي واستكان
ولكن إذا الله عليهـم غلب غدوا يطعنونك بحـــد اللسان
يودون من غيظهم والغضب عدمك أومسيرك إلى أقصى مكان
بلا جرم قد كان منك أوطلب عليهم بـــــيدك ولا باللسان
فسلم لمــــولاك فيما كتب وصن منك الناس حتى تصـان
وقل حسبي الله مولى ورب عليه توكلت ماثم ثـــــان
ومنه الرهب وإليه الـرغب هو الحي قيوم والكل فـــان
وصلى إلـــهي على المنتخب محمــــــد رفيع الثنا والمثان
وآله ومن في حـياته صحب ومن دينه الحق بالحـــق دان

****

واعلم أني في حال إقامتي ببلد الهجرين كنت ملازما للصلوات الخمس جماعة إلا المغرب في مسجد الجامع بها ، نحضر أيضا قبل صلاة العشاء قرآءة الراتب بين المغرب والعشاء في زاوية الشيخ احمد بن سعيد بالوعار ، وهي زاوية منورة معمورة معروفة مشهورة ، مقصودة مزورة

بالهدايا المنذورة ، في بحري شرقي مسجد جامع الهجرين . ثم نصلي العشاء بالجامع المذكور ، ونقوم آخر الليل إليه فنحضر الراتب المرتب من قرآءة القرآن في الزاوية ونصلي في القبلة ، ثم نعود إليها بعد الصلاة ونرتب الراتب المذكور ، لأن العادة في مقام آخر الليل في زاوية الشيخ احمد بن سعيد بالوعار المذكورأنهم إذا قاموا آخر الليل قرأوا نصف الراتب قبل الصلاة ؛ ثم إذا طلع الفجر قاموا إلى القبلة الجميع وصلوا الصبح ، ثم يعودون إلى الزاوية لتمام الراتب . ويأتي لهم الناظر على الزاوية بقهوة بن مرتبة عليها وقف على الزاوية ، وقد يأتيهم شيء من الأنذار بالليل والنهار من الرزق المدرار ، الذي وصفه الرحيم الغفار ، حين امتن على الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين والمتقين والأبرار ، بقوله تعالى في زكريا ومريم القانتة في محراب الدار ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ [الآية ٣٧ آل عمران] ولاحتضار ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاءِ ربك وماكان عطاءُ ربك محظورا** ﴾ [الآية ٢٠ الإسراء] ثم بعد ذلك يقرءون في الزاوية المذكورة الختم المعروف ، وهو الدعاء المنسوب إلى الشيخ احمد بن سعيد بالوعار المرتب في زاويته المذكورة . وقد حصلت لي رؤيا كأن الشيخ احمد بن سعيد بالوعار المذكور مقبورا في زاويته المذكورة وكأن التابوت الذي على قبره قد ملاه ؛ بحيث لم يبقى إلا الذي يسع الإنسان المار بين التابوت وبين السترة ، فقلت في معنى ذلك شعراً :

الشيخ في الزاوية مامال مـــــنها مكان
شفناه بالعين ياذي تشهدون العــــيان

من هو مصدق يصدق والمكذب يهان

ثم نعود إلى المسجد قبيل صلاة العصر يقرأ فيه عندنا جماعة من طلبة العلم في كتب متعددة الرسم ، حتى إذا بعد صلاة العصر إذا فرغوا من القرآءة نجلس في مكان جعلناه في شرقي الدار بريح ؛ ونقرأ فيه ماتيسر إلى الغروب ، ونصلي المغرب في جماعة ويصلي معنا من حضرمن المحبين الواصلين المتصلين من أهل البلد وغيرهم ، ونفعل قهوة بُن هناك نحن والجماعة المذكورين ، منهم صاحبنا الشيخ فخر الدين ، المعين لنا على نوائب الدنيا ووظائف الدين ، أبوبكر ابن الشيخ العلامة وجيه بن عبد الله بن عفيف ، وابن أخته صاحبنا العلامة عبد الله بن عفيف بن عمر بن عفيف ، والشيخ علي بن عمر بانافع وأخيه صاحبنا شهاب الدين احمد ، قبل أن يصحب من أنكر وجحد ؛ فينكر ويجحد ، وصنوهما النقيب أبوبكر وجماعة ممن سواهم ، فلبثنا على ذلك مدة . ونرجو من فضل الله الكريم دوام ذلك ودوام أفعال الخيرات والمبرات إلى الممات مع الثبات ، وحسن الخاتمة لنا ولمن ذكرنا إنه ولي ذلك والقادر ، وماذلك على الله بعزيز .

(فصل) فيه تعزية وتسلية وتولية وتقوية لمن إبتلى بعقوق أصحابه وأولاده ، وجحدان الحقوق من أضداده وحساده ، ونسيان الجميل وإظهار القبيح من جيرانه وأهل بلاده . اللهم يامن أظهر الجميل وستر القبيح ، إنا نعوذبك ممن يستر الجميل ويظهر القبيح . إعلم انه حين وصلنا إلى الهجرين حسبما تقدم فيما نحن به مذاكرين ، أقبل جماعة كثيرون من أهل بلد الهجرين إلينا ، ولازموا مجلسنا والقرآءة علينا ، والمودة لدينا ، بحيث لم

يتخلف أحد يعد من الأعيان إذا عدينا . وبعد أني فكرت في بعض الليالي في إقبالهم الكلي ولم يجري علي منهم مثل ماجرى من أهلهم على أهلي من الأذى والقذا ، والقلى المقلي بحسب معنى قوله تعالى ﴿ **لتبلوُنَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا** ﴾ [الآية ١٨٦ آل عمران] وقلت في نفسي لو من الله علي بمثل ما من الله به على سلفي الصالح من الأذى ، فلما كان صبح تلك الليلة أصبحت شعائره على الجماعة لائحة ، ومشاعره وشعاره لديهم واضحة ، وقلوبهم بما فيها على ظواهرهم ناضحة ، وألسنتهم بتعاطي منكر القول وزوره بائحة صائحة ، وأهويتهم بنسيان الجميل وكتمان الفضيل غادية ورائحة ، وأحقادهم وأحسادهم وأكبادهم وأعنادهم وأضدادهم بـ ﴿ **إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** ﴾ [الآية ١٢٠ آل عمران] ناطحة ، وصدق عليهم معنى قولي في بعض القصائد مخاطبا بها الوالد الفقيه الصوفي ، الصفوة النبيه العفيف اللطيف : عبد الله ابن الفقيه عمر ابن الشيخ عبد الله بن عفيف الهجراني التي مطلعها :

قل للنجيب المستجيب الشادي عبد الإله الصادق الميعادي

إلى أن قلت فيها :

واعلم بأني قد خصصت بمحـــنة فيها الثواب ونيل كل مـــــرادي

كثرت خصال الدين عندي فاقتضت ... لي في زماني كـــــثرة الحسـادي
فغدا عدوي كل شاني خصلـــة ... منهم فلم أحصيهم بعـــــــــداد
هذا وقد سبقت بذلك ســـنة ... لله في الأسلاف والأجـــــداد
قالوا بدا سر النبوة هكــــذا ... فإذا فكم ذا في الأنام أعــــادي
قد عاصروا ماناصروا فتقاصروا ... قصدا على الهجران والإبعــــاد
وخرجت من بلدي فــرارا منهم ... فوجدتهم خلقوا بكل بــــــلاد
يستكثرون لنا القليل من الهبا ... ويغمهم فينا إزدياد الـــــــزاد
قوت البهائم والوحوش ومن عصى ... لله بالطغيان والإلحــــــــاد
عجبا لهم يستعظمون محـــــقرا ... دون الجناح من البعوض الغـــاد
ويرون إلمام الصديق بسوحـــنا ... غبنا لهم ومصيـــــــبة بكـماد
فنعوذ بالله العظيم جلالـــــه ... من كل عات معتد بعـــــناد
مستمسكين ولائذين بحفـــظه ... متواضعين لبـــــــابه قصـاد
باب الإله الحق مالك أمــــرنا ... منشئ السما سقـــــفا بغير عماد
وممهد الأرضين فيها خلــــــقه ... ومقرها بالشمخ الأطـــــــواد
ومقدر الأرزاق والأخـلاق والأ ... فعال والأقوال والآمـــــــــاد
ندعوه بل نرجوه فيما نابـــــنا ... من حادث الدهر الخئون العاد
ونقول يارباه ياغـوثاه يـــــا ... من ينقذ الملهوف غير ممـــــاد
ياعالما بخواطري في خاطــري ... ومخاطري في السعي والــترداد
أدعوك مبتهلا إليك وسائـــلا ... من فائضات الجود والإمــــداد
كن لي معينا ياإلهي واهـــدني ... باللطف والتوفــــيق والإرشـاد
والبس عُبيدك ثوب عافية لـــه ... ولمن يليه وصــــــنه بالإسعاد

وكذا الذين لهم إليه قرابـــــــة　　والصحب والأتباع والأحـــــفاد
وتولنا واجـعل لنا ياربـــــــنا　　حق اليقين إلى جنابك هــــادي
وارزق وبارك في الذي تعطي لنا　　حتى نعيش بنعمة وســــــداد
واصرف مساوي ماقضيت بحسنها　　واظهر جميلك بالجميل البـــادي
واجعل صلاتك والسلام مكررا　　أبدا على المختار نورالـــــوادي
المصطفى زين الوجود محمد الـــ　　ـمبعوث غيث المستغيث الصادي
والآل والصحب الكرام وتابــع　　أبداً مع الآزال والآبـــــــادي

وقول القائل وهو الإمام أبوحنيفة رحمه الله :

إن يحسدوني فإني غير لائمـــهم　　قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي ومابهـــــم　　ومات أكثرهم غيظا بما يجـــدوا

وقول القائل :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فعـله　　فالكل أعـــداء له وخصوم
كضرائر الحسنا قلن لوجهها　　حسدا وبغضــــا إنه لدميم

آخر:

لاخلاك الله من حاسد　　إن خير الناس من يحسد

اللهم اجعلنا من المحسودين ولاتجعلنا من الحاسدين . فكان جماعة كثيرون من أهل بلد الهجرين المذكورة وغيرها قد أخذوا في القرآءة علينا في كتب متعددة مثل : منهاج الطالبين ، وبداية الهداية ، ومختصر الشيخ أبي شجاع ، ومختصر بافضل ، ورسالة القشيري نحو الخمس عشر نفر ، فظهر بعد ذلك منهم من فر واستنفر ، ونكر وفكر فقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، ودخلهم

مايدخل شرار البشر ، من مجازات الخير بالشر ، كما انتشر من أسلافهم لأسلافنا ماانتشر . فمنهم رجل خطيب في مسجد الجامع متوسم ظاهره بالخير والعبادة ، وقد قرأ عندنا في كتاب بداية الهداية وغيرها ، وانتسابه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتظاهره بأعمال الخير وإمامة الجامع والخطبة ، فصار من أكثر الحاسدين ؛ وأنكر الجاحدين ، وأكبر المعاندين لنا على امور الدنيا والدين . فابتدأ اولا بالمهاجرة والمناكرة والمقاطعة والمدابرة ، حتى أنه يوما لما أبصر بعض أصحابي وقد وضع كراسه في طبق جلد دويل وَجَدَهُ خلي من الأوراق لايحتاج إليه ؛ إنما هو منبوذ في المسجد وكان يقرأ فيه عندنا في المسجد أيضا ، فلما رآه قال على سبيل التنقيص والمناكرة والمجادلة بالباطل : مالكم أخذتم أطباق المسجد وهي موقوفة لايصح لكم أخذها ؟ فهممت بجوابه لقوله إنما هي موقوفة على المسجد ونحن نقرأ فيه ، ثم بدا لي ترك جوابه ، فتركته حتى قام بغير جواب مني ، خشية من فتح باب المجادلة في أمر لايضر ولاينفع .

وكنا نقوم في أيام شهر رمضان المعظم في الجامع المذكور أثناء إقامتنا بالهجرين على حسب مقام الجهة الحضرمية والدوعنية والعمدية والسواحلية اليمنية التي لايماثلها في ذلك جهة من جهات الإسلام المتوجهة ، فنأتي إلى المسجد الجامع من أول الضحوة فنجلس في زاوية الشيخ لتلاوة القرآن إلى صلاة الظهر ونصلي في المحراب ، وتستمر القرآءة لبعض الناس في المسجد وبعضهم في الزاوية إلى صلاة العصر ، فيقومون جماعة منهم إلى الزاوية للتلاوة ونحن نبقى بعد صلاة العصر في القبلة نقرأ في شيء من الكتب إلى وسط العشوة ، وتستمر القرآءة في القبلة وفي الزاوية إلى

المغرب ، وبعد المغرب يبقى في الزاوية جماعة يقرؤن القرآن وتأتيهم الناس من كل مكان ، وتستمر حلقة القبلة وحلقة الزاوية في رمضان إلى مقدر نصف الليل ، ويؤذن العشاء ويقومون اهل الزاوية إلى القبلة وأصلي أنا بهم صلاة العشاء ، ثم أصلي بهم مقامين من صلاة التراويح ، وبعدها يأخذ هذا الرجل المذكور مقاماً من التراويح يصلي بالناس ، ويتداول بعده جماعة ، ومقام صلاة الوتر لرجل آخر معروف من الراتبين المعادين لنا . ثم نشرع في قرآءة كتاب معروف يقرؤه رجل معروف ، ثم نشرع في المدح بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتستمر القرآءة في الزاوية والمدح في القبلة ، وجماعة يخرجون إلى البيوت يتسحرون ثم يعودون ، ويقومون الذين هم في المسجد للسحور ، وتستمر القرآءة إلى الفجر حسبما تقدم في ترتيب ذلك . وهذه عادة الجهات الحضرمية كلها في رمضان . فبينما أنا في بعض الليالي في القبلة لم أشعر إلا بالرجل المتقدم ذكره وقد قام قدامي في القبلة وأنا جالس للإستراحة التي من أجلها سميت التراويح إلاوقد وجهي خلف ظهره وألصق بأنفي ما أسفل من دبره ! فقلت من هذا ؟ فقال أنا حسين ! فقلت ماتريد ؟ فقال أريد أن أصلي بالناس ، فأردت أن أقول له قف وأنصف إن كان يصح لك أن تكون أنت الإمام وأنا الماموم ، ثم رأيت ترك المراء لحديث (من ترك المراء وهو محق) فقمت وتأخرت إلى حيث كان في الصف وصلى بنا ذلك المقام وتأخر ، ودخل بعض العوام وكنت أظنه أنه يبقى هو الإمام بنا إلى آخر مقام ؛ فلما كانت الليلة الثانية وأقام المؤذن لصلاة العشاء قلت له تقدم صل العشاء بنا فأبى ونبا وجبى ، ولم يزل مع البعدا الجنبا إلى القربى من ذوي القربى ،

فوافقه على ذلك جماعة في قلوبهم مرض وطماعة ، ظاهرهم الطاعة وباطنهم القطاعة ؛ لما أمر الله به أن يوصل من الرياعة ، فبينما هو ذات يوم يخطب في بعض خطب ابن نباتة فانتهى إلى قوله : (تكتنف الطاعة أربابها ، ويحيق الندم بمن أضاعها) . إذقال بعض مازادوه النساخ وليس من كلام ابن نباته : (وتلتقط جهنم أشياعها ، ولايجاب إلى الإقالة من باعها) . فلما فرغ من الخطبة والصلاة قلت له : إن الكلمة ليست من كلام ابن نباتة ، وأنه يحصل من إدخالها في هذا المكان غيار معنى بصرف ضمير من باعها من الطاعة إلى جهنم الملتقطة ، فيحيق الندم بمن أضاع جهنم وباعها ، وأيضا فإني قد طالعت جملة من النسخ النباتية ومارأيت هذه الكلمة المخلة بالمعنى فيها ، وإني أكاد من كثرة خطابتي بها وترددي فيها أحفظها ، بل قد قرأتها على بعض مشائخي العارفين بها . فلما قلت له ذلك تغير وجهه وقال : الخطبة قد خطبها جدي فلان وعمي فلان ولست أعرَف منهم ! فقلت له إن أردت إظهار الحق وافتضاح المبطل فاكتب إلى تريم وخذ خطي على نفسي بأني قد قلت كذا ، وإن أتاك جوابهم على حسبما قلت أنت وكتبه الناسخ واعتمده جدك وعمك فقد حصل المطلوب من وجهين ؛ الأول : ظهور الحق على مرادك ، والثاني تأييد هواك في تنقيصي واجتهادك ، فاتبع قولهم واعرض عن كلامي . وأشاع هو وجماعة ملامي ، وجاءني خاله إلى بيتي وقال : إن الخطبة إنما هي حقنا ، يعني وقفنا ، فأردت الجواب عليه بقولي : إن كانت الدعوى في الوقفية لاتصح لأحد فهي لمحمد ونحن آل محمد ، ولكني اخترت ترك جوابه على عادتي كعادة سلفي من أهل البيت النبوي ، لاسيما الوالد عمر والوالد حسين ،

فإنهم يتركون الجواب على مثل هذا الخطاب ، مع القدرة على الجواب المسكت بأصوب الصواب .

وجلس عندنا مرة رجل ظاهره متوسم بسيما أهل الخير ، وباطنه منطوي على الحقد والحسد ومنع الخير ، فكلما كثرت المعاونين لنا على الخير من أهل الخير كأنه أراد تنقيصهم وإدخال الأذى علينا وعليهم ، قال : أنت مسلط على العفاريت ، فأردت أن أجوب عليه وأقول له : أنت أكبر العفاريت ومارأى أني سلطت عليك حتى في كلمة طيبة دون منفعه .

وكذلك كانت لنا جارة من أهل الهجرين ؛ فكانت تكثر الأذى لنا ، وربما رأت كثرة الناس إلينا بالزيارة من كل محل فتقول : إنما هذا السبب إن السيد صاحب أسماء وطلاسم وعطوف وصروف . فلما بلغنا قولها السؤ قلنا : لوكنا نجيب على مثل هذا القول لقلنا لها : لوكنا نتعاطى شيئا مما ذكرتيه من هذه الأشياء لفعلناها لك ولأمثالك من أعدائنا ، الساعين في دائنا وأذائنا ، وأنك جار الدار ونحن أحوج أن نفعله لإطفاء مافيك من تلك النار ، وإبراد حرها لئلا يصيبنا من شر كلماتك التي هي أشر من الشرار ، لوكنا نفعله لفعلناه لكِ مكافأة لشرك لأنك من جيران السؤ الموعود بهم كل مؤمن في حديث (ماكان مؤمن ولايكون إلى يوم القيامة إلا وله جار يؤذيه) وأما هؤلاء الذين رأيتيهم سألهم الله على لسان رسوله المودة لقرابته بقوله تعالى ﴿ **قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ [الآية ٢٣ الشورى] وفي الحديث (المؤمن آلف مألوف ، ولاخير في مؤمن لايألف ولايولف) وحديث (الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف) وقوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**

سيجعل لهم الرحمن وُدا ﴾ [الآية ٩٦ مريم] في قلوب المؤمنين . والحديث الوارد في البخاري (إن الله إذا أحب عبداً أمر جبريل أن ينادي في السماء إن الله يحب فلان فأحبوه) الحديث .

خاتمة لهذا الفصل الذي ذكرنا فيه ماحصل علينا من الفصل والقطيعة التي كانت في الأصل من الله لنا من أقوى أسباب الوصل ﴿ **فعسى أن تكرهو شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ [الآية ١٩ النساء] ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل إمرئ منهم مااكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ [الآية ١١ النور] ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون** ﴾ [الآية ٩ البقرة] إلى قوله تعالى ﴿ **فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين** ﴾ [الآية ١٦ البقرة] وقوله تعالى ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ [الآية ١٧ فصلت] إعلم أن من جملة مانقوي به جاش النفس ونسليها ونعزيها به إذا ورد علينا الأذى ، الذي هو من المضرات والقذا ، ننظم الأبيات والحِكَم المسليات ، حتى إن الحبيب عمر البار لما سمع قولي المار في هذا المضمار ، حيث أقول من الأشعار :

وخرجت من بلدي فرارا منهم   فوجدتهم خلقوا بكل بلادي

قال قولك هذا ينسم عليك وقد صدق . فمن جملة ذلك قولي حين رأيت إدبار وانفضاض بعض من حولي مع الدين واللين المأمور به أفاضل النبيين في قولي ، وأيضا للهرب خلال الصفوف وتوليهم عن الزحوف من يولي من أهل قولي :

بني مغراه قلبي وحل ياهل المعاني وصبري من شغوبي كمل والجسم ضاني
وفكري حار في وقتنا وقت الشواني من اصحبته وبالغت في وده جفـاني
ومن شنفت له كاس حالي صرف هاني جنالي في الجزا من حدج خس المجاني
ومن شيدت حصنه بيدي واللسان هدم ماقد تقدم برجله من مبـــاني
زمان العق فيه انبذل والبر فـاني ولاتسهن كفى خير من رجل أوغواني
ولو عديت ذي باعدوا بعد التداني وعادوا بعد ما دارسوني في المثـــاني
وطلبوا عندي العلم واستسقوا دناني حسبت آلاف رجعوا لحسادي عواني
ولكن حسبي الله وتدبيره كفـاني إليه إرجع ومنه الفزع والكل فــــاني
وصلى الله على المصطفى طه اليماني محمد جدي الهاشمي قرشي كنـــاني
عليه الله صلى عدد ماسب شاني وعد أهل الحسد والعداوة والضغـاني

(فائدة) حديث (لايكون مؤمن إلى يوم القيامة إلا وله جار يؤذيه) صحيح مجرب ، فإني كلما سكنت دارا في أي مكان كان ؛ ظهر لي جيران يؤذونني فأصبر على أذاهم ، وأنتظر من الله بشفاعة رسول الله كفاية عداوتهم واعتداهم ، إقتداء باهتدا من أنقذهم الله به وهداهم ، فقال تعالى ﴿ **ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾ [الآية ٤٨ الأحزاب] كما أشرت إليه في بعض قصائدي بقولي :

ونصبر للمؤذي جميلا مؤبدا بآيات قرآن على الصابرين أثنى

وقولي في أخرى :

وخرجت من بلدي فرارا منهم فوجدتهم خلقوا بكل بـلاد

المأخوذ من قوله تعالى ﴿ **ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون** ﴾ [الآية ١٢ إبراهيم] .

ومن جملة مامن الله به علي وأنا في بلد الهجرين أن جعل البيوت المستديرة ببيتي من أشد الناس عداوة لي ، حتى أن بعضهم في الظاهر والله المطلع على السرائر ؛ كان من المنسوبين إلى الخير حتى أنك إذا رأيته قلت هذا من الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ومن حملة القرآن ، ومن قوام المساجد ، ومن الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، ومن ضعفاء المسلمين العميان المنورين ، ومن المعلمين الذين هم خيار العالمين ، ولكنه لما كان من جيراني كنت أرى منه غاية القبض والحقد ، الذي هو منع الود الذي هو الدليل على البغض ، حتى لما ابتدأت في تسويس الدار ، نقرب من الطريق الأحجار الكبار ، الذي تؤذي المار ، فمر يوما في الطريق وأنا جالس بالقرب من موضع نقل الحجارة ؛ مالت من الطريق حجارة ، فلما أحس أن الحجارة مالت من الطريق ، وعلم بأني أخذتها لقصد الإنتفاع بها في ساس الدار ، قال في نفسه بحيث أسمعه : لاحول ولاقوة إلا بالله ؛ ميلوا الحصاة من الطريق ، كراهة الإنتفاع بها ، وإن زالت مضرته بسببها . فسبحان من قسم الأخلاق مثلما قسم الأرزاق ، وقسم المحبة والشنئآن والإيمان والنفاق ، ﴿ **ص * والقرءآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ [الآيات ١ – ٢ ص] إلى أن قالوا ﴿ **ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا إختلاق * ءأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب * أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما فليرتقوا في الأسباب * جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب * كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوا الأوتاد * وثمود وقوم لوط**

وأصحاب لئيكة أولئك الأحزاب * إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب * وماينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾ [الآيات ٧ – ١٥ ص].

انعطاف إلى ماكنا فيه من خبر هؤلاء الشناة ، وإن لم نستوفي ذكر ذلك حتى أدناه . ثم إن هذا الرجل المتقدم ذكره هو وجماعة شملهم أمره ، قالوا لواحد من كبراء متكبرين قربائهم كان يتصل بنا ونتصل به ، وهو بمكان قريب من بلد الهجرين ، أن هذا السيد فلان يأخذ أطباق المسجد الخلية ويجعل فيها الكراريس لجماعة يقرءون عنده ، وربما أنه تصرف في بعض ألفاظ خطب المسجد ، يعنون الخطب النباتية ، فضرب عليها وبدلها بكلام من رأسه ، فكيف يكون أعرف من غيره ، وقد مضى فلان وفلان من السلف أهل البلد من أهل العلم ولم يبدلوا مابدله ، فحينئذ غضب ذلك الصاحب الراضي وأخذ بقول هؤلاء الحساد ، الذين ليس فيهم إلا المغتاض لا المتغاضي ، وكتب إلينا كتابا فيه من الجفا والحفا والمقابلة بما لايقابله العصاة الضعفاء . فلما رأيته هممت أن أكتب له جوابا بليغا ، وأزجره زجرا عنيفا ، ثم إني تركت ذلك بحمدالله ، وكتبت له كتابا أوله : الحمدلله الذي لم يقدر علينا عثرة ، لابقلة ولابكثرة ، لأن ماهناك من يقيلها ، ثم إني أقول ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين** ﴾ [الآية ٦ الحجرات] وماذكرت من غيار الخطبة فإن النسخة موجودة لم تعدم ، والآن إن أردت البيان وإقامة البرهان على ماشان وزان ، فقدك تصل تنظرها بعينك ، فإن وجدت شيئا مما ذكرت في كتابك فنحن الذي نستحق العقاب ، ونكون أهلا لما ذكرت في كتابك أويزيد عليه ، وإن لم وإلا أنت في حل مما واجهتنا به .

ولما كانت الليلة الثانية من وصول كتابه إلينا رأيت كأن مسجد الجامع ملان من سلفنا آل أبي علوي ؛ وفيهم شيخنا الوالد الحسين والوالد محسن بن حسين وكأني بينهما أقول : هذه نسخة الخطبة فانظروها ؛ فإن وجدتم شيئا فيها مما ذكروه فاللوم عندي ، وإلا فخذوا لي بثأري منه . فاتفق بعد ذلك أن هذا الإنسان الجافي سار إلى حضرموت في نزاع بينه وبين قرابته ، فلما بلغ إلى بلد سيئون اصطاب مركوبه وذبحه ، ثم قالوا لنا بعد أنه سار إلى تريم للزيارة ، فقلنا حاشا لله أن يحصل له قبول وهو يؤذينا ويتجرأ علينا ، فلما رجع أصابته غدة كغدة البكر ومات . وسار واحد من الذين كلفوه أن يكتب لنا ذلك الكتاب إلى مكة وهو قد قرأ علينا في كتاب منهاج الطالبين للنووي واستخلف من الكل ، واستحل من الكل إلا نحن ، فلما توسط البحر غرقت السفينة التي هو فيها فغرق مع من غرق من أهلها ، لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم هذا ماانتهى ، لما وهن العظم وماوها ، وماهم بأولي الأحلام ولا أولي النهى ، ولا المبين في اللها ، والمعين باللها ، ولامن نودي بقولها . " قوله : ولانودي بقولها ، الذي يظهر أنه أخذه من قوله تعالى في الحديث القدسي " (من يدعوني ؛ من يسألني ؛ من يستغفرني) والله أعلم بحقائق الأحوال ، وأستغفر الله لماقلته وكتبته " بل هم ألهى من لها ، وأسهى من سهى ، وأدهى من دهى ، وخبرهم أخفى من السهى ، ومن سهيل إذا انتهى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ﴿ **فإن تولوا فقل حسبي الله لآ إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾ [الآية ١٢٩] ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [الآية ١٧٣ آل عمران]

﴿ **وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنآ إلى الله راغبون** ﴾ [الآية ٥٩ التوبة] وإنما نبهت على هذا وذكرت طرفا يسيرا جدا من بعض ماحصل منهم هنا من الأذى ، ليتأسى ويتعزى كل إنسان إذا وقع له مثل ماوقع لنا ، الذي هو دون ماوقع لسلفنا . وليعلم أن ذلك من سنة الله التي قد خلت في عباده المشار إليها بقوله تعالى ﴿ **قد نعلم أنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين * وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أوسلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين * إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون * وقالوا لولا نُزِّلَ عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينـزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾ [الآيات ٣٣ – ٣٧ الأنعام] وقال تعالى ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ [الآية ٨٥ الحجر] وقال تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون * ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون** ﴾ [الآيات ١١٢ – ١١٣ الأنعام] وقال تعالى ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا** ﴾ [الاية ٢٠ الفرقان] وقال تعالى ﴿ **لتبلونَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [الآية ١٨٦ آل عمران]

ولما أوذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر . وقال : ماأوذي نبي ما أوذيت . وذلك لما قيل له حين قسم بينهم إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . وقيل له أيضا : أعدل يامحمد . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لوكان المؤمن في رأس جبل لقيض الله له منافقا يؤذيه . انتهى الحديث .

قال بعض العلماء بعد إيراد هذا الحديث : يامن ضاق صدره ؛ وجرح قلبه ؛ وساء خلقه ، من عدو أقلقه ؛ وحاسد حسده، طب نفسا ؛ وقرعينا ؛ وأنعم عيشا بشهادة الرسول لك بالإيمان ، ولعدوك بالنفاق ، بخ بخ إن عقلتها ، أمالك في رسول الله أسوة ، أما لك في الصالحين قدوة ، فلو لم نلق الله تعالى بشيء من الحسنات إلا بما اقترفناه إختيارا للقينا الله تعالى فقراء من الحسنات ثقلا من السيئآت ، ولكن تأتينا من الله أحسن الحسنات ، ونبلغ أعلى الدرجات بما نكابده من المكروهات ، وهي المصائب والدواهي المكتوبات ، ومايكسر القلوب من كلمات الحاسدين والحاسدات . ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما ءاتاكم والله لايحب كل مختال فخور** ﴾ [الآيات ٢٢ – ٢٣ الحديد] وقال الشيخ ابن عطاء الله في حكمه : ليهون ألم البلاء عليك علمك أنه تعالى هو المبتلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك منه حسن الإختيار . وقال الشاعر :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض الناس بالنعم

وقال تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ [الآية ٢١٦ البقرة] مافيه صلاحكم وفلاحكم ونجاحكم . وقال تعالى ﴿ **فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ [الآية ١٩ النساء] وقال بعض أهل الفضل : لايكمل مقام الولاية إلا بمقام الصبر على الأذى الذي هو أعظم بلية يجب صبرها ؛ ولو بغضه كل الناس لم يتأتى له مقام الشكر على المحنة التي هي أعظم نعم الله التي يجب شكرها . والجامع لمعاني المقامين ماورد في الحديث عن رب العالمين على لسان الصادق الأمين (من لم يرضى بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي) وفي الخبر : إن الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق ، وأخذ الميثاق على كل منافق أن يبغض كل مؤمن . وقد أوحى الله تعالى إلى داود : ياداود تخلق بأخلاقي فإني أنا الصبور . وروي أن رجلا سب الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر رضي الله عنهما فقال له جعفر : أما ماقلت مما هوفينا فإنا نستغفر الله منه ، وأما ماقلت مما ليس فينا فإنا نكلك فيه إلى الله تعالى . وقيل لبعض الصالحين : إن فلانا يقع فيك ! فقال : لأغيضن من أمره بالوقيعة في بالدعاء أن يغفر الله لي وله ، قيل له ومن أمره ؟ قال الشيطان . انتهى .

(قلت) وهذا إنما ينكر إذا كان في الأباعد ، فأما الأقارب إذا استدعوا النور وعموا وصاروا من العور الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون فلاينكر منهم ذلك لقوله تعالى ﴿ **لقد كان لكم**

في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الآية ٢١ الأحزاب] وقوله تعالى ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُراءوا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا** ﴾ [الآية ٤ الممتحنة] وقوله تعالى ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ [الآية ٧ يوسف] وقوله تعالى ﴿ **لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين** ﴾ [الآية ٥ يوسف] وفي الحكمة القديمة : ثلاث لايصلح فسادهن بشيء من الحيل : العداوة بين الأقارب ، والتحاسد بين الأكفا ، والركاكة في العقول . وثلاث لايفسد صلاحهن بنوع من المكر والحيل : العبادة في العلماء ، والقنوع في المستبصرين ، والحياء والسخاء في ذوي الأخطار . هذا وقد قال بعضهم : الناس ثلاثة أقسام : محب ومبغض وخال منهما ! أما المبغض فلا ينفع فيه وضوح الدليل والبرهان لما غلب عليه من الهوى المستحكم ، بل كلما رأى زيادة من الخير إزداد بغضه وحسده ، وموجب عداوته أما أنه محب للدنيا فيبغض الآخرة وأهلها ، وأما لأنه متوسم بعبادة في الظاهر من غير عمل بها باطني فيعادي كل طائع . كما قال سفيان الثوري : مكتوب في بعض الكتب : عدوك من يعمل بعملك ، أومنتسب إلى أب صالح وهو طالح قد قنع بكان أبي وطمع ؛ مع مسيره مشرقا في بلوغ الجانب الغربي وهيهات ماظنه الغبي ، أوفقيه حشوي واقف مع الظاهر خال عن النور الباهر ؛ الباطن والظاهر ، وماعلم بعلم إبليس أنه لما عدم التوفيق والنور والرحمة وسلامة الصدر ؛ صار إلى التمويه والتلبيس والغيبة والتفليس .

ثم اعلم أنا قد أوذينا بغاية الأذى ، وقد بهتونا بالبهتان العظيم ، حتى أن بعض الناس لما تعادى لنا قال : بعضهم من يريد أن يغير قلبه علينا أن فلانا يقول لكم أنكم رافضة تبغضون أهل البيت ، ولم يعلم قلبه الأبكم الأبلم إن الرافضة لايبغضون أهل البيت ، بل كان سبب تلقيبهم الرافضة إنهم كانوا من شيعة أهل البيت النبوي ، وقد خرجوا مع زيد ابن علي ابن الحسين على هشام بن عبد الملك بن مروان القرشي ، لكنهم لما لم يتبرأ زيد من أبي بكر حين طلبوا منه ذلك في جامع الكوفة مع احتياجه لقتالهم معه وهم خمسة عشر ألفا رفضوه ، فمن يومئذ لقبوا الرافضة . فقلت للذي أخبرني بذلك ، فتبين بطلان ماهنالك ، من بهتان الحاسد الهالك ، بعون الواحد المالك ، المعطي بغير حساب ولاخطر ببالك .

وسعى بعضهم إلى جماعة من الأقارب وقال لهم : إن فلانا يقول ويشير إليكم ماعاد هناك إلا (تِبِلْ) يعني إني أقول فيهم ذلك ، ووالله الكريم البر الرحيم ماقلت ذلك . وقالوا أيضا الحساد وأهل البهتان أشياء غير ذلك . واتفق ذلك الأذى علينا ، والقذا الذي إذا صادف عينا أرمدها ، تعلم والله ماقاسينا من كل طبقة عاصرناها من أهل الزمان من يوم عرفناهم بوصول سن التمييز ؛ إلا كلماتهم التي تؤذيني وتؤسيني ، غفر الله لنا ولهم الجميع ، بجاه محمد الشفيع ، آمين اللهم آمين .

وقال لي مرة بعض المناصب لما شاهد مني ترتيب جماعة في حضرة الذكر في بيت من بيوت الله بحضوره ، وكان يرى أنه أولى مني بذلك وقد أدخلته الغيرة ، فقال : أنت متعرض ، فقلت نعم متعرض لنفحات الله ، وأنت معترض ومعرض عن مودة اهل بيت رسول الله . أشرت إلى قول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها . الحديث . وإلى ذلك أشرت بقولي شعراً :

ياعاذلي كف عذلك	فليس تطمع بحيلة
تنكر علينا بجهلك	في الذكر قصدك تزيله
الذكر هو خير مسلك	وبه تنال الفضيلة
وتارك الذكر يهلك	وليس له من وسيلة
رح في سبيلك ودعنا	فانك من الخير خالي
ولاسمعنا كلامك	ولابعذلك نبالي
يكفيك خيبة مقالك	للذكر جافي وقالي
وابليس دلك وزلك	وصرت تتبع سبيله
هذه فضيلة وحضره	يفرح بها كل ذاكر
فيها وسيلة ونظره	لكل صابر وشاكر
فيها الهنا والمسرة	روِّح إليها وباكر
أندب لهاأصناك واهلك	وكل من قد قضي له
واعلم بأن المنافق	مايذكر إلا قليلا
إحذر تجيه أوتوافق	أوتتخذه خليلا
فان الشقي مايوافق	إلى الهداية سبيلا
له شغل في غير شغلك	وله مراعي وبيلة
يحب نشر المثالب	ويشتهي غِيبة الناس
عائب ولع بالمعائب	في قرض الأعراض كناس
ضاري ضرر غير تائب	في حزب وسواس خناس

ولاه نفسه ومـــلَّك　　وصار خصمه دلـــيله
يارب ياخير مذكـــور　　يارب سلك الحمايـــة
يارب ياخالق الـــنور　　منك العطا والهـداية
بحق الأحقاف والطور　　إسمح بجرم الجنايـــة
بالفضل والفضل فضلك　　منك الهبات الجـــزيلة

******

خاتمة لهذا الفصل ، الذي هو أصل لكل فصل من فصول الفصل ، وأنصف لأهل الفضل وماورى فضلهم من فضل . إعلم إن التحدث بنعمة الله تعالى هو أصل الشكر الذي هو أصل الذكر ، وبه حصل الأمر في قوله تعالى ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ومن الوراثة المحمدية النبوية الرسولية التي من الله بها علينا ، منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين . وقال كما قال سليمان حين آتاهم الله العلم ، وامتن عليهم بالحكم والحكمة والفهم ، فقال تعالى ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمدلله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داود** ﴾ [الآيات ١٦ – ١٥ النمل] ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا ءآتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون** ﴾ [الآيات ٧٨ – ٨٠ الأنبياء] الحمد لله على مانحن دائما في استشعاره ، قائمين بشعاره قوله تعالى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * والضحى * والليل إذا سجى * ماودعك ربك وماقلى * وللآخرة خير لك من الأولى**

*** ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيما فآوى** ﴾ ووالله وبالله وتاالله أني من وجده ربه كجده يتيما فآوى ﴿ **ووجدك ضالا فهدى** ﴾ ووالله وبالله وتاالله أني ممن وجده ربه كجده ضالا فهدى ﴿ **ووجدك عائلا فأغنى** ﴾ ووالله وبالله وتا الله أني ممن وجده ربه ، أي أوجده من الإيجاد الذي هو ضد العدم لا الوجود الذي هو ضد الفقد ، لأن الله لايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ؛ كجده عائلا فأغنى . ثم قال تعالى ﴿ **فأما اليتيم فلاتقهر** ﴾ أي لاتأخذ ماله بغير حق ، وتاكله بدارا أن يكبروا ﴿ **وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ . فأنا والله وبالله وتا الله محدث بما لا أحصيه ، ولا أقدر بذكر دانيه دون قاصيه ، من نعم الله وفضله ومنه ، ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ [الآية ٣٤ إبراهيم] أي لايذكر النعمة التي ذِكرها أصل شكرها ، فأول النعم وأولاها بالذكر والكرم هي نعمة العلم ، التي كان أول ما امتن الله بها على رسوله وعلم ، ووسم في قوله عز وجل وتعظم ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علَّم بالقلم * علَّم الإنسان مالم يعلم** ﴾ ووالله وبالله وتا الله أني احمد الله وأشكره على هذه النعمة الجليلة ، التي ﴿ **شهد الله أنه لآ إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لآ إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ [الآية ١٨ آل عمران] بها ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [الآية ١١ المجادلة] فاعلم علمك الله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، أني في هذه السورة ممن أسبغت سوابغها عليه ، وجنيت ثمراتها ظاهرة وباطنة إليه ، ﴿ **ألم**

تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير * وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير * ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ [الآيات ٢٠ – ٢٢ لقمان] . وقد من علينا بتمام هذه النعمة ؛ نعمة الله التي أهلها أهلنا المشار إليها بقوله ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * وينصرك الله نصرا عزيزا** ﴾ [الآيات ١- ٣ الفتح] بأن يسر الله الحي القيوم الذي لايموت ؛ لنا في حصول التعلم والعمل والتعليم سر التوت [التوت . هو مقام معروف عندهم] الذي لايعزب عن علم من علمه شيء ولايفوت ، في عالم الشهادة الذي هو الملك والغيب الذي هو الملكوت ، وذلك بحصول الحافظة المشار إليها بكتاب حفيظ ، لابحروف ولاتلفيظ ، بل هي من فيض فضل المفضل المفيض . فكنت أحفظ بحمد الله ما لا أقدر على وصفه ، ولاوصف نصفه ، ولانصف النصف من نصفه ، ولازمن ذكرا واضحا لامشكوكا فيه ، فكنت في ذلك الوقت الذي هو قبيل تمام السنة من ولادتي وبعده ، كلما نظرت إلى شيء تجلى لي اسمه عند نظره ، وعلم آدم الأسماء كلها ، فصرت كلما نظرته عقلته وعلمته ثم حفظته ، وإلى الآن كأنه الآن ، فسبحان خالق الأفهام والحوافظ والأذهان . ثم لماكنت في حال بعد الفطام في تلك الأيام ؛ استشعر من ذهني وحالي ومقالي ما أستشعره اليوم في حال عشر الخمسين ، بسر سورة يس ، فكنت إذا جلست مع الوالدة رحمها الله فكلما سرها ووافقها

من الخيرات سرني ووافقني ، وكلما غمها وخالفها غمني وخالفني . وحين دخلت العلمة وأخذت في قرآءة القرآن العظيم فكل من رأيت عليه أثر النجابة في القرآءة تمنيت بلوغ مرتبته وقلت متى أكون مثل هذا . ومن رآني من جميع من رآني من أهل الفضل والنبل قال لي بالبشارة ؛ وأومى إلي بالإشارة من النساء والرجال ، وغالبهم يقول لي : أنت من الذين إذا رءوا ذكرالله ؛ فيما لا أحصيه من هذا الفن ، ولاأستقصيه بنزف بحره في شن ولادن . وكنت في ذلك الوقت أعتقد بصفاء الإعتقاد ووفاء الإفتقاد كل من رأيت عليه سيما الخير من شريف أوفقير أوجندي أوإمرأة أوكبير أوصغير ، حتى أني علمت أن بعض الجند يكتب الحروز والعزائم ، وهو رجل ذيباني يقال له : قاسم بن احمد بن قاسم ، فرحت إليه وطلبت منه أن يكتب لي حرز ، فتعجب مني معلمي القرآن وقال : ياسبحان الله ! تطلب من عسكري الحرز أومامعناه .

وكنت إذا أتاني بعض الأغراب من النساء والرجال تبعته وطلبت منه الدعاء واستمعت عنده القرآن ، وربما كان بعض الناس يطعن فيه فاسمع ذلك ؛ فلايزيدني إلا إعتقاد في ذلك . وكنت إذا علمت بجنازة في المسجد أبيت مع القراء عليها طول الليل أقراء وأستمع في المصحف على الحفاظ ، بحيث أن أهل الحفظ يفرحون بحضوري لأجل الرد عليهم فلا يخطر ببالي النوم ، وربما كان بعض القراء يقرأ لأبي عمرو وأنا أقراء لنافع فأرد عليه على قرآءة أبي عمرو فيقول إنما أقرأ لعمرو ؛ ويريد لأبي عمرو ، فأقول هذه هي قرآءة عمرو وموافقة له . وكنت ألازم الأذكار والحضرات في جميع الأوقات على المواخذ المعروفات لأهل الشوق والذوق ، مثل

الإمام الشيخ علي ابن أبي بكر وابنه عبد الرحمن ، والشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني ، والشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه ، والشيخ عبدالهادي السودي ، وابن الفارض . وأحفظ من ذلك مالايحصيه بفذالك إلا المالك ، وكذلك المولد أحفظه وأقرأه في الجامع ، وربما حصل الإنكار علينا من بعض حنيوية العصر الذي هجيراهم اكتساب الدنيا بالدين ، ومعاداة اهل بيت الرسول سيد المرسلين ، الذاكرين الله الشاكرين . وكنت إذا علمت بحضرة ذكرالله أوقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوختم قبور بمكان سرت إليه ولو إلى بعيد ، حتى أني لما عُرفت بذلك كان بعض من أهل هينن إذا لقيني يضحك مني ويقول : ها شيء ختم اليوم في مكان أومولد أوحضرة ؟ على سبيل الإستهزاء بي ، وكان رجل يقال له سالم بن علي مليعب من أهل الحفظ والإنشاد لديوان الفقيه الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه ، فقالت لي الوالدة : إذهب إليه واكتب من عنده شيئا من قصائد الفقيه عمر ، فلما جئت إليه قال : أتريد أن أملي عليك من حفظي أو تنقل من الديوان ؟ فقلت الذي تريده ، فقال بل أملي عليك من الديوان لأنه أضبط وأحفظ وأتقن وأبين معنى ، فقام وأتى بنسخة كبيرة تقارب الختمة في الحجم من ديوان الفقيه عمر ؛ فناولني إياها فتصفحتها طويلا فلم أفهم منها للإستخراج ولاكلمة واحدة ، فلما استبطاء مني الكلام وعلم مني عدم الفهم قال : استخراجك ألا زين ! ففرحت بهذه الكلمة غاية الفرح لعدم المعرفة أيضا ، وأملأ علي جملة من النشائد حفظتها جميعها من إملائه ، وأما كتابي فإني لاأعرف منه شيئا لاقليلا ولاكثيرا

لعدم المعرفة بالإستخراج والكتابة في ذلك الوقت . ومن جملة ما أملاه علي من قصائد الفقيه عمر قوله في أول قصيدة :

بالرجب مثل بامجني حزن كل مهموم   إلى أن قال :
كل مليوم من لام المحبين مليـوم   فاقبلوا فان مايقبل على الله محروم

أيضا ويقول في أخرى :

سالم إنه همي بي في لذيذ النعـاس   والكبد حس فيها مثل قطع المواسي
واذكر القلب مثل الماء وقد كان قاسي   إلى أن قال فيها :
ذه صفة من تذكر بعد ماكان ناسي   عكسوا الأمر ياسالم وبان اعتكاس
والبسوني ملابس غير ذيك اللبـاس   طولوا فوقي المبنا ومذراي ساسي
قلت لانا مكابركم ولانا مقـــاسي   ماقدر احزم على ذا الحال منكم براسي
فان بغيتوني أرسي في جميع المراسي   سايـروني ومروا بي حيـل بانواسي
جوزوا بين فضتكم سبائك نحاس

تذنيب فيه تعجيب وترغيب ، في طلب العلم الحسيب النسيب ، نذكر وقائع ذكرها من الأعاجيب ، حصل فيها لمانعي الماعون لكتب العلم شيء من التأديب ، يدل الفطن اللبيب ، على مالطالب العلم عند الله من حسن الثواب ووفور النصيب . فمنها : أني لما طلبت العلم حسبما حققته فيما تقدم ؛ وكانت الجهة الكسرية والحضرمية والدوعنية خصوصا بلد حريضة ونواحيها قليلة وجود الكتب التي يحتاج الإنسان إليها في فنون العلم ، وإن وجدت مع آحاد فغالبهم من الحساد ، الذين يضنون ويمنعون الماعون وخصوصا أهل حضرموت ، وخصوصا أهل تريم ومن والاهم وجالسهم ووالاهم من أهل جهة الكسر ودوعن ، حتى أنهم والعياذ بالله

لايستأصل الإنسان منهم ولو بكلمة ، وخصوصا من ذكر وشكر ، أوعرف بطلب العلم أو اشتهر . وقد حققت جملة مما في مناصب تلك الجهات من قبيح الصفات في منظومة مطلعها :

يابن المناصب والرجال الصبرا وسلالة الأخيار ممن ينظرا

وربما يذكر الإنسان عندهم فلايثنون عليه بخير ، والعاقل منهم هو الذي يسكت عن ذكر الفضائل خشية على مروءته أن يظهر منه الطعن في أهل الخير بأن يؤمي باللعن ، حتى قال بعض من يجالس بعض المشهورين منهم : إني لم أسمع شيخي يؤيد شيئا من كلام علي ، فبلغني ذلك الولي قوله السفلي ، فقلت للمبلغ : قل له لاتعجب من عدم تأييد شيخك لعلي فإن معاوية لم يؤيد شيئا من كلام الإمام علي . ومع عدم وجود الكتب المذكورة يسر الله لنا ذلك من جميع المسالك والممالك ، فالحمدلله الأحد المالك . شعراً :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليُتُمِ

فانحازت باردة إلينا غنائمها ، وتوفرت واردة بالوفر مقاسمها .

ومنها : أن بعض الناس أخذ كتابا من كتب الوالد الحسين بن عمر على سبيل السرقة وهو لايقرأ الكتب ، وأراد إخفاء ذلك الكتاب ولم يعلم به أحد ، فطلعت يوما بيته فلما قابلت المكان الذي فيه خبأ الكتاب فيه قلت لزوجته وهي في المنزل : هاتي الكتاب الذي عندك ، فجاءت به إلي من غير مراجعة ولامدافعة ، ولم يسبق لي إعلام ولاكلام بأنه عندها ، فلما أخبرته بذلك سكت ولم يتكلم .

ومنها أني لما أردت القرآءة ثالث مرة أورابع مرة في كتاب معالم التنزيل في تفسير كتاب الله الجليل ، للإمام الحفيل الحسين بن مسعود البغوي ، طلبت النسخة من عند بعض الناس وهي عنده في أربعة جلود ، فقال نعيرك إياها بشرط إن الجزء الذي ضاع منها وفقدناه نجده ، فقلت إن شاء الله ، فأعطاني الجزء الأول ، وكان الذي يقرأ فيه الولد النجيب الفقيه عبود بن عفيف ، وكان صاحب هذا الكتاب من اهل بضة ، ونحن في تلك الأيام قد نزلنا بلد الهجرين في حدود سنة خمس وخمسين ومائة وألف ، فاتفق أنا جئنا إلى بضة لقصد السعي في إصلاح ذات البين بين المشائخ آل العمودي ، ومن عادتنا أن نحمل حمولة من الكتب التي نقرأ فيها حيثماسِرنا ، فبينما نحن ببلد بضة نقرأ في بعض أجزاء التفسير المذكور إذ دخل علينا رجل لانعرف اسمه ولا اسم أباه ولا أمه ، وهو من أهل بضة ، فقال لي قلبي عن ربي عز وجل : الجزء المفقود من التفسير مع هذا ! وذلك مع مدخل الرجل باب الفاضلة ، فحين صافحني قلت له : الجزء الفلاني من تفسير البغوي من نسخة فلان عندك ؟ فقال نعم ! وكان صاحب النسخة وجماعة من أهل البلد حاضرين قولي ، فتعجبوا ، وقام الرجل إلى بيته وجاء بالكتاب . فالحمدلله لمن أنزل الكتاب ، وجعل لكل أجل كتاب ، ﴿ **يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * وإن مانرينك بعض الذي نعدهم أونتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ [الآيات ٣٩ – ٤٠ الرعد]

ومنها إني استعرت كتابا وهو شرح الملحة للشيخ دعسين الأموي البسيط ، الذي أعرب أبياتها فيه من بعض الناس ، وأخذت في مطالعته

، فلما بلغت فيه إلى النصف أودونه ؛ جاء مالكه وقال هات الكتاب فإني أريد القرآءة فيه ، وكان قد حصله بيده نسخة عجيبة ، فقلت له : إنا بعد في مطالعته وماتركتنا جواذب الشدة نتمه ، (قوله الشدة أي الأشغال) فإن شئت تركته عندنا حتى نفرغ منه ، فقال : إني أريد القرآءة فيه وعادنا أرجعه بعد إليكم إن شاء الله ؛ وأصر على أخذه منا ، مع علمه بعزة ذلك الكتاب علينا واحتياجنا إليه ، فأعطيناه الكتاب فلم نلبث إلا مدة يسيرة حتى مرض ذلك الرجل ومات . وجاؤا ورثته بجميع كتبه إلينا وقالوا مرادنا بيعها وماكان يصلح لكم فخذوه ، فأول ماوقعنا على الكتاب الذي أخذه منا وإذا عَلَم مطالعتنا فيه باق بحاله ، وتصفحنا الكتب وأخذنا منها شرح قطر الندى لمصنفه الشيخ الإمام عبد الله بن الشيخ يوسف بن عبد الله بن هشام الأنصاري المتبحر في علوم النحو ، صاحب كتاب المغني ، والأوضح ، والإعراب وغيرها . وأخذنا منهم أيضا كتاب فتح الجواد بشرح الإرشاد في أربعة جلود ، بعضهم أخذ منا القيمة في حصته ؛ وبعضهم سمح بها لخصوصيته لا الخصاصة ، وهو صاحبنا منصور باغانم ، تمم الله فضيلته ومكن فينا وصلته ، ورقع بنا خصته . وأما شرح الملحة فلم يقبلوا كلهم قيمته لما أخبرناهم بالقصة حذرا من الشماتة بمصيبة المؤمن .

ومنها أني طلبت من بعض أهل العلم من أهل حضرموت المناصب كتاب طبقات الصوفية الكبرى للشعرواي وهو عنده في جلدين ؛ فأنعم بها لي وتعلل بواحد من أجزائها عند إنسان أعاره أياه ؛ وأوعد بإرساله إلينا عند وصول الجزء المذكور . ثم ذاكرته بكتاب من حريضة إلى حضرموت فأجاب بأنا قد نوينا إرساله إليكم وتراه يصلكم ، فأرسلت له

رسول معنًّى لأني به معنى ، فاعتذر عنا ، فلم نلبث إلا أياما قليلة وتوفي صاحب الكتاب فجأة ، فذكرت وارثه وأرسلت له كتابا ونبهته على قوله في كتابه : قد نوينا إرساله إليكم ، وقلت له من حقك أن ترسل إلينا الكتاب لتمام مانواه والدك ، فاعتذر علينا من إعارة الكتاب ، فلما سرنا إلى الشحر في سنة ثلاث وستين ومائة وألف اتفقنا بالحبيب الحسين بن علوي بن جعفر مزهر ، وذلك قبل أن يتغير قلبه الذي كان في حقنا مزهر ، (ويصير إلى كونه مدهر) وسألناه عن طبقات الشعراوي الكبرى المذكورة ، فقال هي عندي في جلدين وهاكم إياها ، فحين وقفنا عليها إذا هي طبقات المناوي ، وهي أيضا طلبنا وضالتنا الضاوي ، فعبرنا فيها وهي أجمع وأوسع من طبقات الشعراوي بسبب أنه متأخر بعده وهو في العلم له مساوي ، وترجمه فيها بأحسن التراجم والفتاوي . فلما كان بعد مدة سرنا إلى وادي عمد فاتفقنا بالحبيب علوي بن عبد الله الكاف باعلوي ، فسألناه عن طبقات الشعراوي المذكورة فقال هي عندي وهاكم إياها ، فهي إلى الآن عندي في سنة تسع وستين ومائة وألف منذ سنة . فتقبل الله من أهل الفضل وسامح أهل البخل بمنه وكرمه ، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة ، ومعطي خيري الدنيا والآخرة ، إن أعطى فلامانع ، وإن منع فلامعطي . ﴿ **مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم * ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون** ﴾ [الآيات ٢ – ٣ فاطر] ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج**

النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ [الآيات ٢٦ –ومنها : إني جئت إلى بعض الخزائن أستعير من صاحبها الكتب وهي أربع خزائن ، وقد مات العلماء من أهلها ، ومابقي إلا أهل جملها ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعو الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * إلا من تاب**﴾ (الآيات ٥٩-٦٠ مريم)

فقلت لهم : هاتوا الكتاب الفلاني وكتاب الفلاني إلى تسعة كتب ، وهاكم تسعة مجلدات قباضة لكم حتى أرجع حقكم ، فقالوا إنا قد منعنا فلان وفلان من أكابر السادة وأنت تكون كماهم ، فقلت لهم : أما أنا فسوا بي ، ولكن مثل هؤلاء الذين ذكرتوهم أنكم منعتم منهم ماعون الكتب المذكورة ماألقيتم خير في انفسكم بمنعهم ، وهذه الخزائن إن شاء الله ندعوعليها بالأرضة تأكلها . وكانت الخزائن المذكورة قبل ذلك إذا نظرت إليها كأنها طاقات الكسوات الفاخرة ، لأن بياضها وجلودها مرونقة بألوان الأصباغ المتفرقة ، فمن حينئذ بدت فيها الأرضة وهي الآن تلهب فيها لهب النار ، وتأكلها بالدمار . وهذه الكتب بيد هؤلاء الجماعة هن ومادخل عليهم من أنذار سلفهم الصالح البار ، قد جعلت على سبيل الوقفية للسبيل ، فلما ضوينا عندهم تمالوا في عشائنا فقال بعضهم : هذا شريف من آل فلان وهو يستحق الإكرام فاذبحوا له رأسا من الغنم الذي للزاوية ، فقال له الكبير منهم : نحن مانقدر كلما جاء شريف نذبح له رأس غنم ولكن ماحصل كفى ، فكان العشاء من الخمير والروبة ، فلما كان وقت العشاء وصل إليهم كتاب من السلطان علي ابن السلطان جعفر أنه مصبح للغداء عندهم ومعه الأمير وجملة من العسكر ، فباتوا المشائخ طول الليل في حركة للإستعداد لهم ، فكان قدومهم وقت شروق الشمس إلى فاضلة الخزانة وأنا فيها ، فما كان بأسرع ماقربوا الغداء من أعضاء الذبيحة قوام بحالها ، والمغاضيف مثل السبول في تفالها ، فقلت للوالد سالم بن رضوان وكان معي : هذه كرامة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر صاحب الخزانة لما أراد الكرامة لنا ساق لهم السلطان يسوقهم إليها ، وحصل لنا من

السلطان غاية التأدب والإكرام بحيث أنه بعد الغداء لماقالوا له المشائخ أنك تقوم إلى بيت الفلاني تظلي فيه لأنه بيت فسيح وسيع رفيع ، فقال لهم : إن قام السيد قمنا وإن قعد قعدنا ، فقلت لهم تقدموا وأنا آتيكم ، فلما طلعت إليهم وجدتهم في فاضلة وعندهم جملة من الرشب يمزون بها التمباك فجلست ، فقال السلطان مرادنا حضرة ذكر ، قلنا له لاباس ولكن شلوا عنا هذه الرشب ، فشلوها إلى مصلى في تلك الفاضلة ، وجعل كل من يريد المزيز من المشائخ وأصحاب السلطان دخل ذلك المصلى . وكان السلطان في ذلك الأوان له أخلاق حسان ، وهو بضدها الآن ، فسبحان من كل يوم هو في شان ، ومن لايشغله شان عن شان ، وماشاء كان وما لم يشاء لم يكن من الأكوان . ثم إن المشائخ قدموا العشاء عشية وهو كالغداء بالسوية . ثم إنا بعد العشاء خرجنا نحن والسلطان إلى مسجد الجامع فصلينا المغرب . وتلك الليلة ليلة الأحد ، فقال أسمعنا الليلة حزب الأحد قرآءة من حفظك ، فقرأت لهم بسورة يونس وسورة هود وهم يستمعون وينصتون ، ودخل وقت العشاء فصلينا العشاء وبتنا تلك الليلة نحن والسلطان في المكان ، والصبح سرحنا كل إلى مكان ، فكأن الجمع ماكان ، وما الدنيا إلا كأضغاث أحلام ﴿ **كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ** ﴾ [**الآية ٣٥ الأحقاف**] والله المستعان .

وقد كنت في أول الطلب جئت إلى هذا المكان وعلى هذه الخزائن من أهلها رجل قائم وهو من الصالحين ، وذلك في زمان جدي وشيخي ووالدي الحسين بن عمر ، وكان هذا الرجل من أهل الخير وسلامة الصدور ، وقد كان جدي عبد الله أوصاني أن آتي له بكتاب مشكاة المصباح في شرح العدة والسلاح في أحكام النكاح . مع صغر سني ، قال ياولدي مالك حاجة بالنكاح وعادك ماشبرمت ، فقلت له إنه للوالد عبد الله ، وعجبت من غاية تغفله مع كبر سنه ومنصبه ، فأعطاني الكتاب .

وهذه الخزائن المذكورة والكتب المذكورة وهي خزائن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر بن احمد العمودي الذي زار مع والده الشيخ عمر من قيدون في زمن الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس ، وحج مع والده وحصلت له الكتب المذكورة من الفتوح ، وذلك أنه لما وصل إلى مكة أقبل عليه أهلها بالفتوح فلم يقبل منهم الدراهم ، فدلهم بعض العلماء على شراء الكتب وإعطائها له من جميع الفنون ، فلم يمكنه إلا قبول الكتب وجمعها في الصناديق وحملها إلى وادي عمد ، فلما كان في بعض البراري ظن الجماعة أنها صناديق ذهب فتمالوا على غيالته ومن معه ، فأطلعه الله على ماهموا به ﴿ **وهموا بما لم ينالوا ومانقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ [الآية ٧٤ التوبة] فقال لهم : أبركوا الجمال فإن لي حاجة من تلك الصناديق أريد أن أخرجها ! ففتحها عن آخرها وكلما فتح واحد منها أخرج جميع ما فيه من الكتب ، وقال للجَمَّالة : ردوها وفتح الآخر ، فلما نظروا مافي الصناديق تركوا همة الزناديق ، وقطعوا في مسير الطريق .

ولهذا الشيخ عبد الرحمن ووالده الشيخ عمر قصص يطول ذكرها أحفظها لا أطول هذه الترجمة بذكرها . وهذه الخزائن الآن مقلود عليها تأكلها الأرضة ، والذي قد فات منها قد فات ، لأن أهل الزمان إذا أخذوا شيئا ماردوه ، ولكن الأحسن لصاحب الكتب الذي لايقرأها ولايدراها إعاراتها ، فإن سلمت سلمت من البلاء ، وإن فاتت طاب نفسا منها وسلا ، غير أن هؤلاء صاروا جهلا ، وفيهم قلت من الإملاء شعراً :

شعبة الخير قدها ألا بداوه ملانه   قصر النون والها من حروف الخزانه
صارت ألا خزا مستأصله بالخيانه   مادروا بأنها حائز الأمانات أمانـــه
ضاوية لأهلها السادة من أهل الكنانه

(فائدة) الضن بإعارة الكتب من أقبح وأفضح أخلاق ذوي الكتب ، حتى أنه لما وصل الإمام الشافعي إلى بغداد بعد وفاة الإمام أبي حنيفة وطلب من تلميذه محمد ابن الحسن إعارة كتبه ضن بها عليه ولم يعطه إياها ، فكتب له الإمام الشافعي شعراً :

ياقل لمن لم ترى عيـ   ـــن من رآه مـثله
ومن كان مـــــن رآه   ماقد رآى من قبله
ومن كلامنا لـــــــه   حيث عقلنا عقـله
لآن ما يجـــــــــنه   فاق الكمال كلـــه
العلم ينهى أهلـــــه   أن يمنعوه أهـــله
لعله يبـــــــــذله   لأهله لعلـــــــه

فلما وقف عليها أعطاه الكتاب .

ومنها أني جئت كذلك إلى بعض الخزائن الموقوفة بنظر بعض البخلاء المانعين الماعون ، المصلين اللاهون ، الذين هم يرآؤن الناس ويمنعون الماعون ، فأعطاني الجزء الأول من كتاب شرح صحيح مسلم الذي فيه المقدمة العظيمة ، التي على كل علم من علوم الحديث مترجمة ، فأخذت في قرآئته حتى أتممته ، وطلبت الثاني منه فامتنع من إعارته . ثم جئته مرة ثانية وطلبت الجزء الأول من كتاب القاموس المحيط ، فيما ذهب من كلام العرب سماطيط ، فأعطاني الجزء الأول منه وهو أربعة أجزاء بخط حسين مليح ، وسرت من بلده إلى أخرى فإذا به قد وصل خلفي وقال هات الكتاب الذي أعرتك إياه فإنه مما لاتسمح نفسي بمفارقته ، فقلت له إنه وقف آل فلان وأنا أعرفهم أنهم غير ذلك الإنسان ، فقال لكنه بيدي وأنا أحق به من أهله ومن غيرهم ، وكانت عنده جملة من الخزائن لأهل هذا الكتاب المذكور ، ولأهله هو خزائن أخرى بنظره ، بحيث أن هناك عدد عدة شيء لايحصى من الكتب الموقوفة والمملوكة لهم ولغيرهم ، وأخذ الكتاب مني عدوانا وظلما ، وحسدا وبغيا ، وشحا وبخلا بما لايملكه وإنما هو مهلكه ، فحينئذ قلت اللهم سلط عليه من يأخذها منه كما أخذ هذا الكتاب هو مني ، فقام عليه في الآن رجل صالح من أولاد أهل الخزائن وأخذها خزاء منه وهو غير زائن ، فلم أدري إلا وهذا الرجل الصالح من الذين أخذوها منه قبل أن علم بذلك يكتب لي أن أطلب ماشئت من هذه الكتب ، وربما سمى لي بعضها مما لا أعلم باسمه . وأما هذا البخيل فأخذ أياما بعد ذلك وحصل عليه مرض يسير ثم أُسكت أياما حتى مات ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

ومنها : أني جئت إلى بعض الخزائن أطلب شيئا من الكتب فلم أجدها لأنها قد أخذها هذا الرجل البخيل المتقدم ذكره ، فلم يبقى إلا جلد واحد وهو الذي عليه البار ، وهو كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب المشار إليه في خطبته بقول مؤلفه : فهاك كتاب تشد الرحال فيما دونه ، وتقف عنده فحول الرجال ولايعدونه . فأخذته فإذا هو طلبتي ، وفيه قضا حاجتي ، وهو عندي بحمد الله وإلى الآن .

ومنها : أني جئت مرة أخرى أطلب كتابا من بعض الناس فلم أجده عنده ، فإذا على صفح كتاب عنده ؛ الكتاب الذي نطلبه ، وهو حاشية أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، في مكان الفلاني ، فأرسلت إلى المكان فوجدناه ،وقد أخذت منه جُلّ الكتب بحيث لم يبقى إلا هو .

ومنها : أني طلبت كتاب الناسخ والمنسوخ من جملة المواضع من الساحل إلى تريم وإلى سيئون ، فكل من سألته أوكتبت له فيه اعتذر بأنه لم يسمع به فضلا عن أن يقف عليه . ومن جملة من أجاب علي بذلك الحبيب الشيخ العلامة الشريف : علي بن عبد الله السقاف باعلوي ، فبينما رجل من الذين ذاكرتهم قاصدا زيارتي من مسيرة خمسة أيام فاتفق أنه أمسى في مكان عند بعض الناس فوقعت يده في المنزل إلى رف طاقة ، فإذا هو يحس فيه مثل جلد الكتاب وقد لصق بالسفرة التي هو عليها بسبب الأرضة التي قد أرادت أكله ، ففكه منها بالشفرة ، فلما تصفحه فإذا فيه كتاب : الناسخ والمنسوخ الذي كتبت له فيه ، فجاء به معه وأخذناه وكتبناه وقابلناه وذلك سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، وأرجعناه إليه ، فلما عوزنا منه مرة ثانية وطلبناه منه ضَنَّ به علينا ، مع علمه أنا بعد قضى

حاجتنا نرجعه إليه ، فالعياذ بالله من أهل تالي زمان ، والله عليهم المستعان .

ومنها : أني جئت مرة إلى عند سيدي الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي وطلبت منه كتاب (تيسير الوصول إلى معرفة الأصول) من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عنده في نسخة صحيحة وقعت له هبة من بعض الفضلاء ، وكان وصول النسخة المذكورة قريب عهد بحيث أنها ماتموا قراءة أول شرف منها ، وكان الذي يقرأ عنده فيها صنوه الشهاب احمد بن عبد الرحمن البار باعلوي ، وقد قارب قراءتها تمام الكتاب ماعاد معهم فيه إلا نحو كراسين ونصف ، فقال الحبيب عمر لصنوه احمد : يا أحمد أعط علي الكتاب ، فقال كيف نعطيه ونحن نقرأ فيه وقد قارب تمامه مع الرغبة معنا في قراءته وختمه ، فقال أعطه الكتاب فإنه يقرأ وينقل ويصنف وينفع به المسلمين ، وأما نحن فغايتنا فيما نقرؤه النفع لأنفسنا والأمر واسع ، والكتب كثيرة ، فسكت الحبيب احمد كأنه لم يعجبه هذا الكلام ، وماوجد بُداً من الموافقة فأعطاني الكتاب . ومن جواهره الجمة نقلت إلى قرطاسي ، ومن سحائبه المدلهمة نهلت وأعللت صفا كاسي ، وطرزت بتلك الجواهر النفاس في كتابي القرطاس ؛ الذي حصلت المنفعة به لجميع الناس ، فيما حصلت من تلك الأنفاس ، لأحبابي وأعدائي به أفضلت وأعمقت الساس . وأقول : يارب بحق محمد وآل محمد إلا تقبلت ، ولنعمتك علي أتممت وأكملت ، وأعوذبك من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس .

ومنها : إني كنت مرة قديما ببلدي حريضة وذلك عقب وفاة الوالد الحسين وقبل أن أعزم إلى تريم وإلى الدوفة ، وإلى ماكنت هممت به من قصد الحج الذي رجعت عنه من رؤس وادي عمد ، فبينما أنا في بلد حريضة فإذا أنا برجل من أهل دوعن وقد ناولني كتابا وهو مجموع ضخم جدا ، فخم مدا ، فقال يسلم عليك الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ويقول : هذا الكتاب الذي طلبته منه فطالع فيه ففرحت به ، وتعجبت من إرساله إلي ، ومن قوله لي هذا الكتاب الذي طلبته وماكنت طلبته قط ، ولا أرسلت إليه في طلبه لارسول ولاخط ، فطالعت فيه ونقلت منه الكثير ؛ وذلك قبل إتفاقي به بمدة نحو خمس سنين .

(فائدة) نقلتها من نبذة مستقلة من هذا الكتاب ؛ الذي أرسله إلي الحبيب عمر البار من غير طلاب ، وهو الذي يسمى (كتاب الإنتخاب) في الحديث لأبي شجاع ، قال في فضل سورة الإخلاص : إن الله سبحانه وتعالى إذا نظر كثرة ذنوب بني آدم وجرأتهم غضب ، فإذا غضب تزلزلت السماء والأرض واهتزت ، وكادت السموات أن يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، فتنزل ملائكة السماء حتى تقبض أطراف الأرض ، وتصعد ملائكة الأرض حتى تقبض أطراف السماء ، ويأخذون الجميع في قراءة ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ حتى يسكن غضب الرب سبحانه وتعالى عما يقولون ويفعلون ، ويعتقدون ويعلمون ويجهلون علوا كبيرا .

قلت : ومن هنا علمنا ماسبب الزلازل التي تكون كثيرا في الأرض والسماء ، فاعلم ذلك أيها العالم الفاضل ، واشكر لمن أهدى إليك الحكمة التي هي ضالة المؤمن الذي هو عن دين الله مناضل ، ليبطل قالة الجاهل ، الخصيم الألد المجادل بالباطل .

قلت أيضا : ويحق لي أن أذكر شيئا من فضائل سورة قل هو الله أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الشيطان يوسوس لكم مالو تكلمتم به لكفرتم ، فعليكم بقراءة قل هو الله أحد) ونقل عن بعض العلماء من شرح كتاب علم الهدى في شرح أسماء الله الحسنى للبوني في إسم (أحد) أنه قال : ولما تمخضت دلالة هذا الإسم علمنا أنه اسم باطن التوحيد ، وأنه قريب من اسم الله الأعظم المخزون ولذِكره ذَكره في سورة الإخلاص ، وبه عدلت ثلث القرآن ، ومن طرق شتى أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . وعن أنس رضي الله عنه قال : إن رجلا قال يارسول الله ؛ إني أحب هذه السورة ! قال عليه السلام : حبك إياها أدخلك الجنة ؛ يعني قل هو الله أحد . أخرجه الترمذي . وعنه عليه السلام (من قرأها كل يوم مائتي مرة محيت عنه ذنوب خمسين سنة إلا الدين) وقال أيضا (من نام على يمينه في فراشه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة قال له الرب يوم القيامة أدخل على يمينك الجنة) وورد عنه صلى الله عليه وسلم (أن من قرأ المعوذتين مع سورة الإخلاص ثلاثا حين يصبح وثلاثا حين يمسي كفته عن كل شيء) . وعن تميم الداراني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قال أشهد أن لا إله إلا الله إلها واحدا ، أحدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولاولدا ، لم يلد ولم يولد ،

ولم يكن له كفواً أحد عشرمرات ، كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة) أخرجه الترمذي . نقل هذه الأحاديث بعض الكبار في تعليقة له في منافع الآيات والأذكار .

ثم قال وقد بلغني أن قراءة آية الكرسي كل يوم وليلة في أي وقت لها خواص عظيمة ؛ خصوصا في كسب الولاية . وقد بلغني ذلك بطريق جزمت بصدقه . قال : وكذلك قراءة سورة الإخلاص سبعين أومائة مرة . ولقد حكى لي تاجر صدوق أنه كان في ليلة من الليالي في الطريق مع جِماله وأحماله وقد غلب عليهم الخوف في موضع مخوف ، وقد كان سمع أن من قرأ في أي موضع مخوف سبع مرات من آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين لم تصل إليه آفة . قال : فقرأت ذلك وأنا راكب وغلب عليَّ الخوف حتى سمعنا حِس قطاع الطريق وأنا في استيئلا الحيرة ؛ وقد شاهدت معاينة أن جِمالي وأقطاري ذاهبة بين سورين من حديد ، وكان ذلك ساعة لطيفة ، ثم زال عني ذلك الحال وماوصل إلينا أحد وقد زال عني الخوف ؛ وحلف على ماقال بأيمان .

ومنها : إن الحبيب عمر البار المذكور فيما تقدم من الأخبار أرسل لي بطلاب مني وذلك قبل أن أتفق به ؛ الجزء الأول من كتاب تفسير البغوي وكتب في كتابه الجواب الذي لي : صدر إليكم الجزء الأول من تفسير البغوي استعرناه لكم ، والدنيا ومافيها عواري . فحين بلغ الجماعة الذين هو معهم الغيوار أوشرج فضح أخذتهم اللصان إلا الكتاب فإنهم

نقذوه لهم ولم ياخذوه ؛ ولا البياض الذي كان معه أرسله هدية لي الحبيب عمر المذكور .

ومنها : أنه لماكان حدود سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف بينما أنا في تأليف الجزء الثاني من كتابي القرطاس المذكور وصل إليَّ كتاب (مليح الأسفار في فضائل الأذكار) أرسله الحبيب عمر البار المذكور إبتداءً كشفا منه ؛ لأني محتاج إليه ، فنقلته كما يعلم الله بجملته . فرضي الله عنه ما أنصحه ، وتقبل منه ما أتقاه وأصلحه ، وقدس الله روحه ما أنقاه وأصلحه . وكان كلما لقيته يقول لي : حياك الله ياعلي ، حياك الله ياعلي ، حياك الله ياعلي ؛ أنت مقبل والناس مدبرون ، وأنت مصلح والناس قد كسروا الطبول . وقال لي مرة : ياعلي إن معك وراثة محمدية في استسقاء الغيث ، أماسمعت قول أبي طالب في جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومنها : أني كنت أسأل كثيرا عن تصانيف الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي المكي ؛ وأستعين بأهل الفضل على تحصيل ماوجدوه من كتب الشيخ ولاسيما الحبيب عمر المذكور ، فكان إذا وجد شيئا منها أعطاني إياه ، وقال : هذا كتاب وجدناه لصاحبك اليافعي ، فيعطيني إياه للمطالعة ، فلا أرده إلا متى شئت أن أرده ، حتى أنه مرة أعارني كتاب شرح مشكاة البخاري للسيوطي الذي يقال له (التوشيح) فلما جئت لزيارته سألني خلاف العادة ؛ فقلت له وقد علمت أنه فيه واسطة لرجل

يقرأ عنده ولايلزمه ؛ ولا يقتدي به في نصيحته ومحبته للإخوان ، وحنونته عليهم حسا ومعنى ، بالعون على البر والتقوى والإحسان ، والصنائع الحسان ، بل هو ذي حسد وشنئآن ، ونكد وحقد وعدوان ، فقلت هؤلاء الذين يلازمونك ماأظنهم قد انتفعوا بما شاهدوا من أخلاقك الحسنة التي تغني من قراءة جميع كتب السنة ، ولكنك لاتطيعهم فيما قالوا من التِغراة ، ففهم مني ماأناأخشاه ؛ من أولئك العداة ، فقال : إنهم يحتوشون عليَّ ؛ يعني انهم يُذَكِّرونه ذلك الكتاب الذي عندي يطالبني فيه فياخذه من قبل الإنتفاع بمطالعته . انتهى .

وأما كتب الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي فإن الحبيب عمر البار المذكور قد توسط لي في إعارة جملة منها ، ولي بحمد الله تعالى بهذا الشيخ اليافعي إتصال نافع ومحبة في الله ورسول الله والشافعي . وقد حصلت جملة من المنامات المبشرات منه ، فمنها : إني طلبت تاريخه المسمى (مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، في حوادث الزمان ، وتقلب أحوال الإنسان ، بتقدير الملك الديان ، الذي يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شان) جاء الكتاب المذكور إلى عندي بحريضة قرب الليل وهو الجزء الأول منه ؛ وهو ثلاثة أجزاء جلود كبار ، وبعد ماصليت العشاء أعلقت السراج وابتدأت في المطالعة فيه إلى قريب نصف الليل ، ثم نمت فرأيت كأني في المكان الذي أنا كنت فيه في بيت الوالد الصالح الشيخ الكبير الصوفي جمال الدين : محمد بن احمد بن حسين بن عمر العطاس ، فإذا أنا أجد رائحة طيبة لم أشم قبل ذلك مثلها ، ثم ظهر الشيخ عبد الله بن اسعد المذكور هو وولده الشيخ عبد الرحمن بن عبد

الله وجلسا ، فقلت له : إن السادة إذا علموا بوصولك جاؤا إلى هنا وأنت اللية ضيفي ؛ الحذر إذا عازمك الوالد محسن بن حسين تطيعه ، فقال ماجئنا إلا لأجلك ، فقلت الحمدلله الذي جاء بكم لأجل نقرأ عندكم العلم وتحلون لنا المشكلات ، وخصوصا علم النحو واللغة فإنها في جهتنا كالمعدومة ، فقال : أما النحو فما هو إلا الفاعل والمفعول ؛ إذا عرفته عرفت النحو . فمن حينئذ والحمد لله حصل الفتوح في علم النحو ، مع أني لم أعلم أني قرأت منه شيء على شيخ غيره ولالفظة واحدة ، ولنا معه منامات أخرى .

وقد طالعت من كتبه كتبا كثيرة منها : التاريخ المذكور في ثلاثة مجلدات عبرت فيه عشر مرات ، ومنها الإرشاد في مجلد ، ومنها شفاء العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة في مجلدين ، ومنها كتاب روض الرياحين في جلد كبير ، ومنها أطراف عجائب الآيات والبراهين بأرداف حكايات روض الرياحين ؛ في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني في مجلد ألطف منه ، ومنها جملة من المجاميع والنبذ في علوم الفلك والهيئآت ، ومنها كتاب الدر النظيم في خواص القرآن العظيم ، وبعض كتبه لم أقف عليها وأنا الآن في طلبها . ومنها كتاب منهل الفهوم في شرح الستة العلوم ، وأرجو من فتح الفتاح العليم الحي القيوم أن نوفيه بجميع مانروم ، فإن وقفت عليه أيها الواقف على هذا الكلام فارسله إلي والسلام .

وقد طالعت والحمدلله جملة من الكتب المصنفة في فنون العلوم المؤلفة مما لايحصى ولايستقصى ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد**

البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ [الآية ١٠٩ الكهف] ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [الآية ٨٥ الإسراء] ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [الآية ٧٦ يوسف] ﴿ **ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما** ﴾ [الآية ١١٤ طه] رب زدني علما .

ولاتظن أني عددت شيئا مما يعد ، ولاحددت بعض بعض البعض ممايحد ، من نعم الله السوابغ الجزيلة علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لايشكرون ، على عاجل منها ولا آجل ، ولكني اختصرت واقتصرت في هذه الترجمة على مانظرت وسطرت من هذه الفضائل والفواضل ، وذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد سمعت من والدي وشيخي الوالد حسين جملة من المصنفات التي قرئت عنده بحمد الله وأنا حاضر ؛ منها راتب الحبيب عمر الذي هو سر الله الأعظم ، وفضله الذي خص وعم ، وهو : عزيز المنال وفتح باب الوصال ، وهو أعد مانعتد وأمد مانمتد به ، وقد حضرنا قراءته معه على حسب المأخذ الذي يأخذ فيه الوالد عمر ثم هو ، والحمد لله . وسمعنا عنده غالب تفاسير البغوي ، وشرح رسالة القشيري ، وشرح الحكم لإبن عباد ، وبهجة المحافل للعامري ، وشرح الهمزية لإبن حجر . وقرأت عليه في بداية الهداية للغزالي ، والأذكار للشيخ النووي ، وكتاب الفصول المهمة لإبن الصباغ المالكي في مناقب الإئمة الإثني عشر ، وطلبت منه تلقين كلمة التوحيد وإلباس الخرقة والمصافحة ، فحصل ذلك منه بحمد الله تعالى على

حسب القاعدة ، من صيام الثلاثة الأيام وغسل التوبة في الرابعة ، وصلاة ركعتي التوبة وغير ذلك بحسب ماحققته في ترجمته في كتابي القرطاس . وفيه أثبت الوسيلة والمنظومة التي حققت فيها إسناد سلسلة مشائخي منها قولي :

وعمدتنا الأستاذ مع كل هــؤلاء   حسين المرَجَّى للعطا والحماية
عنيت به العطاس بن عمر الذي   هو المنتهى لأهل النهى والنهاية

ولعل إن شاء الله تقف على هذه الترجمة التي هي لهذه السفينة مقدمة ، منها أنه لما توفي شيخنا كنت بعده ملازما أولاده المشائخ الأربعة وهم : احمد وعبد الله وعلي ومحسن ، فأما احمد فلا يحصى ما قرأته عليه من الكتب ، منها : إحياء علوم الدين بكماله ، ومنها جملة تفاسير القرآن كتفسير ابن برخان ، ومنها مقال الناصحين للشيخ محمد بن عمر باجمال ، وخطب ابن نباته ، وكتاب الأزرق في الطب . وبينما أنا أقرأ في كتاب الأزرق المذكور إذ حصلت عليه علة سلس البول الظاهر ، فقال لي إني لا استطيع القيام بسببها ، فإن كنت قد حصلت شيئا من الطب فهذا وقته ! فأخذت ربع أوقية حبة سوداء ودققتها ناعما وجعلتها في ملاء فنجان عسل منزوع الرغوة ، فأخذها فشفي في الحال ، بإذن الكبير المتعال . وقد كان حين أصابته تلك العلة التي منعته القيام لجريان الراقة الظاهرة ، فلله الحمد .

ومنها أنه بينما أنا أقرأ عنده في كتاب الأزرق المذكور إذ دخل علينا الشيخ الصوفي : احمد بن الشيخ علي باراس وقال ما أرى لهذه الكتب المصنفة في الطب ونحوه شيئا من فائدة ؛ والنفع والضر من الله ! هذا

معنى كلامه . ثم وصلنا بعد قوله هذا إلى دوى البَحَّة في الصوت في الأزرق ؛ وكانت به بحة ، فقال : انقل هذا لي فنقلته له . وكذلك أنكر علينا في ذلك ابنه محمد بن احمد بن حسين العطاس وكان كبير الحال ومن الصوفية المجاذيب ، فعارضني مرة خارج من عند الوالد احمد فقال كالمستخف : ماقراءتكم اليوم في الأزرق ؟ فأردت ان أكيل له بصاعه ، فقلت له قرأنا أدوية مايقوي الذكر الضعيف للجمال ، فقال وتحفظ منها شيئا الآن ؟ فقلت نعم ، فقال اكتبه لي فإني في طلب ذلك ، فكتبته له . وقرأت عليه من الكتب مالايحصيه إلا الله وذلك في مدة نحو ثلاثة عشر سنة صباحا ومساء ومابين ذلك ، ولما أردت أن أقرأ عليه مقامات الحريري قال إقرأها علينا واشرح لنا .

ولما هاجرت إلى بلد الهجرين وجئت زائرا له إلى حريضة وأنشدت بعض مامعي بالنشيدة بـ (المختصر في نظم سيرة سيد البشر ، وماشاع من وقائع الخلفاء بعده واشتهر) فلما سمعها قال : ياعلي من أين لك هذه العلوم ؟ فقلت له من بركة مجالستك والقراءة عليك ، فقال أما نحن فما حصلنا شيء ! فقلت له : مانذكر احوال السلف من السادة آل باعلوي وصفاتهم وأخلاقهم في زي ومنطق وتواضع وخمول وطاعة وقبول إلا إذا رأيناك ، فإنا نذكر برؤيتك الأكابر منهم ؛ كالفقيه المقدم ، والسقاف ، والعيدروس ، والعطاس . ورأيت مرة كأنه يقول : إن حالي حال فلان من أكابر السادة آل باعلوي ، يشير إلى نفسه ، فلما أخبرته قال : أصه ! لاتتكلم بهذا وقال لي أصبر فإنها سوف تأتيك المواهب والأحوال بعد مدة طويلة . وقد حققت شيئا من أحواله فيما تقدم من هذه الترجمة .

وكذلك الوالد عبد الله بن حسين قرأت عليه في جملة من كتب الفقه كالمنهاج وشرح المحلي عليه ، والمختصر لأبي شجاع وشرحه الإقناع للشربيني ، وشرح بن قاسم . وكان يقول لي : ياعلي إني استفدت من قراءتك عندي أكثر مما استفدته عند مشائخي . وتذاكروا مرة عنده في أحوال السلف الصالح آل باعلوي وحصل الأسف على من سلف من بعض الحاضرين ؛ فقال لهم الوالد عبد الله : انتم إنما تمدحون القبور وتذكرون من مات من الأولياء وتتأسفون عليه ، وإلا ففي الولد علي بن حسن مافي جده فلان وفلان وفلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام الوالد عبد الله بن سالم بن رضوان الحريضي متع الله بحياته وخرج ليبشرني بما قاله الوالد عبد الله ، شكر الله سعي الجميع وتقبل منهم ونفعنا بهم كما نفعنا ببركتهم .

وكنت إذا حضرت عنده القراءة وحضر وقت الصلاة يقدمني للإمامة به ومن حضر قَلوًّا أوكثروا ، وقال : لاتصلح لهم ولالنا ؛ عليك ياعلي لأنك أحفظ لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فانظر إلى هذا الإنصاف وطلب الخير الذي لايشوبه الهوى والنفس .

(غريبة عجيبة الضريبة) كنت مرة أقرأ على الوالد عبد الله المذكور في كتاب الشجاج والديات وخرجت من عنده ، فطلع عليه بعد خروجي من عنده جماعة معهم كتاب من السلطان جعفر بن عمر بن جعفر الكثيري يقول فيه : صدر إليك فلان به أصواب من بعض القبائل فقدك

تنظرها وتحقق إرشها ، فقال لهم الوالد عبد الله : إذهبوا بورقة السلطان إلى عند الولد علي وقولوا له ينظرها وينقل للسلطان إرشها ، فإن الكتاب الذي فيه تقرير إرش الجنايات عنده ، فجاؤني فقرأت الكتاب ونظرت الأصواب فإذا هي موضحات ، فكتبت إرشها وكان شيئا كثيرا ، فلما خرج المصاب وعندي صاحبنا الرجل الصالح احمد بن عبد الله بن عون ؛ قال لبن عون : ولنا قسم في الكلام أم الكلام كله لكم يا أهل الكتب ! فقلت ماتقول ؟ فقال : أقول هذا الرجل الذي جعلتم قيمة أصوابه أربعين أوقية فضة مايسوى كله إلا أربع خماسي ! فضحكنا من كلامه . والكلام هنا طويل ، والقليل دليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومنها أني كنت إذا قرأت الكتاب بحمدالله يبقى مافيه في بالي ولو بعد مدة ؛ نثرا كان أونظما . وإذا قرأ القارئ علي مثلا في كتاب وفصل القراءة مدة عشر سنين ثم جاء يقرأ ثانيا قلت له : وقفت في الفصل الفلاني والسطر الفلاني ، وآخر قراءة لك في منزل كذا وبحضور فلان وفي ساعة كذا . وكنت إذا طبقت الكتاب وأردت نكشه ثانيا أقول للذي يفتح الكتاب : إن الكلام المطلوب في صافحة نمور الفلاني . وكنت إذا قرأت في الكتاب الرفيع يكون في نظري حروف كتابته كأنها العيدان الجليلة بحيث أني أراها من بُعد . وكنت إذا قرأت مثلا كتابا ثم قرأت كتابا آخر قد نقل صاحبه (أي مصنفه) من هذا الكتاب إعلم من أين نقل ، وأدري بماعزاه ومالم يعزي مانقله منه إلى مصنفه ، وأرى بعضهم والعياذ بالله قد ينقل بابا أوفصلا أومسئلة مثلا بجوابها من بعض المصنفات لايعزؤها لمصنفها ، وهذه هي السرقة . ورأيت الكثير من ذلك

في مصنفات الشيخ دعسين الأموي ، لاسيما شرح الملحة له ، وشرح القصيدة التي للبوصيري والتي يقول في أولها :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ماقدمت مسئول

فإنه نقل في الكتابين المذكورين : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للشيخ الحبر الإمام : عبد الله بن يوسف بن عبد الله الأنصاري بغير عزو ، وهي فصول شرحها يطول . ولم أذكر ذلك حتى سمعت ان مولانا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد لما قرئ عنده كتاب الزواجر عن إقتراف الكبائر والصغائر لإبن حجر ؛ وسمعه ينقل مثل هذا بغير عزو لأهله قال : شف شف شف بنهر وانكار لقلة العزو . وكنت إذا سمعت بذكر الحفاظ من السلف وعلمت ما من الله به عليهم أقول : الحمد لله الذي قال ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون * وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ [الآيات ٤٩ – ٥١ العنكبوت]

وكنت إذا سمعت بذكر أبناء السبعين الحفظة من حملة أحكام الدين ، وعلمت ماعندي من ذلك من علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، أني قد سبقت في ذلك رجالي الموجودين في هذا الحين ، وإن كانوا بذلك غير مصدقين ، وسوف يعلمون نباءه بعد حين ، أقول ﴿ **الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * آمين** ﴾

(فصل) علمك الله وإيانا ماجهلناه ، ووفقك وإيانا للعمل بماعلمناه ، ورزقنا وإياك للإخلاص فيما تعمدناه ، ومَنَّ عليك وعلينا بالرضا والقبول فيما أخلصناه : إن الدنيا كلها هباء إلا العلم ، والعلم كله هباء إلا ماعملت به ، والعمل كله هباء إلا الخالص لوجه الله تعالى ، والخالص كله هباء إلا ماتقبله الله ورضيه . إذا علمت ذلك فاعلم أن جملة ماصنفته من الكتب ، وألفته من النخب نثرا ونظما : كتاب القرطاس في مناقب العطاس وهو نحو مائة كراس ، آية للناس ، وكتاب سلوة المحزون وعزوة الممحون في الصبر نحو أربعة كراريس ، وكتاب مزاج التسنيم في حكم لقمان الحكيم كراسين ، وكتاب خلاصة المغنم وبغية المهتم باسم الله الأعظم ؛ مختصر جواب من استفهم عن اسم الله الأعظم في نحو كراس ونصف ، وكتاب الوصية المرضية والعطية الهنية في نحو كراسين ، وكتاب المقصد إلى شواهد المشهد وهو جلد ضخم ، وكتاب الرياض المؤنقة في الألفاظ المتفرقة نحو عشرة كراريس ، وكتاب مقدمة تحوي للمقامات والمقدمة على جيش المقامات الحريرية في نحو ستة كراريس ، وكتاب سفينة البضائع وضميمة الضوائع الذي هذه الجملة جعلتها الصدر منها وهي في جلدين كبار ، وكتاب الديوان المسمى قلائد الحسان وفرائد اللسان والذي قد حصل منه جلد كبير يقارب الخمسين كراس ، وكتاب الرسائل المرسلة والوسائل الموصلة والمسائل المفصلة المجملة في نحو جلدين كبار أوثلاثة جلود لطاف .

تكملة لتلك الجملة المكملة لهذه الخاتمة المطولة ، وهي رجوع من الأخرى إلى الأولة ، إعلم إني كنت والحمدلله من أول النشوة ، مولعاً ذا نشوة من أول النشوة ، بقراءة القرآن وماوالاه من المصاحف والكتب

والمساجد والزوايا والختوم ، والحضرات والموالد وجميع محامد الخيرات ، فكنت بتوفيق الله تعالى ولطفه من حين ميزت وعرفت أخب ؛ دائما لقصدها أدب ، وعن أهلها أذب ، وذلك لفرط الولا وشرط الحب ، حتى أني ربما خرجت إلى الخلاء وأنا في سن نحو الخمس السنين فأخرج ورق العِشَر الأصفر وأشكه في خيطين على هيئة تكعيب أوراق المصاحف والكتب ، حتى أني جمعت منه مثل غلظ المجلد الكبير الضخم ، وربما تصفحته متلذذاً بذلك على هيئة القاري ، وربما جعلته في إبطي مثل ما يفعلون حملة المصاحف والكتب ، وربما رآني بعض الناس وقد جعلته في إبطي ولبن العِشَر يقطر من الورق ، فيصيب باطن إبطي ، فينهاني عن حمله ويقول : ربما جرح بدنك إذا فعلت ذلك . وكنت ربما إذا كان بيدي شيئا من القوت جاءني بعض الصبيان بأوراق وربما كانت سرقة يسرقها ذلك الصبي من بعض مصاحف أهله فأشتريها منه بذلك القوت الذي معي ، وربما أهله علموا وأتوا إلى أهلي يطلبونها فيجدونها وقد غيرتها بكل عطف ورقة ورقتين . فلما حصل بحمد الله تعالى عليَّ الفتوح في الطلب ، واستقوى داعي الرغب ، كنت لاأشبع من مطالعة الكتب ، ولامن مذاكرة العلم ، ولامن زيارة أهل الخير والتردد إليهم في أي مكان كانوا ، وذلك مع شدة الإعتقاد وقوة حسن الظن ، حتى قال لي بعض الناس وكان لايأتي إلا وجدني في قراءة أومطالعة أومراجعة أوتأليف أومقابلة ، فيقول لي : ما أصبرك على هذه الكتب ، فأقول له : يافلان ماهو صبر إنما هي عشقة وهوى ومحبة ونهمة ومقة ، وربما قلت : وفي الحديث (منهومان لايشبعان طالب العلم وطالب الدنيا) وكنت إذا

سافرت إلى مكان أي مكان كان ؛ استصحب معي منها (أي الكتب) الذي لابد لي منها ؛ أما الحمل وأما الحملين دون ما استغني عنه مما أتركه في البيت ، حتى قالت لي الوالدة فاطمة بنت الشيخ أبي بكر بن شيبان رحمها الله تعالى : ياعلي إذا جئت إلى عندنا إلى بلد هينن ومعك هذه الحمول من الكتب فأحسن أن تجعلها ظاهرة في أواعي رؤوسها مفتحة ؛ لأن اهل البلد إذا شاهدوك وقد أقبلت بالحمول ربما ظنوا أنها من متاع الدنيا خاصة الذين لهم الرغبة فيه ؛ فنضحك من ذلك ، فكانت الوالدة تقول ذلك على سبيل المزح والمباسطة .

وكنت والحمدلله إذا عزمت وعزمت بشيء من الكتب معي في أيام الغيوث الثقيلة إعتاد من ذي العوائد الجميلة بحرمة صاحب الوسيلة والفضيلة ، أن تلك المخيلة لا تصيب بالمطر البليلة مع مامعي من تلك الحميلة ، بحيث أني إذا خرجت وهي تمطر كَفَّت المطر ، حتى نصل الكنان المستقر ، وإن تباعد السفر . فحينئذ تعود المطر بحمد الله تعالى ولطفه الخفي ، الذي إذا لطف به لأحد من عباده كفي وشفي ، جربنا ذلك مرارا عديدة . وربما مطرت حوالينا ووقع الفرق علينا ، فلايصيبنا من تلك السحب الماطرة ؛ إلا الظلال إذا سرنا في الهاجرة ، فوالله ثم والله ثم والله إنا إذا كنا في الهجور الحارة نشاهد نحن ومن معنا السحاب تظلنا ، وتسير في الطريق بعدنا وقبلنا ، وفوقنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ، بحيث نشاهد مابَعُدَ عنا من جنبات الوادي وقد شرقت فيه الشمس ؛ والظل عندنا مع تقارب جنبات الوادي ، فالحمد والشكرلله .

ولما كان مستهل شهر شعبان سنة تسع وستين ومائة وألف حصلت لنا همة لزيارة السواحل ، فعزمنا من دوعن إلى الغياض ثم إلى المكلا ، ثم غيل أبي وزير والشحر ، ثم رجعنا إلى المكلا وفُوَّه وبروم ، وهذا كله في نحو ستة أشهر . واتفق لنا في تلك السفرة جملة من الفوائد ومصنوعات المشاهد ، وقد حققناجميع ذلك في كتابنا الموسوم بالرسائل المرسلة والوسائل الموصلة .

وكان طلوعنا من تريم بطريق وادي إلبَحَثْ ، وكان ذلك يوم الخميس أواخر شهر الحجة سنة تسع وستين ومائة وألف وذلك بعد أن حصلت لنا منهم الكرامة والتبجيل ، وسلكنا مفيض الوادي وذلك في وقت أواخر الخريف مع شدة حرارة الشمس ، وحرارة تلك الوديان المتوجهة إلى الساحل وضيقها وأتهامها في الأرض وبعد جبالها ، وشدة حرارة أواخر الخريف . وكان معنا الولد المبارك النجيب عمر بن علي بن حسن المكنى السجاد ؛ وهو إذ ذاك في سن نحو الخمس السنين ، يحمله بعض السيارة على كتفه ، فبينما نحن نسير وهو قريب مني على كتف رجل من الجماعة قال : أباه ! فقلت لبيك ؛ فقال إنها باتمطر فوقنا وباتمطر على الكتب وعلى الكسا ، ثم قال ماباتمطر على الكتب ولاعلى الكسا وسكت ! ففزعت من كلامه لما اعتاده من صدق مقاله وإعلامه ، ثم سرنا قليلا فقال أباه ! فقلت لبيك ؛ فقال باتمطر علينا نشرد إلى أين ونخدع إلى أين ؟ وجعل يكرر هذا الكلام والسماء صاحية ، فسرنا حتى زالت الشمس ، وشد علينا الحر أشد اللمس ، وبلغنا ملتقى الواديين (المذينب والبحث) وبعض الجماعة السيارة قد تقدموا بالمواشي ، فحين

بلغوا تحت الفريد المعترض بين الواديين حطوا ؛ فما وصلنا إلا وهم يحمسون القهوة ، وكان المتقدم فيهم رجل من الجراثمة يقال له : محمد بن عبد الله بن شابض ، فحين وصلت إليهم قلت له : مابالك يامحمد إخترت المحط في هذا المكان ؛ وهل شاركك في هذا الرأي أحد من الجماعة ؟ فقال لا ؛ ماهو إلا شوري وحدي ، فسكت وبي الفزع من كلام الولد عمر ، وبي الرياض بوجود الصحو . وقد قدمنا النباء لأهل بلد عضد بأن العشاء عندهم ، وبعد القهوة نمت قليلا فإذا أنابالسيارة ينبهوني ويقولون : قم جاءت المطر وحنت الرعود ، فقمت فإذاهم قد رحلوا الإبل وهم يحملون الكتب ، وبعض الزوار في مكان غير المكان الذي نحن فيه قد ناموا ، وحصلت البهتة من الغيث ولاعاد حد درى بأحد ، وماسرنا بعد الحمول العجول ، إلا في غزير المطر والسيول ، من عروض الحيد المفتوق مثل الظلمات المهول ، حتى وقعت الجمال من شدة المطر التي كأفواه القرب ، ووقف الحمار الذي أنا عليه من شدة وقع المطر والبرد ، وتكهفنا تحت جبل جافي عن المخيلة ، فلما شاهدنا كثرة الطوارح من صفوح الجبال مع ضيق ما بين الصامتين ، فقلت للجماعة : سيروا بنا من هذا المكان فإن هذا المحل الذي نحن فيه يطلع فيه السيل إذا جرى الوادي ، فسار معي بعضهم في شدة المطر ، وبقي بعضهم في ذلك المكان للخطر ، فبينما نحن نسعى في الوادي هاربين ؛ إذبدا لنا عن يمين المصعد مكان مكين كنين الكنان ، مرتفع من سيل تلك الوديان ، فسرنا إليه فإذا راعي الغنم معنا قد تقدم إليه ، فوقف فيه ووقفنا نحن فيه ، وبقيت أدعي بكل من أقبل من الجماعة إليه ، حتى وصل بعضهم . ثم أقبل سيل الوادي العظيم وحال

بيننا وبين جملتهم ، ونظر بعض الجماعة الذين هم عندهم إلى المكان الذي تكننا فيه أولا وسرنا منه إلى هذا ؛ فإذا الماء قد طلعه نحو قامة ، وقد شل الحمار الذي بقي عندهم وهو غير حماري المركوب (عيران) الذي سُقته معي ، فجاء رجل وأخبرني بذلك ، ثم لبثت قليلا فجاء رجل آخر من الزوار وقال : إن الحمار لم يشله السيل بعد ماقلبه الماء مرتين وثلاث مرات نجاه الله ، وهو ذاك قائم بشدة . ثم نادى بعض الجماعة الذي حال الموج بيننا وبينهم ولم يكونوا من المغرقين يقول : أبشروا فإن الجماعة الجميع بخير وسلامة ؛ هم وسلامه ؛ يعني الجارية التي معنا ، والكتب والسلب في كنان ، والجمال والثور والحمار كلها في أكنة كنينة .

وجاء إنسان يصيح كالحذير لنا من أعلى الوادي من أهل بلد عَضِدْ يقول : ياطارف إرفع ، واستمر الماء بأمواج كالجبال ، وقد حال على ذلك الرجل يكاد يشله ، وسلمه الله بعد أن عبر الماء في المكان الذي نحن فيه وهو قائم إلى إبطه ، وطلع المكان الذي نحن فيه وترفعنا منه لأنه وسيع رفيع منيع ، قد هيأه البصير السميع . وبينما نحن ننظر إلى السيل في الوادي فإذا هو يعبر بالنخل قد نقره على أهل بلد عضد ، وأنه طلع بعض الأماكن المرتفعة وشل الأموال والنخيل ، فما لبثنا إلآ نحو ساعة فلكية قبل العصر ، ثم دخل وقت العصر ولبثنا أيضا مثلها حتى أخذ الماء إلى الإنخرار ونضوب الأحزار ، وظهور كبار الأحجار ، ومابقي من تلك الأشجار ، فحصل الفرج والفرح والإستبشار . وأرسلنا بعض الجماعة بشيرا لأهل بلد عضد بسلامتنا وذلك من طريق الجبل على يمين المصعد يطلع الصيقة التي فوقنا ويخرج الصيقة التي فوق البلد (أي بلد عضد) . فلما كان قبل

العشاء وقد نضب الوادي أقبل أهل البلد إلينا بالعشاء ، وبتنا تلك الليلة نحن وإياهم بالمكان المبارك المنور في صفا ووفا ، وحضرة وذكر وسرور ، وعيد وحبور ، وذبحنا لهم من جلبنا الكبش السمين الفدي الذبح العظيم المنظور . وفعلنا المشهد المبارك وحددنا المكان للمسجد ، وفعلنا في المكان عدة قهوة ، ورتبنا له ميعاد بحضرة ومولد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعلنا النظر في ذلك للمقدم الشيخ علي بن عمر دلهوس . فهذه الواقعة التي وقعت لنا مما يدلك على حماية الله وكلائته لنا ولمن معنا ومامعنا في كل مامعنا ، ولو أخذنا نعد ماتفق لنا من هذا القبيل ، لصار المائل إلى هذا التنزيل عليل ، والقليل دليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم الجليل .

وهذا ماوعدنا به من ختم هذه الترجمة ، بالوسيلة المكرمة ، والسلسلة المنظمة ، والوصلة المعظمة ، ونعم هي حسن الخاتمة وهي هذه :

سمع سائلي عن سلك إسناد سادتي — وأشياخ تلقيني لقول الشهادة
وعن من لبست الصوف عنهم من الأولى — بهم أقتدي في عادتي وعبادتي
ومن كان تخريجي به وتأدبي — وعنه بحمد الله صحت قراءتي
بكتب الشريعة من جميع فنونها — سماعاً وتدريساً ومنهم إجازتي
فإني أدعي في الأنام وأقتدي — بشيخ الملاء سلطان أهل الولاية
حسين أبو الإحسان إنسان وقته — له راية تعلو على كل راية
عنيت به العطاس بن عمر الذي — هو المنتهى لأهل النهى والنهاية
ومن يد حداد القلوب منامة — لنا صارت الرؤيا بها كالرواية

كذلك جيلانينا عبد قادر لنا منه إلباس وحسن رعاية
وذي السجدتين ابن الحسين احمد الذي له شاع بين الناس كم من كرامة
وجدي عفيف الدين عبد الله الفتى فقيه الملا مفتي جميع الجماعة
وعن احمد ابن الزين قد كان أخذنا لأم كتاب الله عين العناية
قرأها لنا من بعد ماقد قرأتها عليه ببيت الله في خير ساعة
وعبد الله الشيخ ابن عثمان ذي الندى حليف الهدى والإقتدا والإصابة
فإني أخذت اليد من يد هؤلاء وصحت بحمد الله فيهم إرادتي
وزرنا جماعات من المقتدى بهم ولاحت لنا من نورهم رب آية
كمثل السميين الشجاعين نيرا سما المجد أستاذين كل إفادة
هما البار والمحضار بن عبد قادر فخذ مني التصريح بعد الكناية
وبن سهل عبد الله مستأصل الصفا كريم السجايا مستحق الإمامة
وبن علوي من روسها عيدروسها خضيم الندى من غير حد وغاية
وذاك العفيف المنتقى معدن النقا مليح اللقا ساكن تريم المدينة
وباقيس بن عبد الكبير سمي به فقيه تحلا بالتقى والنزاهة
وذاك العشيني قد سعدنا بسعده سعيد ابن عبد الله مجلي الجلالة
وعبدالله الهدار بن علي محسن ابن حسين بن أبي بكر عمدتي
وعبد الله العلامة الحبر مزهر الز مان على حج توفي بمكة
وأذكر وجيه الدين علامة الملا وحاوي فنون العلم بحر الحقيقة
وذو العزم حل العزم ثاقب شهبها هو العيدروس المستنير بشهرة
وبحر العطايا بافقيه قصدته وأشفا فؤادي بالعطا والبشارة
وخالي سعيد ابن احمد البر خصني بإسناد حزب البر عن شاذلية

وأبناء علي احمدٍ ومحـــــــــــمدٍ وثالثهم ذاك الوجيـــــه بنسـبة
وكم قد لقينا من رجال أئمـــــــــة يعـز علينا حصرهم في القصيدة
وعمدتنا الأستاذ مع كل هـــؤلاء حسين المرجى للعـطا والحماية
وقد جمع الآداب واليد شيخـــنا بوالده العـــطاس بحر السماحة
ووالده المذكور قد صح أخـــــذه عن السيد الشيخ الحسين العلامة
فياقمرا بين الحسينين مشـرقــــا تلأ لأ على الأقطار نور الثلاثة
وأخذ حسين عن أبيه وفخــــره مشرف عينات على كل بلـدة
وهو عن شهاب الدين عن والد له وجيه عن العالي علي المقامـــة
عن الفخرعن سقافنا وهو قد سما بوالده المشهور مولى الدويـــلة
علا بعلي وهو عـــن علويـــــنا عن القدوة المقدام شيخ الطريقة
وقدكان شرب المقتدى من شعيبه بواسطة الإثنين أصل الرسالـة
وأخذ شعيب عن عزائم ذي العزا بجزم الحرازم عن عفيف البداية
عن الشيخ غزال العلوم ومحيـــها بإحيائه المشهور بعد الإمـــاتة
عن الشيخ مشهور الإمامة باسمه جنا عن جوينيه جنى كل ثمرة
عن الطالب المكي الإمام وشبلـنا له اليد من يد الجنـيد بقـــوة
سرى عن سري سراالجنيد وقد غدا بمعروف معروف حليف استقامة
وطال عن الطائي بحب حبيـــبهم عن الحسن البصري جلا كل غمـة
عن المرتضى للمؤمنين خليــــفة وسماه بحـــر العلم باب المديـنة
علي علا بالأخـذ عن سيد المـلا مزيل البلا مجلي ختـــام النبوة
محمد المبعوث للخلق رحمـــــــة فيـارحمة راحت على كل رحمـة
وتأديبه قد كان من عند ربــــه بتقليده تبليغ كتب الشـريعـــة

بواسطة الروح الأمين أمــــيرهم وجبريلهم حادي ركاب الزعامـة
ولله حمداً دائما بدوامــــــــه وشكرا يوافئ منتهى كل نعـمـة
ونستغفر الله العظيم جلالـــــه ونسأله الرضوان عـــــنا بتوبة
وصلى إلهي والأنام جميعـــــهم على المصطفى والآل ثم الصحابة
وتابعهم في الدين من كل مؤمــن إلى منتهى الأيـــام يوم القيامة

******

وهذه الوسيلة وهي تكملة للسلسلة التي قبلها ، نظمنا فيها إسناد سلسلة مشائخنا الذين أخذنا عنهم تلقين الذكر وإلباس الخرقة والمصافحة وغير ذلك من قواعد الطريق ، ففي الأولى ذكرنا عددهم ، وفي الوسيلة طلبنا من الله تعالى مددهم ، فتكون تلك للعدد وهذه للمدد ، وجعلنا هذه من ختام الأولى ، وكان إنشائهما في شهر رمضان المعظم سنة تسع وخمسين ومائة وألف ، وذلك ببلد الرباط بعلو دوعن وهي هذه :

إلهي توسلنا لنبلغ ســـؤلنا ومأمولنا في حــق أهل الوسـيلة
بك الله يامن بيده الأمر كلـه ومنه ابتداء تدبير خلق الخليـقة
بك الله يامن لاسواه إلــهـنا له قد عنت وجوهنا بالعبــودة
بك الله يا من قد علا بكمالـه بأرضيه والسبع الطبـــاق العلية
بك الله يامن ليس نحمد غيره على نعم السراء وغم الضـــرورة
بك الله يا نعم النصيرعلى العـدا ويا من هو المولى فعجل بغـارة
بك الله دفع الصائلين ومن عدا علينا ببغي الإعتداء والعـــداوة
بك الله ياذا البطش والقهر والغنا وقوتك الغلباء وعــز وقـــدرة
نعوذ برضوان وفضل ورحـمـة لديك من السخط الوبيل وسطوة

تشفع لنا ياربنا بشـفاعـــــــة إليك وعاملنا بلطف ورأفـــــــة
وشفع رسول الله فينا وكن لـه سميعا مجيبا في قبـــول الشـفاعة
وجبريل والأملاك في الملاء العلا تحنن علينا عندهم بالمحـــــــبة
وآل رسول الله في البيت والكسا ومن ديننا في ودهم والولايـــــة
وخص أبا السبطين بن أبي طالب علي المعالي ذي التقى والتقـــية
ومن آية الإيمان في طي حبـه وفي بغضه كل النفـــاق حقيقة
وبالحسن البصري أحسن مآبنا ووفق وسدد للهدى والإنـــابة
وحبب لنا الإيمان في جاه من سمي حبيبا وجنبنا سبيل الغـــــواية
وسخر لنا خير الوجود وخِر لنا بداود طي المنطوي في الفـــتوة
أقمنا على المعروف والعرف والوفا بحرمة معروف شفا كل عــــلة
ويسر بأسرار السري أمورنـا وكن حرزنا من كل زيغ وشـــهوة
وحطنا بجند آل الجنيد من العدا ومن سوء ة الصدقا وذل الشماتة
وأشبلنا في جاه شبلينا الـذي توليته في ترك ملك الـولايـــة
ونطلب في جاه أبي طالب العطا فيامغني الفقراء تفضـل بنفحـــة
وكفر جنايا ماجنينا من الخطا بحق الجويني أكف شوم الجنايـة
توسلت بالشيخ الإمام إمامنا إليك لتقضي ربنا كل حـاجـــة
وبالحبر غزال العـلوم تولنــا بحفظ وتأييد وتأهيل غــــربة
وبالمغربي عبد الإله ادعنا إلى جنابك واكرمنا بسبق السعـادة
جعلنا من اهل الحزم والعزم والتقى بحق السميين الكرام الأجـــلة
إلهي بحق ابن الحسين ادع وارعنا بلطف وقربنا إلى كل قــــربة
شعيب أسقنا من شعبه مشرب الهنا لنسعد من شرب اليقين بشـربـة

 وندعوك ياباري بحق فقيهنـــا المقـــدم ركن الدين في خير تربة
أنلنا المنى في علمنا واحمنا بـه من الحسد والحساد أهل الشقاوة
وبالشيخ علوي والعلي أعل أمرنا على من يعادينا بترك المـــــودة
بحق جمال الدين جمل صفاتـنا وصف الضمائر من جميع الكدورة
وبالعارف السقاف عرف قلوبنا لحجتها ثم اهدنا للمحـــــــجة
وبالشيخ فخر الدين أبي بكر وابنه علي المعالي منتهى كل طلـــبة
ووجه بجاهات الوجيه وجوهنا إليك ووجهنا بنيل الكـرامـــــة
بحق الشهاب الثاقب الثاقب اكبت عدونا وكف اكف الظالمين بغـــــيرة
وبالشيخ أبي بكر الكبير ابن سالم إليك توسلنا وجئنا برغــــــبة
نروم صلاح الشان في عظم شأنه لديك ومالك فيه من عظم حرمة
بحق الحسين أحسن إلينا وكن لنا معينا ويسر كل عسر بيــــسرة
وبالشيخ ركن الدين سلطان أمرنا أبي الغوث غطاس البحور الملية
عُمَر عَمَّر الله القلوب بجاهـــه وقام لنا بالثار في كل محــــــنة
به وبه ابلغنا المـراد وبابـــنه الحسين إمامي في جميع الأئمـــة
حسين أحسن العقبى إلينا بحقه عليك وجنبنا وبيل العــــقوبة
وبالعابد الجيلي وحداد عصره نروم الرضا في جاههم والإعـــانة
بحق الشهابين العلى وعفيفـنا تكرم وزين منتهى كل حــــالة
بحرمة عبد الله والـبار برنـــا وعمر بحق العـــمر أركان دولتي
وفي جاه عـبد الله ثم سميـــه وبالشيخ باقيس أجل بالصدق آية
بشيخي خرد ساكن تريم تولني وخذ من عداي كل معلن ومخفت
وعشر بجاهات العشيني أجورنا وحطنا بحق أشياخنا الكل جملة

بهم ياعظيم المن ياواسع العطـا أنلني منى قلبي وسؤلي وبغيـــتى
بهم ياقريب اللطف من كل محسن أغثنا وسخرهم لنا بالنـفاعـــــــة
بهم وآلهم والكل من في حيالهم من السادة الأخيار في خير أمـة
تفضل علينا وارض عنا وعافنا من الزيغ وادخلنا حصون السلامة
وصلِّ وسلِّم والأنام جميعـــهم على الشافع المقبول يوم القيامـة
وآل وأصحاب كرام وتــــابع على البر والتقوى وهدي الهداية

****

بسم الله الرحمن الرحيم ، التواب الكريم ، أحمده على فضله العميم ، ومَنِّهِ القديم ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم . وبعد : فلما كان بعد العشاء الأخير ليلة الثلاثاء لخمس خلت من شهر جمادي الآخر سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف ، توفت الحرة الطاهرة ، والدرة الفاخرة ، جوهرة الدنيا وحورية الآخرة ، العارفة بالله تعالى ، والدتي الوالدة فاطمة بنت الشيخ أبي بكر ابن الشيخ القطب الشهير شيبان ابن الشيخ القطب الغوث احمد بن سهل بن عبد الله بن سهل بن عامر ابن اسحاق ، نفع الله بها وبسلفها . كانت رحمها الله تعالى من الصالحات المشهورات بفعل الخيرات ، والصالحات الصابرات القانتات المتصدقات الصائمات ، عابدة زاهدة ، في حجر أمها مع أخوالها الفضلاء : شيبان وسهل بنظر أخوالهم عبد الله واحمد أبناء الشيخ سهل بن احمد ، وأمها أخت المذكورين شيخه بنت سهل ، فلما كبرت الوالدة فاطمة المذكورة وقد أراد الله لها الإتصال بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمصاهرة له عليه السلام التي هي أوثق عرى الإسلام ، ورجاء ماجاء به

خير الأنام في سابق العلم الأزلي ، من الواحد الأحد العلي ، فأوقع سبحانه وتعالى ذلك في قلب سيدنا الولي لوالد المالك ؛ الحسين بن عمر العطاس نفع الله به آمين ، فخطبها للوالد الحسن بن عبد الله بن حسين إلى خاليها المذكورين لجديهما الشيخين الكبيرين : شيبان وسهل ابناء احمد بن سهل لوجود إتصال قوي ونسب نبوي بسيدنا عمر ، بل كانوا ربما يكثرون زيارته ويتبركون بإشارته . وصورة الكتاب الذي كتبه الوالد الحسين إلى المشائخ يخطبها فيه هذه ؛ ومن خطه نقلت ، وورقته عندي محفوظة حرز أهداها إلي الوالد الخال الصالح صالح بن احمد جزاه الله عني خيرا ومد في حياته ، ورحمه بعد وفاته آمين . وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . من حسين بن عمر العطاس إلى جناب الشيخ العزيز الأكرم : الشيخ عبد الله بن الشيخ سهل بن الشيخ احمد بن سهل ، حفظه الله وأتحفه . وله منا جزيل السلام وعميم الإكرام ، صدور الأحرف ولابه علم يرفع إلى جنابكم العزيز إلا كل خير وسرور وعافية ، وعلمنا أن الشيخ أبوبكر بن الشيخ شيبان غائب وقد طالت مدة غيبته ، وبنته التي بنظركم في المكان وفي حجركم فاطمة بنت الشيخ أبي بكر قصدنا أنها تكون للولد حسن بن الولد عبد الله زواج ، لأنكم جنس زين ونحب قربكم وصهارتكم ، لأن صحبة الآباء صلة في الأبناء ، والجواب عمدة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وسلم على الصنو الشيخ احمد والكتاب لكم واحد ، ويسلمون عليكم العيال ، وسلموا على العيال الجميع ، والدعاء وصيتكم كما هو لكم مبذول . انتهى .

(قلت) وقوله : والجواب عمدة ؛ لعله قالها مع ذهول على العادة ، وإلا فاللائق في هذا المقام أن يقول : والجواب مطلوب . وإنما يقال والجواب عمدة لمن يدخل تحت القهر ويراد منه امتثال الأمر ، هذا ماظهر لي في ذلك . وقوله حفظه الله هو بكسر الفاء على وزن علمه ، والعامة تفتح الفاء عامة . انتهى .

(قلت) وقد كان للشيخ عبد الله بن سهل المذكور وأخيه احمد والشيخ ابي بكر بن شيبان أب الوالدة بعد سلفهم إتصال بسيدنا عمر ، بل كانوا لايتركون زيارته وإشارته في جميع مهماتهم ، ولايستبدون بحال إلا برأيه الميمون ، حتى أنهم كانوا في أول الوقت يفعلون راتب الشيخ احمد بن سهل القديم في مسجده بالحوطة ، وراتب الشيخ عبد القادر في مسجد الشيخ شيبان في الحزم في ليلة الجمعة والإثنين معا ، فشق ذلك على من أراد حضور الراتبين من أهل البلد ، فشكوا ذلك إلى الشيخ احمد بن الشيخ سهل والشيخ ابي بكر بن الشيخ شيبان ؛ فساروا إلى حريضة لزيارة سيدنا عمر وقصدهم رأيه في ذلك ، فلما عزموا من بلد هينن علموا أن سيدنا عمر بجوره ، فلما وصلوا إليه [وهو] في حضرته الشريفة ذاكروه في ذلك فقال لهم : اجعلوا راتب الجيلاني بالأحد والخميس ، وراتب الشيخ احمد بالإثنين والجمعة ، يكون هذا شرب وهذا زحي ، فامتثلوا ذلك . والراتبان المذكوران مشهورا البركة فلا نطول بذكر ذلك هنا .

ثم إن الشيخ شاور المشائخ في ذلك واجتمع رأيهم على القبول فأجابوا به سيدي الحسين ، وكان زواجهم في تلك المدة الصافية زواج مشهود محمود ، فسار من بلد حريضة من السادة وغيرهم من الفضلاء جمع عظيم ، فيهم جماعة من شأنهم لهم شان ، وقصدوا هينن عند الشيخ عبد الله وقام بهم المقام التام هو وأخوه الشيخ القطب الولي احمد .

قالت لي الوالدة رحمها الله تعالى وقد رأت بعض النساء الصالحات من أهل هينن وهي التي سارت معها قبل أن تحصل الخطبة من الوالد الحسين : رأت أنها داخلة إلى حريضة هي والوالدة وبيدها كساء ، وأنهن دخلن قبة سيدنا عمر ، وأن أهل البلد الجميع رجالا ونساء عارضوهم إليها فكان الأمر كذلك ، فإنهم لما قربوا من البلد خرجوا أهل البلد الجميع يتلقونهم ، وحصل بذلك للجميع غاية السرور والإكرام .

أخبرني الوالد عبد الله بعد وفاة الوالد الحسن رحمه الله تعالى قال : كان زواج والدك في وقت زين طيب ؛ فتلقيناهم لما وصلوا من هينن بوالدتك في طرف البلد ، وكلما ساروا قليلا ذبحوا كبشا حتى دخلوا البيت فذبحت في ذلك الوقت أكباشا كثيرة . انتهى

ثم إن الوالدة رحمها الله تعالى ورضي الله عنها وأسكنها الجنة مع الذين أنعم الله عليهم ؛ عاشرت السادة الأول : الوالد الحسين والوالدة الولية الكبيرة أم الوالد عبد الله رقوان بنت عبد الله بن احمد الجفري ، والوالد عبد الله بن حسين ، والوالدة الصالحة تالية كتاب الله عائشة بنت سالم بن عمر ، وكافة السادة والوالد الحسن رحمه الله وكافة أهل البلد

معاشرة حسنة ، مثل معاشرة لقمان الحكيم التي أوصى ابنه بها حيث يقول من جملتها : عاشر الناس معاشرة من إذا حضر فرحوا بحضوره ، وإذا غاب استوحشوا لغيبته ، وإذا مات بكوا عليه . فكانت معهم رحمها الله بالعقل والصبر والتواضع والمحبة والإعتقاد ، حتى أنها لم تخرج منها كلمة حفية لاصغيرة ولاكبيرة . فتوفيت الوالدة العارفة بالله رقوان بنت الوالد عبد الله جدتنا أم الوالد عبد الله وهي راضية عنها . وكانت وفاة الوالدة رقوان بنت عبد الله المذكور صبح يوم السبت واحدى وعشرين خلت من شهر شوال سنة ست وعشرين ومائة وألف .

رجعنا إلى ذكر الوالدة : وولدت للوالد الحسن ؛ أعني الوالدة من الأولاد : شيخه واحمد وصالح ورقوان وولد سقط وعلي وأبوبكر ، ثم إنها آخر وقتها أزهدها الله تعالى في الدنيا فعزفت نفسها عن جميع لذاتها ، فقالت للوالد الحسن رحمه الله : إنك رجل صغير وأني قد قنعت من الزواجة فليس لي مطلب إليه أبداً ، بل أخبرتني أنها إذا كلمها الوالد أصابها حال يشغلها ويورم بدنها ، وزهدت أيضا في جميع الملبوسات من ثياب وحلي وغير ذلك ؛ حتى بعد وفاة الوالد الحسن رحمه الله وكنت إذ ذاك صغيرا حيث أني ماعرفته إلا ليلة وفاته رحمه الله تعالى . ثم إنا عاشرناها بعد ذلك مدة خمس وعشرين سنة أوأزيد ولم نرى عليها بِنَكْ ولاخرص ولامُرِيّة ولاثوبا جديدا ولامسوحا ولاغير ذلك ، وقد تحضر في عرس وختان لبعض السادة والمشائخ ولالها زينة إلا الوضوء للصلاة وثوب الصلاة والسبحة ، فكان ذلك زينتها توفيقا من الله تعالى ، فكان هذا الحال لائقا بها عندهم الغاية . وكان إذا تيسر لها ثوب جديد قالت لبعض

أولادها خذه وأعطني ثوبك الملبوس ، فياخذه منها ويعطيها ثوبه ، فيكون لباسها ولصلاتها ولمخرجها عند الناس ، فلما قالت للوالد رحمه الله تزوج راجعها في ذلك فقالت له تزوج وأنت في حل ، وأما أنا فيكفيني منك هؤلاء الأولاد ولاتطلق أبداً ، وإن خفت أن زوجتك التي تاخذها تشغلك فاظهر لها أني مطلقة ، فلما علم الوالد ذلك منها جزما تزوج بالشريفة الصالحة المنورة المباركة شيخه بنت خاله السيد الشريف أبوبكر بن سالم بن عمر العطاس فولدت له علوي ابن حسن رحمه الله تعالى ؛ كان ولدا صالحا ذا ديانة وصيانة وعفاف وأمانة ومروءة ونجابة ، وقد تزوج ومات وزوجته حامل ، فولدت له بنتا بعد وفاته فسميت فاطمة بارك الله فيها .

ثم إن الوالد رحمه الله تعالى توفي وهو راضٍ عنها ونحن صغار وليس معه مال ، وكانت تقوم بمن مال إليها منا خصوصا نحن والصنو ابوبكر ؛ لأنا صغار جدا ، والوالد الجد عبد الله رحمه الله يقوم بمن مال إليه . وكانت في مدة حياتها بعد وفاة الوالد تميل إلى سكناها ببلد هينن ولاتأتي حريضة إلا على سبيل المخطر للزيارة والإلتماس بصدق النية مع السادة الجميع يشهدون لها بذلك ، الذكر منهم والأنثى لايختلف فيه إثنان . وكان أخوها الشيخ سهل بن أبي بكر متع الله به يقول لها : إن بيتي ومالي مباح لأولاد حسن يعنينا ؛ ما لأولادي إلا مازاد منهم . وكانت تأتيه غلة تمر من وادي هينن سقاه الله فيقول لها أنت الوكيلة ؛ ولاياخذ من ذلك إلا مااحتاج إليه لأكل أوغيره ونفسه طيبة بذلك . وكان مسروراً بنا في البيت إذا رآنا انبسط إنبساطا تاما ورأينا السرور الكامل في وجهه ، جزاه الله

خيرا ومتع بطول بقائه ، وجعل جزاه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح آمين .

وكان أخوها سهل المذكور من العارفين بالله ، الراغبين في ثواب الله ، ليست له الدنيا ببال ولالها عنده قرار ، ولاتاخذه في الله لومة لائم ، بل كان آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر ، يواجه الظلمة بالإنكار عليهم ، وكان كثير الصدقة والإحسان وفعل الخيرات ، والتصدي لصلاح المساجد والآبار ، ينفق على صلاحها من خالص ماله لله تعالى . وكانت له كرامات خارقة منها : لما قدموا آل طاهر بن راجح نقباء هينن على أخذ الحمول من بيته وأخذ فرسه وغير ذلك لم يراجعهم ؛ بل هاجر من بلد هينن وآلى على نفسه أن لايدخل البلد حتى يخرجوا منها ، فاتفق بقدرة الله تعالى أن قاموا عليهم يافع وحاصروهم مدة طويلة وقتلوا منهم جماعة وأخرجوهم منها ، فلما دخلوا إلى صنعاء خرج إلى هينن . وكان مخرج آل طاهر بن راجح من مصنعة هينن يوم الخميس لتسع خلت من شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف .

وكان الخال سهل المذكور يحب الوالدة محبة أكيدة صادقة ويجبرها ولايكدر عليها ، ويؤثرها بماله ولايراجعها في شيء نسب إليه . وكانت الوالدة المذكورة معروفة عند الخاص والعام بغزارة العقل والمعرفة التامة ، والمحبة لأهل البيت النبوي عامة وكافة وخاصة ، يظهر ذلك منها بغير مبالاة ، وإذا سمعت من يحط من قدرهم أوينقص أحدا منهم قامت له بالمكافحة عنهم ، وتقول عند ذلك : إن أهل البيت النبوي مثل الشمس

لايزيدها الثناء ولاينقصها الذم . وقالت لي يوما ياعلي إشهد علي أني أمة رقيقة للسادة أهل البيت . وقالت لبعض الناس اني أحب السادة وماهو بحيث اولادي منهم بل محبة قديمة . تقبل الله منها .

ثم توفي الوالد الحسين رحمه الله تعالى وهو راض عنها ويثني عليها ويقول : بكيرة عندنا أعدل من الرجال . وهذه الكلمة أكبر شهادة من هذا القطب ، بل كل من عرفها يقول أنها معدودة من جملة الرجال ، حتى سمعت ذلك من كثير من السادة والأخوال آل سحاق ممن عاشرها . وكانت في بلدها هينن للسادة العطاس خصوصا مأوى ومقصد في أي وقت وصلوا بليل أونهار ، ولاتشتغل من ثقلهم ولا ممن جاء معهم ولامن مركوبهم ، بل إذا علمت أنهم قصدوا أحدا سواها كرهت ذلك ويتكدر خاطرها إلى الغاية والنهاية ، وإذا ساروا جاؤا بعد إليها عتبت عليهم في ذلك . وكانت رحمها الله ورضي عنها من ذوات الإخلاص واليقين وحسن الأدب والمعرفة بما يزين بذوي الإحسان ، فكانت ربتنا من أول النشوء على تعلم القرآن العظيم ، وكانت تواسي من نقرأ عنده بحيث إنا لانذهب إليه إلا بفرحة وإن قَلَّت ، وكانت إذا أقبل السحر آخر الليل تقوم ملازمة للذكر وتطبخ في ذلك الوقت قهوة ثم تقول لنا قوموا إلى المسجد . وكنا مع صغر السن ربما يدخل المسجد بعض الناس ممن لايعرفنا فيقول من هذا الأغيبر ! فلم تزل تلازمنا على ذلك حتى أنها إذا علمت أنا تركنا العلمة يوما قطعت علينا الوقعة وتقول : مامني شي لضربكم ؛ ولكن إذا ماشي علمة ما شي عشا ! فنبات لذلك بلا عشاء ، ولازمتنا على هذا الأدب حتى ختمنا القرآن ببركتها .

وكانت أيضا إذا علمت بقراءة مولدا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أوشيء من الحضرات المحضورة بالخير ندبتنا لذلك وذلك كله مع صغر السن ، حتى أنه بحمد الله تعالى حصلت لنا من ملازمة ذلك بشارة عظيمة من بعض الصالحين ، فكان ذلك الرجل الصالح قد حضر في بعض الليالي قراءة المولد الشريف فحصل على الرجل المذكور وجد ، وكنت أنا قاعد خلف الناس ؛ فلم أدري إلا والرجل الصالح قد خرج من وسط الحلقة واحتملني على عاتقه ودخل بي وسط الحلقة ويدور بي بين الناس وأنا على عاتقه كذلك حتى جلس أهل الحضرة ، فلما جلسوا سقط فتلقوني منه . وكنت قبل ذلك لاأعرفه ولايعرفني ، فبعد ذلك سأله الشيخ سهل المذكور عن من حملت ؟ فقال : لاأعرفه إلا أني رأيته قطعة نور ، فقال له السائل : ذلك فلان بن فلان العطاس ، فقال له الشيخ إن طال بك العمر فسترى له شأنا عظيما ؛ وسيبلغ مابلغه جده عمر ، وإن شاء الله يتم ذلك المبلغ ويحصل بذلك الموالاة وجميع المطلوبات الأخرويات والدنيويات آمين . وذلك من أكبر نعم الله علينا كما قال سبحانه وتعالى ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاءُ ربك محظورا** ﴾ [الآية ٢٠ الإسراء] وقال تعالى ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ومايخفى مافي ذلك لسامعه إن كان محبا أوغير ، فكل ينال حظه من الخير والشر ، ونرجو من الله سبحانه وتعالى تحقيق ذلك وإن لم نكن له أهل ، فالله سبحانه أهل أن يمن ويعطي فوق مانظن ، حقق الله ظن أهل الخير فيه وعاملهم بلطفه آمين ، فهو تعالى أهل التقوى وأهل المغفرة ، ومعطي خيري الدنيا والآخرة ، إنه على ذلك قدير .

ومن جملة شدة إعتنائها بتربيتنا أنها أمرتنا في بعض الأيام أنا نذهب إلى عند بعض أهل الخير ممن كان يحفظ شيئا من كلام الفقيه عمر بامخرمه نفعنا الله بسره ، وكان ذلك الرجل معروفا بحفظ شيئا كثيرا من قول الفقيه عمر نفع الله به ؛ ينيف على ألف نشيدة ، مع حفظ جملة من الوقائع التي تكون سببا لإنشاء بعض النشائد ، فلما وصلت إليه وحضرت عنده قال لي : تريد ان أملي عليك من حفظي أو أعطيك الديوان فتكتب منه بيدك ، فقلت له الذي تريد أنت ، وكنت إذ ذاك لم أقوى على استخراج الكتب لأني صغير ، فأتى بديوان الفقيه عمر فنظرت فيه فلم أعرف فيه شيئا ، فجعلت أنظر في الديوان المذكور ولم أتكلم ، فلما استبطأ مني القراءة في الديوان وفهم من أني لم أكن أعرف شيئا قال لي : استخراجك ألا مليح ، يريد بذلك تطييب خاطري ولايكسر همتي ، ففرحت بهذه الكلمة منه . ثم قال : هات قطعة بياض واكتب ، فكنت أكتب وهو يملي علي ، وخطي ضعيف مايكاد يعرفه أحد حتى لي بنفسي ، إلا أني كنت مايتم علي إملاء البيت إلا وقد حفظته ، فكتبت حينئذ جملة من كلام الفقيه عمر المذكور ، ومن جملة ذلك قوله رضي الله عنه :

واقبلوا فان مايقبل على الله محروم وابشروا فان من حبوه الإسلام مرحوم

إلى غير ذلك ، فكانت ميقظة لنا ومنبهة ومعلمة ومحصلة النطق والإستحضار عند غالب المقاصد الدينية ، فلينتبه لذلك من أراد إرشاد الأولاد إلى سبيل الرشاد .

وبالجملة فهي نفع الله بها سبب كبير وأصل خطير في حصول جملة من الخيرات لنا حتى قال لي سيدي الوالد الحسين بن عمر نفع الله به :

إن معكم ساقية زائدة على العيال وهي من جانب هينن ، يشير إلى ماحصل ببركة سلفها ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ أنه كان سابع جد من جهة الأم ، كيف لا وهي بنت القطب الكبير ولي الله شيبان بن احمد ، وكانت تقول لنا : ياعلي ؛ ياعلي ؛ إذا أعياكم أمر قولوا :

شي لله يا الشيبان   ياعمر وياشيبان

وكان لها في سيدي الوالد عمر نفع الله به عظيم المعتقد ؛ حتى أنها في بعض الليالي قد تقول في سرها : ياعمر عشاي الليلة عندك ؛ أوعليك . قالت فإذا قلت ذلك تيسر لي ذلك ، ويكون على أكمل مايكون وأتمه على مثل مايليق بحال أهل الفضل والإفضال ، أما بر ولحم ، أورز ولحم . وكنت يوما جالسا في البيت وهي ترزع طعاما في كسرة زير برماد فقلت لها ماهذا ؟ فقالت ما أدري أخبا هذا لمن ، إشارة منها إلى الإستشعار بقرب الأجل وقوة يقينها بذلك . وكانت رضي الله عنها ورحمها قد أعطيت من الصبر أقصى عبارة ، وتجرعت منه أمر مراره ، وجنت منه أينع ثماره ، فكانت لاتُجوِّب على من يؤذيها وتحتمل الأذى ، وتنظم في ذلك الأشعار ، ولاتكافي إلا بزين ، وتنهانا عن إقامة النزاع في شيء من الدنيا وخصوصا مافات وأخذه قريب ، وتقول : من صبر في ذلك نال من الله أحسن من الذي فات عليه من موضع غير الموضع . وكانت تأمرنا بكتمان الحوائج والأسرار جدا جدا ، وتقول : إذا استعنتم بماعون الناس ردوه إليهم قبل أن يطلبوه منكم ، الله الله .

وحكت لي الوالدة رحمها الله قالت : كنت ليلة في دارنا ببلد هينن وهي ليلة سبع وعشرين في شهر رمضان ، فرأيت وأنا بين النوم واليقظة كأن خالي عبد الله بن سهل رحمه الله قائما وهو يقول :

أصحاب كانوا نيـام　　　بين القطف والخيام
والليلة أمسوا قيام　　　ردوا عليكم سـلام

قالت ثم غاب عني وانتبهت في تلك الليلة ، فأولتها أنه من ثواب القراءة والتهاليل التي يوهبها الناس أمواتهم ليلة سبع وعشرين في شهر رمضان . ولها نفع الله بها كلام مليح يفهمه العامة في التعريف بالخير والدلالة عليه ، وتأتي به بسهولة من غير تكلف ، ولها أشعارتذكر فيها أشياء قبل وقوعها فتقع كما تذكرها ؛ خصوصا في أولادها .

ولما ولد الصنو احمد وكان سمينا ؛ فدخل يوما على جماعة من السادة وهم في البيت ، منهم الوالد احمد ابن شيخنا الحسين نفع الله بهما فقال : مالهذا (يعني احمد) مثل قُعر المعصرة . على سبيل المزح ، فلما سمعته الوالدة قالت فيه أبياتا تذكر فيها إن احمد هذا يسافر إلى أرض الهند وأنت ، تعني القائل هذه المقالة بحريضة ، فاتفق أن الصنو احمد حفظه الله وعود النظر فيه سافر بعد وفاة والده إلى مكة وحج ، ثم خرج إلى الأرض بسبب شيء أزعجه وكدر خاطره ، فلم تطب نفسه بالجلوس في الحرم الشريف وهو مكدر الخاطر إحتراما لتلك البقعة الشريفة وفرارا بدينه ، حيث أن الأمر الذي أكلفه على الخروج هو المزاحمة على شيء من أمور دينه ، ففر منه فراره من الأسد ، وكان ذلك بإشارة بعض المجاورين بها من أهل العلم والفضل لما استشاره الصنو احمد في ذلك ، ثم

جاء إلى الأرض وأخذ مدة قريبة بحيث أنه لم يتفق بغالب المحبين ، ثم بعد ذلك سافر إلى أرض الهند وله هناك نحو من ستة عشر سنة أويزيد ، من حال التاريخ للترجمة وهو حفظه الله حي الآن متع الله بطول حياته . وقد توفيت الوالدة والصنو احمد بالأرض المذكورة ، وكانت من الصابرات على فراق أولادها ، إذ كانت تعرف أن خيرة الله لها أحسن من خيرتها ، ولاتظهر بذلك جزعا ولاغيره مما كان يعتري النساء من الرقة عند الفراق ، بل كانت تقول : ياولدي إذا عرفت لك مصلحة دين أودنيا في شيء اقصده . وقد كانت تترك ذكر حقوقها ومايجب للوالدة على الولد ، وتقوم هي بما عليها محتسبة ذلك عند الله ، وربما قال بعض الناس : الأولاد ماعاد حَد جاء منهم ، يريد بذلك كلام منها في جنابهم ! فتقول : هم أولادي إن قربوا أوبعدوا . فلما أجابتهم بذلك قالوا مابقي كلام .

(قلت) وهنيئا لها بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رحم الله والدا أعان ولده على بره) وقد كان الصنو العلامة الولي النجيب سيدي أبوبكر بن الحسن أصغر مني سنا ، وهو آخر أولادها ، فحين استأذنها للحج قالت : ياولدي يعسر علي فراقك ، ولكن إذا كنت تريد الحج فلا أتركك تكون عاقا قد رضيت بذلك ، فسر على بركة الله تعالى وأنت في حل . وقد كان أعز الناس إليها فصبرت على فراقه ، ولها في ذلك أشعار في الشوق إليه وإلى الصنو احمد . ثم إنه حج بيت الله الحرام وعاد ولبث مدة يسيرة واستأذنها في العود إلى مكة فأذنت له فسار بحركة ، فلما سافر تذاكرنا فيه فقلت لها : إن الصنو أبوبكر استعجل هذه العجلة القوية ، فقالت هذه خصة جذبته ، ثم بعد ذلك بأيام قلائل قالت لي

الوالدة : رأيت أبابكر كأنه طفل صغير وكأنه سقط من يدي ووقع في بحر ، فلم نلبث إلا مدة يسيرة فجاءنا خبر وفاته ، وكان ذلك ليلة السبت واثني عشر يوما من شهر رجب الأصب سنة ست وأربعين ومائة وألف بمكان يسمى (أحور) بحاء مهملة ، من أرض الساحل وهو متوجه إلى الله حائز الثواب ، لقوله تعالى ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ [الآية ١٠٠ النساء] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة) وقد كان رضي الله ورحمه يحفظ القرآن العظيم ، وأخذ من العلم نصيبا مباركا ، وقد حَصَّل بخطه كتبا ووقفها علينا تقبل الله ذلك منه ، وكذلك حصَّل مصحفا كاملا ووقفه على جامع بلد حريضة وجعل النظر لنا في ذلك ، وهو الكل ببركتها .

وزوجت البنات وربت أولادهن وأولادنا بحسن التربية والصبر والمحبة والشفقة ، وكانت تجبر نساء أولادها بحيث صرن كأنهن بناتها في الحنانة والشفقة عليهن ، وذلك منها بضد غيرها من النساء ؛ فإن العادة منهن إلا البغض لنساء الأولاد ، وربما قد سألتها عن ذلك فقلت لها : ماتكرهين نساءنا ، فقالت : ياولدي إذا ذكرت سكون خواطركم ولايكون ذلك إلا من جهة نساءكم ، وإذا لم يوافقهن فلا بد لكم من غيرهن ، وربما تاخذون من هو أشد من هؤلاء . وقد كانت رحمها الله تربي الجبر بينها وبينهن وتوليهن جميع أشياتها دون الأشياء التي تنسب إلى أولادها ، فصارت عندهن أعدل من أمهاتهن وماكانت إلازبيدة زمانها ، وسلطانة

أوانها ، وواحدة شانها ، وفيها العبارة تنطق لسانها بقول مشائخ فرسانها ، إذا فكوا أرسانها ، كما قال القائل :

ولو كنا النساء كمن ذكـــرنا لفضلن النساء على الرجال
فلا التأنيث لإسم الشمس عار ولا التذكير فخــر للهلال

بل كانت تزيد على سلطانة بأنها أم السادة وجدتهم ومحبتهم ، وتقر بأنها أَمَتهم ، وفي الحديث الصحيح (من أحب قوما كان منهم وإن لم يعمل بعملهم) .

ولها كثير كرامات خارقات منها : ما أخبرني به بعض نساء هينن قالت جئت زائرة لوالدتك وهي مريضة ؛ فجلست عندها ، فلما أردت الخروج قلت لها : تشتهين شيئا ؟ فقالت لا أشتهي إلا كزابه ! فقلت لها أنه لايوجد في هذه الأرض ! فسكتت ، قالت فلما خرجت من عندها وذهبت إلى بيتي وجدت رسالة وصلت إلي من أولاد عمي في بندر الشحر ؛ وهي شيء من الطعام وفي وسط الطعام كزابه ، فلما وجدت ماطلبت والدتك فرحت بذلك فرحا كثيرا ، فخرجت من بيتي وذهبت بها إليها ، وعرفت أن ذلك كرامة لها نفع الله بها .

ومنها ما أخبرني به عمر بن احمد بن علي بن سالم قال : كان معنا شرج تولعت القردة بأكله ولايكاد يسلم لنا منه شيء إلآ ماقام عليه الشارح ، قال : فلما كان سنة من السنين فعلنا لوالدتك فيه نذر معلاق أن يسلم من القردة ، فاتفق في بعض الأيام إن الشارح ذهب في بعض حاجة فاستغارت القردة على العمل ، فلما قربت من معنق الشرج انصرفن منه

وليس هناك أحد غير الله ، فلما جئنا إذا نحن نقص آثارهن حول القصب ولم يمسسن منه سبولة واحدة ، وسلم ذلك الزرع حتى حصدناه وبلغناها الذي لها من النذر المذكور .

وحكى لي عمر بن احمد المذكور قال : أصابت ولدي عبد الله شوكة نخل كبيرة في عصبة رجله وانكسرت ؛ ولم يبقى لها طرف ننقشه ؛ ومنعته المسير ، فجاءت به والدته إلى والدتك فاطمة بنت أبي بكر فأخبرتها بذلك ؛ فقالت لها والدتك : أدهنيها بلبن الضان ، فدهنتها بلبن الضان كما وصفت ، فلما أصبح إذا هو قائم يمشي على رجله بعد أن عاقته عن المسير أربعة أيام ، ثم إنا بعد ذلك التمسناها في رجله فلم نجد لها أثر .

وكذلك ببركتها قال عمر بن احمد المذكور كانت معنا في الجرب نخلة مديني ؛ وكانت كلما بلغ خريفها إلى أوان النضج (سلغ) ويسقط كله إلا القليل في بعض الأحيان ، فنذرنا لوالدتك فاطمة المذكورة إن لم يسلغ خريف المديني برفعة تمر من تمره ، فلما كانت السنة التي جعلنا لها فيها النذر المذكور سلم خريفه من السلغ ، وجاب خريف جازي نحو ثلاثة عشر خبرة ، فبلغناها النذر وجعلناه مرتبا لها على كل سنة على سلامة خريفه ، فكان يسلم ببركتها نفع الله بها وبسائر عباد الله الصالحين آمين .

ثم إن الله سبحانه وتعالى كَمَّل لها الثواب ليحسن لها المآب ، فامتحنها آخر عمرها بعلة غريبة وهي : أنها لاتأكل ولاتشرب ولاتاخذ إلا العسل واللبن تقريبا من نحو مدة من الزمان ، حتى ذهبت لحمتها وبقيت عظم عليه جلد ، وهي صابرة محتسبة غير شاكية ولامتضجرة ، فكانت

مدة مرضها المذكور لم تأذي من يصاليها ولاتطلب منهم مساهرة ، ولم يعلق سراج إلا ليلة التعبة وليلة الوفاة ، وكنت لما رأيت التعبة فيها أردت القعود عندها وتركت صلاة الجماعة في المسجد فقالت : ياولدي قم وصل جماعة لاتشغب الناس فإن الذي بايقع عاد ماهو الليلة ، فقلت أيش هو الذي بايقع ؟ قالت : الذي يقدره الله بايكون ، فعرفت انه الموت . وكانت مدة مرضها لم يغب لها ذهن ، وقالت ياولدي أما ماهي الآ سوابق ماالسعادة بالأعمال ، فالحمد لله ، وقالت لها الكريمة شيخه : إئذني لي بالصعود إلى حريضة فإني قد شغلتكم بالعيال ، فقالت لها : زيدي أصبري ثمانية أيام ، فكانت وفاتها يوم الثامن من كلامها .

ولما قربت وفاتها جعلت تقول : أين النبي ، أين الفقيه ، أين عمر وحسين ، أين ميكائيل وإبراهيم ، فقلت لها : أيش هذا ؟ فأفاقت وتكلمت بكلام ثاني وقالت بيت من قول الحداد :

القضا تقدم فاغنم السكون لايكثر همك ماقدر يكون

وجعلت تلهج بالدعاء والذكر ، ومن يالطيف ألطف بي ، أدعو لي ياعيالي يلطف بي ، وتكرر الشهادة ، وقالت اللهم اجعلنا من السارحين لا الرائحين ، فقلت لها قولي : ﴿ **إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾ [الآية ١٩٦ الأعراف] وتوفيت كما تقدم أول الترجمة وباتت في البيت ، وحزن عليها الناس حزنا شديدا لاسيما المشائخ الأخوال ؛ فإنهم تعبوا عليها ولكن ردوا أمرهم إلى الله ، وباتت عليها قراءة القرآن إلى الصباح ، وكان غسلها في البيت وذلك بعد صلاة الفجر ، وخرجنا بها في

جمع عظيم ، وصلينا عليها في برية ، ودفنت بعد شروق الشمس في يوم الأحد في سنام الحثم قبلي قبر جدها الشيخ شيبان وأبوه وأخوه والشيخ عبد الرحمن ، فا الله يتقبلها ويسكنها بحبوح جنته .

وقد رأى بعض السادة آل عطاس ليلة وفاتها أن الوالد عمر والوالد حسين وجميع السادة مقبلين صفوفا من أسفل إلى حريضة ، قال فقلت ماهذا الجمع العظيم ؟ فقال قائل : هؤلاء السادة أقبلوا ببكيرة أم السادة بعد أن غسلوها في نهر الكوثر . وقد رأى أيضا بعض أهل هينن مثل هذه الرؤيا أن السادة الجميع مقبلين إلى هينن ؛ قال فقلت مابالهم مجتمعين ؟ فقال قائل : إنهم بايشلون أم أولادهم بكيرة ، وأنهم بايسقونها من نهر الكوثر . فلما انتبه ذلك الرجل اخبر بوفاتها ، أي الوالدة ، فأمر صاحب النورة بعد الختم ان ينور قبرها وأعطاه أجرته وقيمة النورة ، فتقبل الله من الجميع . شعراً نختم به هذه الترجمة :

جزاها الله عنا كل خـير ... وبواها من الفـردوس دارا
مع المختار في أعلى المعالي ... بدار الخلد ماتخشى خسارا
يطيب لها المقام بخير عيش ... بها الأنهار من خمر تجارى
ويجمعنا بها ربي جميعـا ... مع الأسلاف سادتنا خيارا
يرون الحق فيها كل حين ... على مايطلبوا منـــه المزارا
ونعم الدار بل نعم الـذين ... لهم في تلكم الـدار القـــرارا
إلهي ياكريم بحق خمـس ... لهم تحت الكساكأسا يـدارا
أنلنا مانريد بغـــير بلوى ... ولافتنة تكون ولا ضـــرارا

وبلغنا المنى مَنًّا وفضـــلا　　　وقـِل ياسيدي منا العـثارا
وأوصل بالصلاة صفيك الـ　　　ـمصطفى المختار من جملة نزارا

وقد أحببت أن أصدر هذه السفينة ، النوحية المكينة ، المشار إليها بقول الحداد سيدي عبد الله بن علوي حيث يقول شعراً :

وسفين للنجـــاة إذا　　　خفت من طوفان كل أذى
فانج فيها لاتكون كذا　　　واعتصم بالله واســـتعن

ويقول لقمان لإبنه : يابني إن الدنيا بحر عميق ، غرق فيه خلق كثير ؛ فلتكن سفينتك فيها الإيمان ، وليكن حشوها التقوى ، وشراعها التوكل فعسى أن تنجو وما أظنك بناج . وبقولي شعراً :

هذه سفينة تجلب البضائع　　　وتحمل الجوهر لكل طـــائع
فيها بعلم الله من صنـــائع　　　تحفظ لأهل الفضل كل ضائع
جمعتها من كل عد معـدود　　　لكل حاسد في الملا ومحسود
وكل ناقد لي بغير منقــود　　　فلا يحابي لي ولايصـــــانع
فالشكر لله الكريم وحـده　　　والحمد من عبد بحمد حمـــده
من قبل خلق المجتهد وبعده　　　سبحانه من صـــــانع وبادع

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين آمين .

وهذه صفة أخذه عن سيدنا وبركتنا القدوة الإمام ؛ عالي المقام ؛ علم الأعلام ؛ الحبيب احمد بن زين الحبشي باعلوي ، وترجمته التي أشار إليها في بداية الكتاب نفعنا الله بهم وحشرنا في زمرتهم ، قال رضي الله عنه :

كان أول إجتماع لي بسيدي وشيخي الحبيب السيد الشريف ، الإمام العالم الصوفي ، احمد بن زين الحبشي باعلوي : أني جئت إلى بلد شبام وأنا في سن نحو أربع عشر سنة ، وقصدت عند الخال بكار بن محمد بن احمد بن عقبة ، ثم إني جئت أنا وهو إلى مسجد ابن احمد وفيه سيدي العلامة جمال الدين محمد بن زين بن سميط باعلوي ؛ قرره فيه مولانا الحبيب احمد بن زين المذكور ، وذلك بعد صلاة العصر ، فقلت للحبيب محمد إني مشتاق إلى رؤية الحبيب احمد بن زين ؛ قال : أخرج إلى عنده في خلع راشد ، فقلت لكني مشتاق إليه كثيرا وجعلت أكرر ذلك عليه مرارا كالمصطلم والمتغانم جدا ، وبي من الشوق والإنجذاب إليه مالامزيد عليه ، فقال مايمكن إلا ماقلته ، فجلست عنده وعنده جماعة منهم الصنو الولي علي بن زين بن سميط وبكار بن محمد بن احمد بن عقبة المذكور وغيرهم ، فبينما نحن جلوس وهم يقرءون في بعض الكتب إذ دخل علينا المسجد بعينه الحبيب الشيخ احمد بن زين المذكور كأنه البدر في تمامه ، إذا أشرق وجلا جنح ظلامه ، فدخل من باب المسجد البحري الشرقي فقمنا نتلقاه ، فأما أنا فكدت أطير إليه وحصل المقصود برؤية محياه وطلعته البهية ، وعليه كساء فاخر أبيض مشجر بأسود وجلس عندهم وربما قرأ القاري ، ثم ختموا المجلس وقال لي تخرج الليلة إلى خلع راشد أنت وبكار بن محمد بن عقبة ، وكنت أنا تلك الليلة من ضيفان بكار بن محمد بن عقبة المذكور ، فتعشينا في بيته وسرنا نحن وإياه إلى خلع راشد ، وبتنا تلك الليلة في المسجد وحصلت عليَّ تلك الليلة محنة قوية وشاغل في حالي لايعلمه إلا الولي المتعالي ، وفرج الله علي آخر الليل منه ، وأما

الحبيب احمد فإنه تعشى فيما أظن عند أحد من أهل شبام وبَيَّت في خلع راشد لأنه صلى صلاة الفجر في المسجد ، وأصبحنا عنده ووقع ذلك اليوم المدرس وهو أول مدرس حضرناه عنده في البيت ، وخرج لصلاة الظهر في المسجد المذكور ، وقد كنت استعظمت كثرة نفقاته من قِلَّة سببه وحركاته ، فقال إنه ينفق من خزانة الله التي لاتفنى ، وحضرنا المدرس أيضا عنده في المسجد وحضر جمع كثير من جميع الصنوف ، فجعل يذاكرهم في كل فن ، ويدير عليهم المدد بكل دن ، ومن جملة تلك المذاكرات أحفظ منها أنه قال : إن جملة من الدعاوي وأظنه عدها خمسا لاتحتاج في قبولها إلى بينة بل المدعي فيها مصدق بيمينه ، والمجلس محفوظ بحمد الله تعالى عندي كأنه أمس الماضي منذ ثلاثين سنة من مضى ، وانتهى المجلس المحفوظ الملحوظ ، الذي جالسه بكل خير محظوظ ، وعن كل ضير ملفوظ . وسرنا من عنده ، فرحين بعزه ورفده ، منشرحين بعرف رنده ، ثم سار بكار وأنا بقيت أتردد عليه لأنه باب الله في زمانه الذي يؤتى إليه ، وأتوا البيوت من أبوابها ، والفتاح صاحب الباب وهو الكريم الوهاب ، الذي كل شيء عنده بمقدار ، يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب** ﴾ [الآية ٢٦ – ٢٧ آل عمران] هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب .

أنت باب الله نال المرتجا والأماني من عليه وقفا

وجئت إليه مرة أخرى وهو في منزل خالي وسألني عن جميع أحوالي ، فقلت له في شيء من المخاطبات (على الله) فأعجبته هذه الكلمة مني وعرفت أنه قد استحلاها وعرف محلها ، فقال مايطرح ياولدي ، فوقعت مني الموقع العظيم ، ورفعت الخصة وشفت السقيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وبينما أنا في بعض الأيام أقرأ في كتاب إحياء علوم الدين عند الوالد احمد بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس في داره بحريضة وقد كنت لازمته بعد إنتقال والده الوالد حسين نحو ثلاثة عشر سنة وقرأت عليه كتبا كثيرة فدخل علينا إنسان من المنسوبين إلى مولانا الحبيب الشيخ الإمام قرة العين احمد بن زين المذكور فأنشدنا قصيدته التي مطلعها :

لبست بحمد الله لبسا محققا مع الإذن في الإلباس عن قطب دورة
لبست لباس القوم صوفية الورى عن العارف الداعي بنجد وغورة
أبو الحسن البحر المحيط بعلمهم عنيت به الحداد شيخ عصورة
له في طريق القوم طرق عديدة يعز على محصي الكتاب سطورة
ولكنني أذكر نهجا محررا به ينتهج من مال جانب طورة
فعن عمر العطاس موصول يده بلبس وتلقين ومبسوط نورة
وتشبيك أيدٍ مع صفاء تذاكر وخلوة سر واجتماع حبورة
كذاك عن الشيخ الإمام محمد نزيل الحرم من قد حظي بطهورة

وأخذهما عن شيخ عصر بقطره   حسين ابن أبي بكرالمغيث لفورة

إلى آخر القصيدة . وقد كنت سمعتها مرة أخرى تقرأ على ناظمها الحبيب احمد بن زين الحبشي قبل ذلك وهويشرحها للقاري ويفصل مناظمها ، فلما أتمها النشاد حصل لي جاذب للزيارة إلى الحبيب احمد بن زين المذكور ، واشتقت إليه كما يشتاق المحب المهجور إلى الحبيب المنظور ، وكما يشتاق الظمآن إلى الماء في الهجور ، فحينئذ قلت للوالد احمد بن حسين أما تسمع مايتبجح به مولانا الإمام الهمام احمد بن زين وهو والحمدلله في الوجود ؛ إئذَنْ لي في الزيارة فإني اشتقت إليه للبشارة ، فقال أحسنت ياعلي زره ، وأنا والله لو كنت أستطيع لزرته معك ، فقمت من فوري وذلك ضحوة النهار ؛ فخرجت من حريضة وما أمسيت إلا ببلد هينن ، ثم سرت منها إلى خلع راشد وطلع المراشد ومحل المرشد الراشد ، فلما وصلت إليه ومثلت بين يديه قلت له ياسيدي والله لولا أن هذه العرصة التي أنا فيها لايمكن لنا الإقامة بها لانفارقك ساعة ، ولاسبقنا إليك سابق من هؤلاء الجماعة ، ونحن الآن نطلب من الله ثم منك شيئا من الصلة والنظر ينوب عن طول الإقامة ، وكثرة القراءة والندامة ، أريد أن أقرأ عليك شيئا من مصنفاتكم ! فقال صواب ذلك ، وقد جعلنا الرأي لك فيما أردت قراءته علينا من محفوظاتك أوغيرها ، فحينئذ فكرت في نفسي فألهمني ذواللطف القدسي ، أن قلت أريد أن أقرأ عليكم سورة الفاتحة ؛ فقال أصبت ؛ جمعت الفاتحة الشيء أوقال الخير كله أوكما قال ، فحينئذ تربعت بين يديه وهو في قبلة مسجده وذلك بعد صلاة الظهر ، وابتدأت في قراءة الفاتحة حتى أكملتها من غير تكلف ولازيادة على قرآءتي

المعتادة ، فلما أتممتها قال ياعلي إن حبيبك عمر بن عبد الرحمن ترابي الأخلاق ، فإنه لمازاره الحبيب عبد الله الحداد وطلب منه الإلباس قال له نلبسك ياعبدالله بشرط أوقال على شرط أن نلبس منك ، ثم قال لي ونحن نريد أيضا نقرأ الفاتحة عندك كما قرأتها عندنا ، ثم تربع وقرأها إدراجا من غير تكلف .

وقد أشرت إلى ذلك بقولي في سلسلة إسناد مشائخي حيث أقول :

وعن احمد ابن الزين قد كان أخذنا لأم كتاب الله عين العـــناية
قرأها لنا من بعد ماقد قـــرأتها عليه ببيت الله في خير ساعة

وكم قد سمعنا منه من مذاكرات ، وحضرنا عنده محاضرات ، ونظرنا عنده من مناظرات ، لأنه الأب الشفيق الصديق ، وحادي مهيع الطريق ، إلى حضرة الحق الحقيق . وكم لامني لائم على فرط حبي له فلم يروني عدلا ولم أرض ماقاله . ولقد سمعت منه وعنه يذاكر مفتخرا بأن الحبيب عمر بن عبد الرحمن كان يمر في أول الزمان بالمكان الذي يسمى (قاع الرخم) وهو الذي يسكنه الحبيب احمد بن زين الحبشي الآن ، فيلتفت الحبيب عمر إليه إذا مر ويقول : ياليت لنا خلع في هذا المكان . ثم يقول الحبيب احمد بن زين مامراد الحبيب عمر بالخلع النخل إنما مراده نحن من خلع الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس .

ولقد لزم الصنو العلامة النجيب أبوبكر ابن الوالد الحسن الملازمة لسيدي الوالد الشيخ الحبيب احمد بن زين المذكور والقرآءة عليه مدة من

الزمان وانتفع به نفعا مباركا ، وقال لي الصنو ابوبكر بن حسن المذكور بعد وفاة الحبيب الشيخ احمد بن زين رأيت كأني عند سيدي الحبيب احمد بن زين الحبشي وكأني أطلب منه التلقين واللباس ؛ فقال لي : تلقن وألبس من صنوك علي . ثم جاء إليَّ الصنو أبوبكر وطلب مني التلقين بعد أن أعلمني بالرؤيا بالعلم اليقين ، وكنت له على ذلك من الموافقين ، ولرؤياه من المصدقين ، وكتب بذلك كتابا بخطه عندي من الموافقين الموفقين . وكان الحبيب احمد كثيرا مايقول : آل العطاس من الذين يحبون من هاجر إليهم . وهوكثير الثناء على غوثنا وابنه حسين الذي هو ثنا ، ويقول ما أحسن المذاكرة في العلوم على لسان السيد حسين بن عمر ، ويقول والله إن السيد حسين بن عمر من أولياء الله ، وقال جزاكم الله عنا خير يا آل العطاس إنكم كفيتمونا يا آل باعلوي الجميع مقاسات أهل الكسر ؛ ولصبركم على جلافة أخلاقهم وقاسيتم بعد مشقتهم وألد شقاقهم .

وحكى قصة عجيبة وقعت له مع الوالد حسين بن عمر مضمونها المدح بالصبر ورؤيته الإمتنان في الأمر لآل العطاس عليه وعلى أضرابه ممن يهتم بأمور المسلمين ومناصب حضرموت من آل باعلوي وغيرهم ، قال : جئت مرة إلى دور السحيل بشبام فعلم بي الحبيب حسين بن عمر وهو في داره بالسحيل ؛ فأرسل إليَّ رسولا يستأذن علي في الوصول للزيارة لي ، فلما جاء رسوله قلت له قف حتى نأخذ قهوة من السوق ونذهب نحن إليه ؛ فإنه أحق بأن يؤتى إليه ، فلم يشعر إلا بقدومنا عليه ، فجلسنا معه على أصفا محاضرة وأوفى مذاكرة ، فلم نلبث إلا قليلا وإذا بجماعة قد أقبلوا من أهل الوديان والمجزعة وحريضة والكسور جَمَّاله قد باعوا حمولهم في

سوق شبام ، ثم علموا أنه بالعرض في وقت الخريف وبهم من الجوع والضر البادي مالامزيد عليه ، فجعلوا ينادون بأعلى أصواتهم من تحت البيت : ياحبيب حسين ياحبيب حسين ! فأجابهم بصوت مثل أصواتهم ثم قال : بسم الله إطلعوا ، فطلعوا وهم يرجون المكان حتى دخلوا وسلموا عليه بجلافة ؛ وصافحوه كذلك ، فابتدأ يخابرهم واحدا بعد واحد ، ويتخبرهم من جهة الوادي وحريضة والمجزعة لكونهم منها ، فما تم ذلك إلا وحالي ملان وفرائصي ضيقة من ذلك ، وهو راوي به غير مكترث بسببه ، فحينئذ طلبت الفاتحة واستأذنته للخروج بعد زهول القهوة ، وقلت جزى الله عنا آل العطاس خيرا في مقاسات هؤلاء أما أنا فلا أصبر على ذلك ولا أقدر عليه ، ولهذا الحبيب المذكور مع سلفنا ومعنا في هذا المعنى مالوكتبنا عشر جمعنا ولليسير من جمعنا وماتكلمنا إلا ببعض ماسمعنا ؛ والله مايكون معه ومعنا .

وجئته مرة وسألته أن يقرأ على عيني شيئا وشكوت عليه مابهما من الوجع ، فطرح كفه الكريمة عليهما وقرأ ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ إلى قوله من نور ثم نفث ، فعلمت موافقته بماحصل من القراءة منه لقول سيدي الوالد حسين حين شكوت عليه أيضا ما بهما فقال : ماهو إلا نور من نور الله .

وسمعته مرة يذاكر في بيته بخلع راشد وأظنه في أول زيارة لي إليه يقول : من مات من الأموات الذي أعرفهم ولم أهبه شيء من القرآن يأتي إليَّ بالليل فيفزعني فاستوحش منه . وسمعته أيضا يقول : كنا نسمع

بمقالات العلماء سيما من تأخر منهم مثل ابن عربي والسيوطي والشعراوي فنستبعد حصول أشياء مما قالوا حتى تحققنا ذلك علما وذوقا وفهما .

وقال الحبيب احمد بن زين الحبشي لمازرت الحبيب عبدالله الحداد أول زيارة لي بعد وفاته رضي الله عنه ، أول مافتح الله عليَّ به عند ضريحه قوله سبحانه وتعالى ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئآت ومن تق السيئآت يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم *** ﴾ [الآيات ٧ – ٩ غافر] ﴿ **ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ [الآية ١٠ الحشر]

ثم أشار علي بملازمة قرآءة الآيات المذكورة لاسيما الدعاء بها عند الأمور المهمات وبعد الصلوات في جميع الأوقات ، فهي لي بحمد الله من الملزومات في الغدوات والرواحات ، فياأيها الواقف على تلك الكلمات ، خذها بقوة وثبات ، فإنها من الهدايا الواصلات ، واجعلها وردك وابشر بالخيرات .

ولما كانت الليلة التي توفي سيدي الحبيب الشيخ احمد بن زين الحبشي في يومها وهي ليلة الجمعة السادس عشر من شعبان المعظم سنة أربع وأربعين ومائة وألف وذلك فجأة بعد صلاة الجمعة ؛ رأيت في المنام وأنا ببلد هينن كأني أنظر إلى القمر في وسط السماء وهو في غاية التمام ، وكأنه

خر إلى مثنات حضرموت حتى توارى في الأرض ، فلما أصبحت كنت كالمستشعر بخبر يأتي بوفاة حبر مشهور فإني جربت هذه الرؤيا وهي سقوط القمر إلى الأرض وانكسافه في الأرض بموت عالم شريف ، جامع العلم والولاية ، وإذا رأيت في المنام سقوط بعض النجوم مات من هو دون ذلك العالم الولي في المقام ، جربت ذلك مرارا تجريبا محققا ، ونفذت من بلد هينن صبح ذلك اليوم إلى حريضة فلم يرعني إلا خبر إنتقاله ، ونزله حيث نواله ، وإنزاله مع محمد وآله ، في حضرة القدس في مقعد صدق عند مليك مقتدر بجلاله .

ولما جئت إلى بلد هينن في بعض الأيام جاء إليَّ بعض أهلهاوشكى أن معه جارية بنت له وأنه حصل عليها مرض قد أعياء الأطباء وطلب مني الوصول إلى بيته لأجل القرآءة عليها ، فلما جئت وأخذت في القرآءة عليها صاحت وهي تقول : ياعيني ياعيني أخرجوا الشريف من عندي وهاتوا أمي ؛ حتى سَمِعَت صوتها أمها ،فجاءت وطلبت الدخول عليها فمنعناها وبقيت أقرأ عليها حتى تكلم فيها بعض الجن وطال الخطاب بيننا وبينه حتى أذعن للخروج ، وسألناه عن إسمه وعن سنه وعن شيخه فقال : إسمي عمر بن سالم بن احمد وسني الشاب ، والشيخ تكون أنت ! فقلت له مالي حاجة بمشيخة الجن ولكن أخبرني بشيخك الذي تهتري به وتعاهد عليه ؟ فقال : أهتري بالحبيب احمد بن زين الحبشي ، فعاهدناه وعرضنا عليه أن يحلف بيمين جعفر الصادق فأبى ، وصدرت منه كلمات من جملتها قال : تطيور الماء لويعلم الناس مافيه من الضرورة لماطيروا منه قطرة واحدة . وقال : إني خارج منها وعلامة خروجي سكون الونين والنوم

حتى يبين الضو ، وعند مثارها من النوم أول ماتطلب اللبن ، فكان ذلك كله كما قال . وقال أيضا : ألق لها حرز . ثم قال : وعاد كلمة ! قلنا ماهي ؟ قال الأفدية كلها التي أخرجوها كذب ، فسألنا أهلها وعن عدة ما أخرجوه من الأفدية فقالوا : خمسة عشر فداء كبارمابين أكباش وتيوس ماعز وشياه وضان ، وجاء كلامه جميعه حقيق .

ومن كلام سيدي الحبيب احمد بن زين الحبشي المذكور للصنو أبي بكر بن الحسن حين يقرأ عنده العلم : يا أبابكر إن الله ضمن بالأرزاق لخلقه عامة ، وضمن لأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم بضمانة خاصة ، وضمن لطلبة العلم من أهل البيت خاصة الخاصة . وجئت مرة زائرا لسيدي الحبيب احمد بن زين المذكور وحضرت عنده جمعا عظيما منهم السيد سالم بن عمر من آل حسين بن أبي بكر وغيره ، وحصلت قرآءة في المسجد وبعدها مذاكرة هو والسيد سالم المذكور ؛ وربما انجر الكلام في آخر المجلس إلى المزح بشيء من الكلام المنسوب إلى أهل بلد الغرفة أحفظه ، فلما كان بعد صلاة المغرب طلبوهم للضيافة وتعشا معهم ولده سيدي الحبيب جعفر وبقي الحبيب احمد بعد صلاة المغرب في المسجد ، وشرع في راتب القرآن ليلة الجمعة من الفاتحة وسورة البقرة ، وبقيت عنده وقرأت معه الراتب ، فلما بلغت في القرآءة إلى قوله تعالى ﴿ فليود الذي أوتمن أمانته ﴾ وكان المقرأ عندي كررها حتى قررها علي . والحمدلله على ما أسدى به إلي . فمن أراد تلقينها مني فليسمعها عني .

ثم إنه صلى بنا العشاء فقراء تلك الليلة فيما أظن بالجمعة والمنافقون ، وبتنا تلك الليلة عنده وهي الجمعة التي جمع الله فيها الشمل ووسع الفضل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ذلك الفضل من الله ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ألايقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [الآية ٢٩ الحديد] وذلك فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون .

وجاء بعض أصحابه المنسوبين إليه وقال إن معي أولاد ومكلف وأنا قليل الشيء وأنكم قد عمرتم جملة من المساجد وعليها جملة من الأوقاف وأريد أن تقيمني في إمامة شيء من هذه المساجد التي عمرتها لأستنفع بوقفها وأستعين به على نفقة أولادي ، فقال له الحبيب احمد : إني لا أرضى لك بذلك ، فقال إن قِلة ذات اليد مع كثرة الأولاد قد شغلتني عنك وإنك إن لم تقدر تعطيني الوظيفة ربما تكلفت على المسير إلى اليمن ومفارقتك ، ولايطيب لي العيش بفراقك ! فقال : ياهذا إن لم تجد المعيشة إلا في الوظيفة فسر إلى اليمن فإن فراقك أهون علينا من الهلاك بالوظيفة ، أماعلمت إن الوظائف نضايف وتاليتها كثايف . وقال إذا نزلت بأرض ودارست أهلها القرآن فخذ على مقاريهم .

(قلت) ومن قوله في كتاب الرياض المؤنقة في الألفاظ المتفرقة : إذا نزلت بأرض فدارسهم بمقاريهم وكايلهم بمصاريهم ، ولاتماريهم ولاتشاريهم .

انتهى مايسره الله الكريم من كتاب سفينة البضائع وضميمة الضوائع لشيخنا وبركتنا الحبيب علي بن حسن بن عبد الله العطاس باعلوي

رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومأواه ، ولاحرمنا بركته وحمايته ورعايته واعتنائه آمين ، ونسأل الله الكريم ونتوسل به إليه وبما سأل الله به حيث يقول : يارب محمد بحق محمد وآل محمد إلا تقبلت وأفضلت ، ولنعمك أتممت وأكملت ، ونعوذ بك من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس . وبقوله المتضمن هذا الدعاء : اللهم علمنا ماجهلنا ، ووفقنا للعمل بماعلمتنا ، وارزقنا الإخلاص فيما تعبدنا ، ومن علينا بالرضا والقبول فيما أخلصنا آمين اللهم آمين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالين .

تم نقل هذا الكتاب من نسخة تاريخها الرابع من محرم الحرام سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف بقلم المحب سعد بن عبد القادر بارجا قال في آخرها مانصه:

الحمدلله ، نُقل هذا الكتاب بأنامل الفقير إلى عفو المرتجا ، الحقير سعد بن عبد القادر بارجا ، حقق الله له الرجا ، وجعل له من كل هم وضيق مخرجا ، آمين اللهم آمين . فقد نُقل هذا الكتاب من خط السيد الفاضل سالم بن محمد بن عبد الله بن محسن بن سالم بن عمر العطاس عفا الله عنه آمين ، وهو كتبه بعناية سيدي الحبيب الفاضل ، سلالة السادة الأطايب ، الحبيب احمد بن عبد الله بن طالب العطاس ، حفظه الله وتولاه آمين اللهم آمين ، وقد نقل هذا الكتاب من نسخة قلم الشيخ احمد بن عبدالله بن محمد بن احمد العفيف الهجراني ، وهو نقلها بعناية الحبيب

الفاضل سلالة آل هاشم ، صاحب السر المكنون ، السيد عمر بن هادون العطاس عفا الله عنه ، وفي آخر النسخة قلم سيدي الحبيب الفاضل الشهم حسين بن عمر بن هادون العطاس ماصورته : هذا آخر كلام سيدنا الحبيب علي بن حسن من الجزء الأول من سفينة البضائع وضميمة الضوائع ، فليعلم الواقف على ذلك وبالله التوفيق . أيضا تاريخ النسخة التي هي قلم الشيخ احمد بن عبد الله العفيف في ٢٩ خلت من شهر ضفر الخير سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف هجرية .

كان الفراغ من طباعتها ليلة الجمعة ١٤٢٤/١٠/٢٥ على يد العبد الفقيرإلى رب الناس احمد بن عمر بن احمد بن عبد الله بن طالب العطاس غفر الله له ذنوبه وغفرلوالديه وإخوانه وأصحابه ومحبيه ومشائخه ولمن كان سببا في تحصيل ذلك ولجميع المسلمين آمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمدلله رب العالمين آمين اللهم آمين .

*****

الفهرس

******